الضوابط الشرعية
لصناعة وتجارة الأدوية البشرية

- دراسة فقهية ممنهجة -

إعداد

عبد الرزاق إسماعيل الأحمد

ماجستير في الشريعة الاسلامية



KIE Publication



وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ

سورة الشعراء : ٨٠

الضوابط الشرعية لصناعة وتجارة الأدوية البشرية

- دراسة فقهية ممنهجة -

عبد الرزاق إسماعيل الأحمد

الطبعة الأول 2021

منشورات كاي

إن مطبوعات (كتاب الاقتصاد الإسلامي الالكتروني المجاني) تهدف إلى :

- تبني نشر مؤلفات علوم الاقتصاد الإسلامي في السوق العالمي؛ لتصبح متاحة للباحثين والمشتغلين في المجالين البحثي والتطبيقي .
- توفير جميع المناهج الاقتصادية للطلاب والباحثين بصبغة إسلامية متينة .
- أن النشر الالكتروني يعتبر أكثر فائدة من النشر الورقي .
- أن استخدام الورق مسيء للبيئة، ومنهك لمواردها .

والله من وراء القصد .

رابط زيارة جامعة كاي KIE university

يمكنكم التواصل من خلال : www.kantakji.com

مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية
Islamic Business Researches Center



جامعة كاي

جامعة مرخصة من التعليم العالي

خيارك الأفضل لدراسة الاقتصاد الإسلامي وعلومه

KIE university

توضيح

الفهرس

اهداء

إلى شعلة النور والهداية؛ إلى رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه وآل بيته الطاهرين.

إلى والديّ العزيزين على قلبي أمد الله في عمرهما جزاء ما قدماه في سبيل تربيتي وإيصالي إلى الدرجة العلمية العليا.

إلى زوجتي ورفيقة دربي وأولادي الذين صبروا علي ووفروا لي الوقت للبحث.

إلى شيوخي وعلمائي ورفاق دربي العلمي الشرعي والطبي.

إلى من أراد الإسلام شريعة ومنهجا.

إلى كل هؤلاء أهدي رسالتي هذه.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنال الدرجات والتوفيق منه والسداد القائل في كتابه الكريم : لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ (إبراهيم : ٧) .

فمن منطلق هذا التوجيه الرباني أقدم خالص الشكر والتقدير إلى الدكتور الفاضل عمر الزعبي الذي تكرم بالإشراف على إعداد هذه الرسالة بتوجيهاته جزاء الله كل خير .

وأتوجه بجزيل الشكر أيضا للدكتور الفاضل سامر قنطقجي رئيس جامعة كاي، الذي شجعني على اختيار هذا البحث الشاق، ولطالما كان يشجعني عندما أصاب بإحباط؛ فله الشكر والتقدير والثواب من الله على صدق وصفاء النية للجميع .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده،نحمده أن هدانا للإيمان وأتحفنا بالقرآن، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، قائد الخير وفاتح البر، ونبي الرحمة والانسانية، وهادي الأمة، الحبيب المصطفى والرسول المرتضى، المبعوث رحمة للعالمين وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً،وعلى آله وأصحابه الهداة المهدين، والسادة الأئمة المطهرين، ووارثه ومن اهتدى بهديهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

وبعد فإن الله تعالى خلق الخلق وأوجدهم وأغدق عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، فهم في نعمائه يرفلون ومن سجال بره وإحسانه يغترفون، ولذا فقد وجب عليهم شكره وامتثال أمره ومجانبة نواهيه، حتى لو في الأمراض والأسقام ابتلاهم،ما تركهم بأوجاعهم يئنون ولا عن علاج أمراضهم عاجزين، فخلق لكل داء دواء، برحمته وعطفه على خلقه فقال: **وَإِذَامَرِضۡتُفَهُوَيَشۡفِينِ** (الشعراء: ٨٠).

فاذا أنزل بعباده الأمراض قابلهم بالشفاء وهيأ لهم علماء يكتشفون الدواء لكل داء، وما هذا إلا من فائض كرمه على خلقه، فقلد أنزل على لسان نبيه الكريم بقوله صلى الله عليه وسلم: (**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**)[١]، فقد خلق الله الخلق على وجه هذه المعمورة وميزهم عن جميع مخلوقاته بالعقل، فالهمهم بالبحث عن علاجٍ لكل مرض، وأول ما تم فعله طبياً هو الهام آدم عليه السلام بولادة أمنا حواء لأول بطن ولدت فيه، ومن ثم تطور العباد في

---

[١] أخرجه مسلم،باب لكل داء دواء، **دار الجيل بيروت**،ج ٧ ص ٢١،

حضارتهم من قرن إلى قرن ومن زمن إلى زمن ومن جيل إلى جيل، حتى أصبح العباد منقسمين إلى أمم وشعوب وقبائل، فأصبح لكل شعب أو قوم أو قبيلة، حضارةٌ خاصة بهم بكل المجالات، ومنها الطبية واكتشاف الدواء، فهذا هو حال اليونانيين والمصريين والصينيين والفراعنة والعرب، وبعد ذلك الحضارة الاسلامية، وهكذا إلى يومنا هذا حيث تنافس العالم بأسره من أقصاه إلى أقصاه، في كل دولة لاختراع دواء جديد لمرض مستعص والى لقاح جديد لفيروس قد انتشر، وهذا البحث والتمحيص في علم الدواء يعود نفعه للبشرية جمعاء، هذا اذا كانت الدولة المكتشفة فيها ما فيها من الانسانية للبشرية، أما اذا كان الاكتشاف في دولة همها المال والاحتكار أصبح هذا الدواء أو اللقاح وباء آخر على البشرية ، وخاصة الدول الفقيرة،لذلك حضّ الاسلام على العلم والاكتشاف، لأن الأمة المسلمة فيها من الرحمة ما فيها على جميع الخلق، وحضارة المسلمين تشهد بذلك، خاصةً في عصر الخلافة الأموية والعباسية، حيث أصبحت بغداد ودمشق والأندلس منارات للعلم في الطب والصيدلة والكيمياء وباقي العلوم، فقصدها طلاب العلم من كل أصقاع الارض، فلله الحمد والمنة فلقد برهنوا أنهم **(خير أمة أخرجت للناس)** .

أسال الله تعالى أن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأن يجنبنا الخطأ والزلل، ويحفظنا من الأمراض والأسقام والبلاء والمحن، ونعوذ به من كل شر، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفصل الأول
تاريخ صناعة الأدوية وتجارتها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أنزل عليه خيرَ كتبه، وأرسله بأكمل شرائعه، أنقذ به البشرية من الشقاء، وأقام الله تعالى به الملة العوجاء، بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وفتح الله تعالى بدعوته أعيناً عُمياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلفاً، وجعل طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم من طاعته، وجعل الذل والصَغار على من خالف أمره، ومن أقام سنته أقام الدين، ومن رغب عنها كان من الخاسرين، ومن خالف شرعه فهو الذميم السقيم، وأصلي وأسلم على طبِ القلوبِ ودوائِها وعافيةِ الأبدانِ وشفائِها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرشدنا إلى الحفاظ على صحتنا في المأكل والمشرب والنظافة، وأرشدنا للتداوي فكان لابد أن نتداوى، إذ أن لكل داء دواء، لقوله صلى الله عليه وسلم: (**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**)[1].

كان لابد من اكتشافٍ للدواء، حيث بدأ الانسانُ في العصرِ القديم بالتداوي بأعشاب يراها تصلح للداء الذي يعاني منه، فسنة النبي صلى الله عليه وسلم شقيقة القرآن ومثيلته في الحجية والاعتبار، من أنكرها أنكر القرآن، ومن عمل بها حقق القرآن، ومن رام الهدى هاجراً لها ضل وغوى، ومن زعم اقتصاره على القرآن

[1] أخرجه مسلم في صحيحه (٥٨٧١)، كتاب:السلام، باب:لكل داء دواء واستحباب التداوي، دار الجيل بيروت،ج ٧ ص ٢١.

دونها كان متبع الهوى، من هنا يعدُّ اعتناء الإسلام بالطب والدواء وعلاج السقيم من مبادئ هذا الدين وإن طهارة الأدوية المصنعة من المحرمات.

لقد بين حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لأغلب الأمراض علاجا سُميّ بعدها بالطب النبوي ففيه من التقنية والإبداع ما فيه، ولما انتقل الاسلام من عصر الخلافة الراشدة بأسُس من الطب النبوي اتسع العلم والفكر عند المسلمين في عصر الخلافة الأموية، حتى لمع علمهم في البلاد وشاع ذكره بين العباد، وحتى أصبحت دمشق منارة للعلم والتعليم وكذلك الأندلس في عصرهم قد ازدهرت. بعد ذلك نضج علم الطب في عصر الخلافة العباسية وأكتمل الجمال بنشر المكاتب والاهتمام الخاص من الخلفاء والأمراء في تحصيل ذلك واجتهاد العلماء أيضا، وذلك بترجمة كتب الطب القديمة واستنباطهم وتطوير العلوم الطبية، حتى أصبح عصرُ الخلافة العباسية عصر العلم والعلماء وكانت بغداد ودمشق والأندلس ثلاث مدن تعج بعلومها وطلابها من أقصى الأرض إلى أقصاها.

المبحث الأول
تاريخ الأدوية البشرية في العصر القديم

الحمد لله الذي علم الانسان فأرشده إلى علاج المرضى من العلل والأسقام، فهو الشافي للأمراض في الأبدان والنفوس. وأصلي وأسلم على طبِ القلوبِ ودوائِها وعافيةِ الأبدانِ وشفائِها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: تعريف الأدوية

الأدويةِ لغةً؛ يقال داواه أي عالجهُ، ويقال: هو يدوي ويداوي أي يعالج، والدواءُ: ما عولجَ بهِ الفرسُ من تضميرٍ وحنذٍ، وما عُولجَت به الجاريةً حتى تستمنْ[1].

يلاحظ أن أدهش صفات الأدوية التنوع الهائل في مفعولها وتأثيراتها على الجسم، فمثلا قد يكون الدواء منشطا لعضلة الرحم أو مثبطا لها، وقد يساعد المرأة على الحمل أو يحول دون ذلك، وبعض الأدوية تقوي عضلة القلب وأخرى تهدئها، وأدوية توسع بؤبؤ العين وأخرى تقبضه، وأدوية تخثر الدم وأخرى تميعه، وهناك أدوية مقيئة وأخرى مضادة للقيء، وأدوية مدرة للبول وأخرى معرقة، وأدوية مقشعة تطرد البلغم وأخرى مسكنة للسعال فتوقفه، بينما أدوية أخرى تعمل على قبض الأمعاء فتتمسك محتوياتها، كما أنه توجد أدوية تسكن الألم أو تزيل

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت ١٤/٢٨٠ - ٢٨.

الصداع أو تخفض درجة الحرارة، أو تزيد من نشاط الغدة الدرقية أو غيرها من الغدد الصماء، كما أن هناك أدوية منومة وأخرى مؤرقة تساعد على السهر[1].

الأدوية اصطلاحا؛ هي كل مادة أو مجموعة مواد تستعمل في تشخيص الأمراض أو شفائها أو تخفيف آلامها أو الوقاية منها، وتشمل المواد التي تؤثر في بنية الجسم ووظائفه[2].

يُحدث الدواء تأثيرهُ بالكائن بتفاعلهِ مع عضوٍ من أعضاءِ الجسم أو خليةٍ من خلاياه أو فيروسٍ أو مكروبا وخلايا سرطانيةٍ تُلحق بهِ المرض.

كان للعرب والمسلمين أبلغ الأثر في تقدمِ وتَطوير (علم الأدوية)، بين القرن السابع والقرن الحادي عشر الميلادي، وكان لهم أثر كبير في إثراءِ علم الكيمياء الذي يُعتبر الدعامة الأساسية لاكتشاف الآلاف من الأدويةِ المصنعة كيميائيا، ولقد استفاد علماء الغرب من خبرة وتجارب علماء الكيمياء العرب، مثل جابر ابن حيان[3] الذي ثبّت دعائم الكيمياء وبين أهمية التجربة، وأوصى بدقة الملاحظة، وهو الذي عرّف العمليات الكيميائية، وتُرجمت كتبه إلى اللاتينية وبقيت مرجعاً يُعتمد عليه في الكيمياء لمدة ألف عام.

---

[1] العلمي، د. رياض رمضان، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم، مجلة آفاق علمية، العدد الأول، اغسطس ١٩٨٥، الكويت، ج ١، ص ٩.

[2] الحلاق، د. بسام بدوي، علم الدواء الحديث، الطبعة الأولى، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٩، ص ١١.

[3] ابن حيان القرطبي (٣٧٧ - ٤٦٩ ه = ٩٨٧ - ١٠٧٦ م) هو حيان بن خلف، مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، هو من أهل قرطبة، وله كتاب " المقتبس في تاريخ الأندلس " في عشر مجلدات، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر بيروت، ج ٢، ص ٢١٨.

المطلب الثاني: الأدوية واكتشافها عند اليونان

نشأت المداواة مع الألم، والألم قدر الإنسان من مهده، قال تعالى: **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ** (البلد: ٤) وانشغل الناس في المعالجة منذ بداية آلامهم في الغابات والبراري، لذا لابد أن يكون أول من مارس الطب هو سيدنا آدم عليه الصلاة السلام عندما ساعد أمنا حواء وهي تضع مولودها الأول، وقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وخلق معه الداء والدواء، فالدواء موجود على وجه البسيطة منذ القِدم ويعتبر الدواء نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى إذا ما أحسن استعماله، ولكنه يعتبر نقمة إذا ما أسيء استعماله، فهو سلاح ذو حدين.

حاول الإنسان منذ فجر التاريخ (القصد بعد آدم عليه السلام) أن يعالج نفسه بنفسه من الأمراض بتناوله أشياء غريبة، ولا تزال بعض المجتمعات البدائية في أدغال أفريقيا وأمريكا الجنوبية تحتفظ بأدويتها وعقاقيرها الخاصة بها، تتوارثها جيلاً بعد جيل بالخبرة والتجربة.

ومن هذه التجربة نجد استخدام الإنسان للحيوانات والنباتات والمعادن عبر التاريخ الطويل لمعالجةِ أمراضه كمسحوق قرن غزال أو مخلب حيوان أسطوري أو فضلات الكلاب المجففة، حتى بول الأطفال والإبل، ولا عجب إذاً أن تحتوي بردية إيبرس[١]، على أكثر من ٧٠٠ دواء تعود إلى حوالي ٣٥٠٠ عاماً ما زال بعضها مستعملاً حتى الآن، واستطاع الإنسان أن يكتشف بوسائله البسيطة وغريزته الفطرية البدائية

[١] بردية ابيرس هي أول بردية كتبت في تاريخ البشرية، وتعتبر أجدى البرديات الطبية المصرية، التي تعتني بمعرفة الأعشاب، يعود تاريخها إلى ١٥٥٠ قبل الميلاد، توجد حاليا في جامعة لا يبتزغ في المانيا.

عدداً من المواد الطبيعية، استخلص منها عناصر علاجية قوية المفعول من أهمها وأكثرها شجرة السنكونا، التي يحوي لحاؤها مادة الكينين (مادة دوائية) الذي مازال هو ومشتقاته حتى الآن مستعملا في معالجة مرض الملاريا وتخفيض درجة الحرارة[1] .

كما كان الإنسان يدافع عن نفسه ويحميها من الحشرات السامة والحيوانات المفترسة، ويضمد جراحاته وكسوره، غير أنه اعتقد أن الأمراض التي كانت تصيبه لابد أن سببها الأرواح الشريرة، فكان لابد من اللجوء إلى الشعوذة والخزعبلات والاستعانة بالتعاويذ والتمائم لطرد هذه الأرواح الشريرة التي كانت تسكن جسم المريض.

ترتب على ذلك ظهور السحرة والكهنة الذين كانوا يتمتعون بنفوذ قوي وسلطة جبارة، حيث استغلوا بساطة الإنسان القديم فجربوا عليه مختلف الأدوية المرة والكريهة والسموم القاتلة فكان مصيره في كفة القدر.

ولتهدئة هذه النفوس والأرواح الشريرة التي طغت عليه وعلى حياته اضطر الإنسان القديم إلى تقديم القرابين وحمل التمائم المصنوعة من العاج، كما لجأ إلى تغيير اسمه لخداع الأرواح الشريرة متوهما أن ذلك يساعده على التخفي والتخلص منها، وفريق آخر اعتقد أنه لو طلى الواحدُ منهم جِسمَهُ بألوانٍ كثيفة ومختلفة تنصرف عنه الأرواح الشريرة فيُصبِحُ في مأمنٍ منها، ولذلك ما زلنا نرى حتى الآن بعض القبائل الأفريقية بوجوههم الملونة وأجسادهم المخططة، إذ تخيل الإنسان القديم

---

[1] العلمي، د رياض رمضان، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم، مجلة آفاق علمية، العدد الأول، اغسطس، ١٩٨٥، الكويت، ج ١ ص ٢٢.

وجود آلهة فاستعان بها ضد المرض، لاعتقادهم أن هناك آلهة للخير وآلهة للشر تتحكم في الألم والولادة والحياة والموت، واعتقدوا أن المرض ما هو إلا عقاب إلهي وليس للمصاب أن يتخلص منه إلا بعد أداء بعض الأعمال والحركات والصلوات لتحرير جسمه وشفائه.

ومن أقوال أصحاب العقيدة الفاسدة، إذ سيطر على أذهانهم وعقولهم الكثير من الأوهام والأساطير والخزعبلات التي تتعلق بفوائد النباتات والحشائش في المعالجة، فاعتقدوا مثلا أن نباتا جذوره تشبه شكل الإنسان لابد من أن يشفي من جميع الأمراض، وأن ورقة نباتية تشبه الكبد تشفي من أمراض الكبد، وأن ثمرة نبات تشبه القلب فلابد من أنها تنفع في معالجة القلب وأمراضه وانفعالاته، أما إذا اهتزت ورقة النبات بحركة معينة فلا شك من أنها تنفع في معالجة الرجفة، أما إذا نبت النبات على الصخر فهو يفتت حصى الكلى والمثانة.

يرى الباحث هنا أن العقيدة كانت مرتكزا لدى المريض، ولاشك أن الطب والعلم خالفها لأنها عقيدة فاسدة وهنا يشير الباحث أن المسلم بعقيدته السليمة يتتبع ما أمر به الإسلام وما نهى عنه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، لكن شتان بين أصحاب العقيدة الفاسدة التي كانت لا تدلهم على خير ولا هدى وبين ما أوضحه الإسلام، إذ أوضح الإسلام العلاج أو الفائدة بتناول بعض الأغذية على سبيل المثال التمر وما وجدوا به من فوائد عظيمة قال تعالى: **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** (الرحمن – ٦٨).

يثبت العلم أن أكثر الأطعمة فيها فائدة للإنسان هي الفاكهة بأنواعها المختلفة فقد جمع سبحانه فيها من الغذاء والدواء ما جعلها مكتملة العناصر اللازمة لصحة الابدان، وقد خص الله العليم الخبير بما خلق بعض أنواع الفاكهة التي ذكرها في هذه الآية بأنها ذات فائدة غذائية أكثر من غيرها وهذه هي النخل والرمان، أما النخل فقد دلت التحاليل الكيميائية على أن التمر يحتوى على نسبة مرتفعة من السكريات (٧٦ تقريبا) ويستفيد الجسم من التمر في إنتاج طاقة عالية وسعر حراري كبير علاوة على ما يحتوى عليه من عناصر الكالسيوم والحديد والفسفور وكميات من الفيتامينات الواقية من مرض البلاجرا (وهو أحد أمراض سوء التغذية ويرجع هذا المرض في الغالب إلى النقص الشديد لفيتامين B3) .

مما يجعل التمر غذاء كاملا[١]، لقوله صلى الله عليه وسلم: **(يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لاَ تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لاَ تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ)** قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً[٢] .

من هنا فإن الإسلام حض على أكل هذه الفاكهة أو الطعام لما فيها من فوائد عجيبة ومغذية لجسم الإنسان اذ يتحول إلى طاقة في الجسم وإظهار علامة الشبع، فهو فاكهة وطعام أي التمر، ومن الحق أن يقال: إن العالم وقف بكل احترام لهذه العقيدة السليمة عندما وجدوا الفوائد الكبيرة في التمر.

أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن التمر يضفي السكينة والهدوء على النفوس المضطربة والقلقة، وكذلك يعادل من نشاط الغدة الدرقية حين تزداد إفرازاتها،

---

[١] محمد اسماعيل ابراهيم، القرآن وإعجازه العلمي، موقع يعسوب، ج ١ص ١٦٢.

[٢] أخرجه مسلم (٥٤٥٨) باب في ادخال التمر ونحوه من الاقوات، ج ٦ص ١٢٣.

فيؤدي ذلك إلى اعتدال المزاج العصبي، ومن هنا ينصح الأطباء بإعطاء أي طفل ثائر، عصبي المزاج، بضع تمرات صباح كل يوم لتضفي السكينة والهدوء على نفسه وللحد من تصرفاته العصبية واضطراباته.

والتمر يفيد في حالة اضطراب المجاري البولية، ويدر البول، ويساعد الجهاز الهضمي، وينبه حركته ويقلل من حالات الإمساك، كما أنه يقطع السعال المزمن وأوجاع الصدر، ويستأصل البلغم وخصوصا إذا كان على الريق، كما أنه يسبب تعديل حموضة الدم لما يحتويه من أملاح معدنية قلوية، والمعروف أن حموضة الدم هي السبب في عدد غير قليل من الأمراض الوراثية كحصيات الكلى والمرارة والنقرس وارتفاع ضغط الدم وغيرها.

وقد جاء في كتب الطب القديم أن أكل التمر والعجوة على الريق يقتل الديدان[1].

لقد بدأت المعالجة حيث كان الإنسان يلاحظ الحيوانات قوية الغريزة فيتبعها ليستدل منها على النباتات الصالحة والمفيدة؛ فعندما كانت الكلاب تشعر بالانحراف في صحتها كانت تأكل أعشابا معينة لتهدئة اضطراب المعدة، وكانت القطط تبحث عن نبات النعناع وتأكله بنهم شديد عندما تشعر بالتخمة لطرد الرياح والغازات من المعدة، وقد تبين فيما بعد أنه يحتوي على زيت طيار يطرد

---

[1] أبو إسحق العراقي، أسباب الشفاء من الأسقام والأهواء المكتبة الجامعة الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤، ج ١ ص ١٩١.

الرياح، عندها أصبح للإنسان خبرة في التداوي ببعض الأعشاب. أما الهنود الحمر[1] الذين يقطنون جبال أميركا الجنوبية اعتادوا على مضغ أوراق نبات الكوكا، كي تزيد من نشاطهم وقوة تحملهم، إضافة لشعورهم بالسعادة، وكانوا يستهلكون كميات لا بأس بها من العطور المختلفة التي يحصلون عليها من الأدغال، خصوصا أثناء المناسبات والحفلات الدينية من أجل مفعولها المهلوس، وكانوا يستعملون نبات الكوراري في تحضير السهام المسمومة كي يصطادوا بها فرائسهم من الحيوانات أو لقتل أعدائهم، وقد تبين فيما بعد أن نبات الكوراري يعمل على ارخاء العضلات فتتوقف عملية التنفس وينتج عن ذلك موت الفريسة. لذلك صار وجود الكوراري الآن في غرف العمليات الجراحية الحديثة أمر في غاية الأهمية والضرورة.

---

[1] هم سكان امريكا الاصليين ٨٠٪ من هنود "كاليفورنيا" مثلاً أبيدوا خلال عشرين عاماً فقط، وهلك الباقون بسبب العمل الشاق حتى الموت "بالسُخْرة" في سبيل رفاهية "السادة" البيض أجداد "جورج بوش"!! وكان اكتشاف مناجم الذهب والمزارع الشاسعة في كولورادو وغيرها من ولايات الذهب وبالاً على الهنود المساكين، إذ دفعت رغبة البيض المجرمين في الحصول على أيدى عاملة رخيصة إلى تنشيط أخس وأقذر تجارة في التاريخ بأمريكا، وهى خطف الأطفال والشباب لاستعبادهم ! وهكذا نشطت تجارة خطف أطفال الهنود من مختلف مناطق أمريكا.وكانت صحف تلك الفترة تمتلئ بصور الشاحنات المكتظة بأطفال الهنود الحمر المتجهة عبر الطرقات الريفية إلى أسواق العبيد في "سكرامانتو" و"سان فرانسيسكو" ليتم بيعهم إلى أصحاب المناجم والمزارع. ومع نهاية القتال في سنوات الاحتلال الأولى، زاد الإقبال على خطف الفتيات - بصفة خاصة - فَهُن يقدمن خدمة مضاعفة " للسادة البيض" العمل الشاق نهاراً، والجنس الإجباري ليلاً (!!).. وأما الآباء الهنود المساكين فإن الغضب والأسى، الناجم عن خطف واغتصاب واستعباد فلذات أكبادهم، كان معناه أنهم - في نظر الأسياد البيض - "عناصر شغب" تستحق الإعدام فوراً وبلا محاكمة!! وبذلك تحول الخاطفون إلى "أبطال وطنيين أمريكيين" يساهمون في التخلص من "المشاغبين الهنود" على "أمن الدولة".

وفي مجالس زعمائهم كان الساقي يقدم للضيف نبيذاً مخلوطاً بمستخلص من نبات الداتوره، ليقضي عليه أو ليفقده وعيه، ليسلب ما يحمله، وقد يتبين أن نبات الداتوره يحتوي على مادة (الأتروبين ومادة سكوبولامين) وكلاهما قلوي قوي المفعول.

الجدير بالذكر أن قدماء الاغريق[١] استعملوا هذا النبات لنفس الأغراض في معابد أبولو وديلفي في الجزر اليونانية، وهو ينتمي لنفس العائلة الباذنجانية التي ينتمي إليه نبات البلادونا، وتحتوي الداتوره على قلويدات مشابهة من شأنها توسيع بؤبؤ العين، ولذلك كانت نساء تلك العصور يستعملن هذا النبات في توسيع حدقات عيونهن، من أجل إضفاء سحنة من الجمال على وجوههن، فهو يوسع الحدقة لكن لا يؤذي العين حتى تعطي جمالا بكبرها، ومن هنا أتت لفظة بيلا (جميل) ودونا (سيده)، وما زالت هذه النباتات ومحتوياتها تتمتع بمكانة مرموقة في عالم الدواء حتى يومنا هذا[٢].

الأدوية واكتشافها عند اليونان:

قامت في القرن الخامس قبل الميلاد نهضة الطب على العقل لا على الخرافة، لأن الطب اليوناني قبل ذلك الوقت كان وثيق الارتباط بالدين إلى حد كبير، وكان

---

[١] الاغريق شعب صغير من شعوب البحر الأبيض المتوسط في جانبه الأوروبي، ينتسب له الغرب فكريا وحضاريا بعد ثلاثة عشر قرنا من الانقطاع ويصبغون بمصطلحاته الحياة الفكرية المعاصرة رغم أن الغرب لم يعرف تراث اليونان إلا من خلال المسلمين في فجوة تزيد عن عشرة قرون، الذاكرة التاريخية للأمة - د. جاسم سلطان، ج ١ ص ٣١.

[٢] العلمي، د. رياض رمضان، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم، ج ١ ص ٣٥.

كهنة هيكل اسقليبيوس ASClePiUS[1] لايزالون يقومون بعلاج المرضى، وكان العلاج في هذا الهيكل يقوم على خليط من الأدوية التجريبية والطقوس الدينية والرقى السحرية التي تؤثر في خيال المريض وتطلق عقاله، وليس ببعيد أنهم كانوا يلجؤون إلى التنويم المغناطيسي وإلى بعض المخدرات، وكان الطب الدنيوي ينافس الطب الديني ويحاول أن يتغلب عليه، وكان أنصار هذا وذاك يعزون منشأ علمهم إلى اسكليبيوس (اسقليبيوس) ولكن الأسكليبيوسيين غير الدينين كانوا يرفضون الاستعانة بالدين في عملهم، ولا يدعون أنهم يعالجون المرضى بالمعجزات وقد أفلحوا شيئا فشيئا في إقامة الطب على قواعد العقل.



واتفق كثير من قدماء الفلاسفة والمتطببين على أن اسقليبيوس، كما أشرنا إليه أولاً، هو أول من ذكر من الأطباء وأول من تكلم في شيء من الطب على طريق التجربة، وكان يونانياً، واليونان منسوبون إلى يونان، وهي جزيرة كانت الحكماء من الروم ينزلونها، وبما أنه ذكر اسقليبيوس لابد أن نذكر ما اشتهر به على اعتقاده أنه إله الطب لقصة حصلت، وبسبب هذه القصة تم وضع شعار الصيدليات والصورة توضح المغزى.

---

[1] اسقليبيوس كان قبل الطوفان الكبير، وهو تلميذ أغاثوذيمون المصري وكان أغاثوذيمون أحد أنبياء اليونانيين والمصريين وتفسير أغاثوذيمون السعيد الجد، وكان اسقليبيوس هذا هو البادئ بصناعة الطب في اليونانيينعلمها بنيه وحذر عليهم أن يعلموها الغرباء.عيون الانباء في طبقات الاطباء باب رجع الكلام إلى ذكر اسقليبيوس، ج ١ ص ١٢.

لمحة سريعة على الشعار على ابواب الصيدليات اليوم: الرجل هو (اسقليبيوس) والعصا شعار المسافر الذي لا يقر له قرار، والثعبان دليل المعرفة، فهو الذي عَرَّف اسقليبيوس بنبتة الحياة، ولهم في ذلك قصة، وهى أن اسقليبيوس هذا كان مسافراً، وفى أحد الأيام برز له ثعبان ميت وهو في الفلاة، وبينما هو ينظر إليه إذ خرج ثعبان أخر يحمل في فِيه نبتة وضعها في فم الثعبان الميت وما هي إلا لحظات حتى عادت الحياة إلى الثعبان الأول، فعلم اسقليبيوس بسرّ هذه النبتة وأصبح يستخدمها في إحياء الموتى.

الملاحظ أن معظم الصيدليات لا تضع صورة اسقليبيوس وإنما صورة العصا والثعبان، وأحيانا الثعبان ملتفاً حول كأس، وللكأس أيضا قصة عندهم، فهذا الشعار يعود لهذا الاعتقاد أن اسقليبيوس يحيي الموتى[1].

يستنتج الباحث أنه لابد من الوقوف عن اتباع هذا الشعار والغفلة عند المسلمين والأولى لكل مسلم مختص بمجال الطب والصيدلة أن يستبدل بهذا الشعار شعاراً آخر، خاصة أن المسلمين لهم السبق الكبير في علم الصيدلة، فإذا كان استخدامه اعتقاداً فيكون حراماً، وإن كان من دون اعتقاد ففيه كراهة، أما اتباعه دون معرفة ولا اعتقاد فلا شيء فيه وإن كان الأولى الابتعاد عنه احتياطا.

[1] عيون الانباء في طبقات الاطباء باب رجع الكلام إلى ذكر اسقليبيوس ج ١ ص ١٠.

أعظم علماء الطب الذين اكتشفوا الدواء هو (أبقراط) : أبقراط هو أبو الطب والأطباء[1]، وكان يتحلى بصفات ممتازة، ومن أهم إنجازاته أنه فصل الطب عن الدين ووضع له دعائم وأسساً معينة، وقد ألف أبقراط أكثر من ستين كتابا في الطب أشهرها الأمراض الخبيثة، والأمراض الحادة، والأمراض الوافدة، وأمراض النساء والكسور، كما يعود إليه الفضل في نقل طرق الشفاء من عهد السحر والشعوذة إلى عهد الملاحظة والتجربة، واعتبر الأمراض ظواهر طبيعية، ولم يحبذ استعمال الأدوية إلا في الحالات القصوى، وكان يترك للطبيعة أمر استرداد المريض لعافيته[2]؛ أي مواد الطبيعة التي تحمل الفيتامينات كالحمضيات من الفواكه والزيت والزنجبيل وهكذا الخ.

وصية أبقراط: هذه نسخة وصية أبقراط المعروفة بترتيب الطبيب، قال أبقراط ينبغي أن يكون المتعلم للطب، في جنسه حرا (لا عبدا) وفي طبعه جيداً، حديث السن، معتدل القامة، متناسب الأعضاء، جيد الفهم، حسن الحديث، صحيح الرأي عند المشورة، عفيفاً شجاعاً، غير محب للفضة (أي للمال)، مالكا لنفسه عند الغضب، ولا يكون تاركا له في الغاية، ولا يكون بليداً، وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه، حافظاً للأسرار، لأن كثيرا من المرضى يطلعون

[1] أبقراط الحكيم أحد أطباء اليونان ولد في حدود ٤٦٠ ق. م. وهناك قول انه ولد في سنة مائة وست تسعين لبخت نصر، فيكون أبقراط قبل الهجرة بألف ومائة وبضع وسبعين سنة، فالكتب التي لا بد للمتطببين من معرفتها من كتب أبقراط أربعة، وهي: كتاب الفصول، وكتاب تقدمة المعرفة، وكتاب الأهوية والأزمنة، وكتاب ماء الشعير، قول الفلاسفة المنتسبين للاستلام، ج ٦ ص ١٧٢.

[2] العلمي، د رياض رمضان، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم ج ١ ص ٣٩.

الطبيب على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم، وينبغي أن يكون متحملاً للشتيمة، لأن قوما من أصحاب الوسواس السوداوي يقابلونا بذلك، وينبغي لنا أن نحتملهم عليه، ونعلم أنه ليس منهم، وإن السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة، وينبغي أن يكون حلق رأسه معتدلاً مستوياً، لا يحلقه ولا يدعه كالجمة، ولا يستقصي قص أظافر يديه ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه، وينبغي أن تكون ثيابه بيضاء نقية لينة، ولا يكون في مشيه مستعجلاً، لأن ذلك دليل على الطيش، ولا متباطئاً لأنه يدل على فتور النفس، وإذا دعي إلى المريض فليقعد متربعاً ويختبر منه حاله بسكون وتأن لا بقلق واضطراب، فإن هذا الشكل والزي والترتيب عندي أفضل من غيره.

إذاً الطبيب على رأي أبقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال:

الأولى: أن يكون تام الخلق، صحيح الأعضاء، حسن الذكاء، جيد الرؤية، عاقلا، ذكورا، خير الطبع.

الثانية: أن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة، نظيف البدن والثوب.

الثالثة: أن تكون كتوماً لأسرار المرضى، ولا يبوح بشيء من أمراضهم.

الرابعة: أن يكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة، ورغبته في علاج الفقراء اكثر من رغبته في علاج الأغنياء.

الخامسة: أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس.

السادسة: أن يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل المرضى، فضلا عن أن يتعرض إلى شيء منها.

السابعة: أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال، ولا يصنع دواء قتالا وهو لا يعلمه، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه[1].

ويرى الباحث؛ أنه حبذا لو كان لطالبِ الطب والصيدلة وكل مختصٍ بعلم الأدوية أن يكونَ له امتحان أخلاقي مرادف للامتحان الوطني، إذ إن الامتحان الوطني هو عصارة ما تلقاه من علم الطب والأدوية، والامتحان الأخلاقي المقصود منه أخلاق الطبيب أو الصيدلاني بكيفية التعامل مع المريض والصفات الطيبة التي ينبغي أن تكون فيه حينها لا يكون منشغلاً في هذا الفن إلا أهلهُ الحقيقيون، عندها نجد الطبيب الحقيقي الذي يضع الدواء على الداء، وما رآه أبقراط في صفات الطبيب، أطباؤنا وصيادلتنا هم بأمس الحاجة إليها اليوم لانهم وللأسف الشديد الكثير منهم ابتعدوا كل البعد عن هذه الصفاة الرائعة التي ينبغي أن لا يتخلى عنها أبدا وتكون جزءا من شخصيته.

ويرى أبقراط أن ارتفاع درجة الحرارة دليل على مقاومة الجسم للأمراض، وقد ازداد اهتمام أبقراط بالعديد من الأمراض كالخناق والصرع وذات الجنب واضطرابات القلب والكبد والكلى، ووصف تشنجات الكزاز، كما كان من أوائل المهتمين

[1] د. مايكل هارت دراسة في المائة الأوائل، دار الترجمة دار قتيبة، المترجم خالد عيسى وأحمد سبانو، مكتبة الايمان القاهرة، ج١، ص ١٢٥.

بالحمل، وعرف أن مدته ٢٨٠ يوما، واهتم بالوضع والإجهاض والختان، ووصف أبقراط مرض السل ووضع وصف للمريض الذي يشكو من التهاب الصفاق (الغشاء البريتواني) ومازال الأطباء حتى الآن يطلقون على هذه الحالة وجه أبقراط، كما كان له فضل كبير في الجراحة، وابتكر كثيرا من الآلات الجراحية، وكان أبقراط أيضا صيدلانيا فذا، فقد ذكر أكثر من ٢٣٥ دواء، وكان يحضر أدويته بنفسه ويستعملها بنفسه، منها الأدوية الداخلية، كالأمزجة والأقراص والحبوب، وأدوية خارجية كالكمادات والأقماع والتحاميل والمراهم والقطرات، ولم تتجاوز وصفته أربعة أصناف، ولم يهتم بالربح المادي، وكان يلتزم بالأخلاق السامية والعطف والمعاملة الحسنة، فهو الذي وضع قَسَم أبقراط المشهور والذي يلتزم به الأطباء حتى يومنا هذا، توفى أبقراط عام ٣٧٧ ق. م، عن ٨٥ عاما[١].

ويعلق الباحث على أن أبقراط كانت وصفته لا تتجاوز أربعة أصناف ولم يهتم بالربح المادي، ما أروع هذا الصفة حبذا لو درسها أطباؤنا بدقة عالية فينظرون إلى المريض على أنه أمانة بين أيديهم فلا يكثر له أصناف الأدوية في وصفته الطبية، إذ تعود الوصفة الكبيرة إلى أمرين إما جهله بما ينفع المريض فيعطيه الكم الأكبر من الأدوية لعلها تصيب عين المرض لقلة حذاقته في التشخيص، أو الأمر الثاني إرضاء للشركات الداعمة له، وهذه دعوة من الباحث لكل طبيب أن لا يبيع ضميره فالله سيوقفه يوم القيامة ويسأله عن ذلك هل كتب في وصفته ما ينفع المريض أم بما يدر عليه ربحا أكثر، قال تعالى: **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** (الصافات: ٢٤).

[١] د رياض رمضان العلمي، الدواء من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، ج ١ ص ١٩.

المطلب الثالث: الأدوية واكتشافها عند المصرين القدماء

تعودُ حضارة قدماء المصريين إلى أكثر من ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد، حيث كان الطِبُ عندهم خليطاً من السحرِ والشعوذةِ والطلاسمِ، وكان من أشهر من مارس الِطبَ عندهم امنحوتب عام ٢٩٠٠ قبل الميلاد الذي اعتبروه إلهاً فأقاموا له المعابد والتماثيل وقدموا له القرابين، ومن أشهر المعابد معبد ممفيس.

يعتبر أمنحوتب أول طبيب في العالم، فقد كان مشهورا بعلوم الهندسة، وعمل كحكيم في بلاط الملوك، ونظرا لحكمته المفرطة فقد اقترن اسم امنحوتب بآلهة الحكمة أبيس، وتدل الاكتشافات الهيروغليفية على حضارةِ قدماءِ المصريين، إذ كانت من أشهر الحضارات التي ازدهَرت فيها عُلوم الطبِ والصيدلة، وهناكَ مثلاً، سجل عظيم طُوله ٢٥٠ قدماً بعرض ١٢ بوصة، كُتب في عهدِ النبي موسى عليه السلام، يحتوي على العديد من الأدوية الشافية وطُرق تحضيرها، وكيفيةِ معالجةِ الأمراض بها، كما أظهرت الحفريات وجود آلات جراحية تدل على تقدم فن الجراحة عندهم، وظهرت مستندات تُثبتُ أنهم عرفوا المئاتَ من الأدويةِ النباتيةِ مُعظمها معروفٌ لدينا حالياً، ولعل براعة الفراعنة في التحنيط أكبر دليل على طول باعهم في معرفة علمي التشريح والكيمياء، كما عرفوا المقيئات والمسهلات ومدرات البول.

حيث أقاموا مدارس خاصة لتعليم الطب، ومدرسة للقابلات، وكانت مدرسة طيبة مشهورة بمكتبتها العظيمة والتي استقطبت العديد من علماء العصر من مختلف البلدان، وكانت المدارس تفرض شروطا قاسية على الطلبة أهمها أن يكونوا من

ذوي الأخلاق الحميدة والسيرة المحمودة، وأن تكون عملية الختان قد أجريت عليهم.

وكان الأطباء يتقاضون رسوما باهظة من المرضى، وفي حالة شفاء المريض كان عليه أن يحلق شعر رأسه ويزنه ويدفع مقابل وزنه ذهبا أو فضة للطبيب الذي عالجه[١].

ويعلق الباحث عن ذلك بكلام جميل ولو أنه مبلغ لا يستهان به لكن لا يأخذ أجراً إلا بعد الشفاء، فكيف لو اطلع أطباء المصريين القدامى إلى عصر نهضة الطب والتغني بالأخلاق الطبية وحقوق الإنسان حيث تحتجز بعض المشافي المريض الميئوس من حالته في المشفى حتى يسدد ما عليه، والكثير منهم يعانون من الفقر، ومنهم من يحتجز المريض إذا مات حتى يسدد أقاربه فاتورة المشفى.

أهم الأدوية التي استعملوها: كانوا يحضرون (المر) من الصومال والحجاز إذ لم يكن ينمو في مصر، وقد وجد في توابيت الموتى مع أدوات التحنيط. ولم يكتف (تحتمس الثالث)[٢] بالنباتات المصرية، بل جلب نباتات من سوريا ليزرعها في مصر، وأرسلت الملكة (حتشبسوت)[٣] بعثة إلى الصومال والحبشة لتحضر لها الورد، وقد عُثر على الفجل في مقابر الأسرة الثانية عشرة، أما عصيره فكانوا

---

[١] العلمي، د رياض رمضان، الدواء من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، ج ١ ص ٤٠.

[٢] هو تحتمس الثالث (١٥٠٤ ١٤٥٠ ق.م) أعظم ملوك الأسرة الثامنة عشرة الذي حطَّم تحالفاً من الأمراء الكنعانيين والسوريين تحت قيادة ملك قادش في مجدو عام ١٤٧٩ ق.م. وقد التقى تحتمس بالحيثيين، ولكنه إما هزمهم، أو عقد معهم معاهدة دفعوا له بمقتضاها الجزية، وقد خضعت له سوريا فترة قصيرة، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ج ١ص ٢١٧.

[٣] حتشبسوت أم تحتمس الثالث ١٥٠٧ق - ١٤٥٨ق. م. وفي عهد الملكة حتشبسوت تم الاتصال بين مصر الأم ومصر الفرع ولذلك لم توضع علامة الأرض الأجنبية عن المصريين على اسم بلاد بونت، نبي ارض الجنوب في الاسفار اليهودية، ج ١ ص ١١.

يستعملونه كنقط للأذن، وعثر كذلك على نبات السرمق (شنوبوديوم)، وجاء في البرديات أنهم استعملوا الحنظل والزعتر والزعفران والزيزفون والثوم والبصل والترمس والحلبة والجميز وزيت الزيتون والسمسم والعرعر والخشخاش والرمان وحبة البركة واليانسون والكمون والصفصاف وحب الهيل والبابونج والنعناع والقرنفل وزيت الخروع وغير ذلك. وقد اهتم قدماء المصريين بصفة خاصة بشجرة زيت الخروع لاعتقادهم بفائدتها في شفاء الصداع، فكانوا يسحقون فروع الشجرة ويمزجون المسحوق مع الماء ويضعون كل ذلك على الرأس.

أما المصابون بالإمساك فكانوا يمضغون بضعة بذور من ثمرة الخروع من أجل طرد الفضلات، كما استعملوا شجرة الخروع لتنمية شعر النساء وذلك بتحضير عجينة تتكون من الشحم وتحتوي على مسحوق شجرة الخروع ثم يفردونها على الرأس كاستعمال خارجي، وكانوا يحصلون على زيت الخروع من عصير البذور، وقد استعملوه كمرهم للجروح يضعونه عليه لعدة أيام فتشفيها، واهتموا باستعمال مرهم زيت الخروع خلال الفترة الصباحية وقد استُعملت هذه الأدوية بالأشكال الصيدلية المعروفة، كالمنقوع والمغلي والحبيبات والقطرات والَبَخات والبخور والحُقن الشرجية والمهبلية والتحاميل والمروخ، وقد حضّروا منها أدوية لأوجاع الرأس وأمراض العيون والأذن والفم والأنف والمعدة والأمعاء والكبد والثدي والمجاري البولية والأصابع والأظافر والشعر، وكذلك أمراض النساء والولادة، لذلك يعتبرون أول من اكتشف أدوية التخدير لمنع الألم كما برعوا بالعمليات الجراحية كالختان والخصي وتجبير الكسور والنقب (فتح الدماغ)، كما كانوا أول من مارس جراحة

التجميل[1] . وتمكن علماء الطب المصريون القدماء من اختيار أفضل النقاط في الجسم وأكثرها فاعلية لمعالجة الأمراض عن طريق تدليك بعض هذه النقاط المحددة ببعض الحجارة المدببة. ثم تطور الأمر أخيرا إلى استعمال الإبر الدقيقة.

ويقوم الصينيون في حالة شعورهم بالإرهاق الشديد أو الإجهاد الطويل بالمشي على الحصى بالقدمين عاريتين لمدة عشر دقائق، وذلك بعد أن تبلورت نظريتهم وتأكد لهم أن باطن القدمين يمثلان تقريبا الإنسان كله، حيث تنعكس عليه الحالة الصحية لجميع أجهزته الداخلية وأجزائه الخارجية، وبتدليك تلك الأماكن أو بوخزها بالإبر تقوم بتنشيط الجزء المتصل به. وقد استطاع مجموعة من خبراء الطب الغربي من خلال البحوث المكثفة حول طريقة العلاج عن طريق القدمين اكتشاف أن جسم الإنسان تنعكس فيه مسارات الطاقة الحيوية تماما على باطن القدمين في نقاط ثابتة لها مقاومة كهربية أقل من باقي الجلد المحيط بها، وأن هذه النقاط تمثل الحالة الصحية لأجزاء وأجهزة الجسم المختلفة، فمثلا يمثل باطن الإصبع الأكبر الحالة الصحية للغدة النخامية، ويمثل موضع اتصاله بالقدم حالة مؤخرة العنق، والإصبعان التاليان يمثلان العينان، وهكذا وبتزويد تلك النقاط بالطاقة الكهربية أو الحركية عن طريق الضغط أو التدليك ينعكس ذلك على حالة الجزء الذي تمثله تلك النقاط، وقد ثبت أيضا أن عملية التدليك هذه تنشط إفراز بعض المواد الكيمائية بالجهاز العصبي المركزي فتقضي على الكثير من الأمراض التي لا يعرف لها سبب عضوي، وينصح كبار أطباء العالم من يتعرض من مرضاهم للصداع أو لمتاعب الكبد أو

---

[1] العلمي، د رياض رمضان، الدواء من فجر التاريخ إلى يومنا هذا ج١ ص ٤٢.

التوتر العصبي أو سوء الهضم أو آلام المفاصل بتدليك باطن القدمين في حمام دافئ، على أن يعقب ذلك استرخاء تام لمدة ربع ساعة أخرى، والمشي بانتظام واعتدال يقوم مقام هذا التدليك لو أحسنه الإنسان وعني به[1].

عرف المصريون (الشبت) واستعملوه لإدرار البول، بغليه مع بذوره، وطبخ بذوره مع الحساء لإدرار لبن المرضعات، وقال عنه ابن سينا انه منوم، وإذا سحق وعجن وضمدت به المواسير قاعها وأبرأها[2]. وقد ترك المصريون القدماء آثارا تدل على علومهم ووثقوا ذلك في البرديات أي القراطيس ومنها:

١ - بردية كاهون: اكتشفت هذه البردية عام ١٩٨٩م بمدينة كاهون الفرعونية بالفيوم، وتعود إلى الأسرة الثامنة عشرة (١٩٠٠) ق م جزء منها مخصص للطب البيطري، وتحتوي على ٣٥ وصفة طبية لأمراض النساء والولادة وتشخيص قدرة الإنسان عند المرأة وجنس الطفل (أي تشخيص المناعة).

٢ - بردية أدوين سميث: اكتشفت في الأقصر عام ١٨٦١م ثم درسها المؤرخ بريستد، طولها ٤ . ٦٨ م وعرضها ٣٣ سم كتبت بالحبر الأسود والحبر الأحمر وتتألف من ٤٦٩ سطرا، وذكر فيها ٤٨ حالة من الجروح والكسور والأورام والقرح وكيفية معالجتها، وفيها تعويذة لتحويل الكهل إلى شاب، وأدعية لإبعاد الرياح الموبوءة، ويعود تاريخها إلى عام ١٧٠٠ ق.م.

---

[1] ابو اسحاق العراقي، اسباب الشفاء من الاسقام والاهواء، المكتبة الجامعة، ج ١ ص ٢٦٠.
[2] كمال بن مختار بن إسماعيل بن محمد، كنوز في الرقية والطب النبوي، ج ١ص ٣٨٨.

٣ – بردية إيبرس : أشهر البرديات قاطبة اكتشفها العالم الألماني ايبرس بالقصر، وهي الآن في متحف ليبزج، وتحتوي ٨١١ وصفة طبية طولها ٢٥ م وعرضها ٣٠ سم تتكون من ٢٢٨٩ سطرا وفيها ١٢ وصفة مخصصة للأناشيد والأدعية، وتشتمل كذلك على أسماء الأدوية الخاصة بكل عضو من أعضاء الجسم، إضافة إلى وصف تشريحي دقيق لجسم الإنسان، وتعود إلى عام ١٥٥٠ ق م كما تدل هذه البردية على مهارة الفراعنة في تحنيط الموتى وأنهم تعرفوا على وظيفة القلب والأوعية.

٤ – بردية هيرست : عثر عليها بدير البلاص عام ١٩٠١ م، عرضها ١٧ . ٢ سم وتحتوي على ٢٧٣ سطرا و٢٦٠ وصفة طبية ويعود تاريخها إلى نفس الفترة التي تعود إليها بردية ايبرس أي حوالي ١٥٥٠ ق. م.

٥ – بردية لندن : توجد هذه البردية بمتحف لندن منذ عام ١٨٦٥ م ويبلغ طولها ٢ . ١ سم، وتحتوي على ٦٣ وصفة سحرية لمعالجة أمراض العيون والحروق وأمراض النساء.

٦ – بردية برلين: تم العثور عليها في ضواحي القاهرة قرب أهرام سقارة، وهي الآن بمتحف برلين منذ عام ١٨٨٦ م، ويبلغ طولها ٥ . ١٦ م وعرضها ٢٠ سم وتحتوي على ١٧٠ وصفة طبية[١]، وتعتبر البرديات أقدم مؤلف يضم الوصفات الطبية وطرق تحضيرها، لذلك تعد من أقدم دساتير الأدوية في التاريخ.

---

١ العلمي، رياض رمضان، الدواء من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، ج ١ ص ٢٤.

ويرى الباحث : أن المصريين القدماء كانوا بارعين في علم الأدوية والطب، مع أنهم خلطوا الشعوذة والسحر بالأدوية، الشيء الذي يعد خطأ عند القدامى المصريين واليونانيين والعرب، لكن هذا الفن من العلوم كان ينفي خبثه إذ كان هناك علماء فندوا ذلك وجعلوا علم الطب والأدوية خالصاً من الشوائب، سيّما في العصر الإسلايم ونهضة الطب النبوي الذي ذُكر عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وهو بصريح القرآن وحي من الله عز وجل لأن الله يقول في كتابه العزيز: **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** (النجم : ٣)، لكن القول الحق أن القدماء الذين ابتعدوا عن السحر والشعوذة لهم الباع الأول في تأسيس هذا العلم، فقد عانوا كثيراً لاكتشاف الدواء للداء.

المطلب الرابع: الأدوية واكتشافها عند العرب القدامى

لم يكن العرب نقلة ماهرين لم يعرفوا من العلوم إلا جانبها النظري، كما يدعي بعض المستشرقين، فهذا خطأ وتحامل؛ فقد ثبت أنهم كانوا مبدعين مخترعين أكثر منهم نقلة، قال الدكتور (سارطون)[١] إن بعض الغربيين الذين يجربون أن يستخفوا بما أسداه الشرق إلى العمران يصرحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة ولم يضيفوا إليها شيئا، وهذا رأي خطأ، فلولاهم لم تنقل إلينا كنوز الحكمة اليونانية ولولا إضافاتهم الهامة لتوقف سير المدنية بضعة قرون، وقال غيره إن لم يكن للعرب من الفضل غير إنقاذ الطب والعلوم القديمة من الضياع لكفاهم فخرا،

[١] جورج ألفريد ليون سارطون صيدلي ومؤرخ بلجيكي ١٨٨٤ - ١٩٥٦م عضو في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، الاعلام للزركلي ج ٢٦ ص ١٤٥.

والواقع أنهم لم يقفوا عند الانقاذ وحفظ العلوم القديمة من الضياع بل نقحوها وأضافوا إليها إضافات هامة وأساسية وأعطوها إلى أوروبا منسقة واضحة[١].

واعترف الغربيون بأن الميراث الذي تركه اليونان في الطب وغيره لم يحسن الرومان القيام به، أما العرب فقد أتقنوه وعملوا على تحسينه وإنمائه حتى سلموه إلى العصور الحديثة.

جاء في كتاب تطور الطب المسير (لوليم أوسلر)[٢]: بأن العرب أشعلوا سراجهم من القناديل اليونانية وبلغت مهنة الطب عندهم أثناء القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد من المكانة والأهمية مالا نكاد نجد له مثيلاً في التاريخ. وللعرب فضل كبير على الطب لما لهم من خدمات واضافات ومبتكرات وابداع، إذ عكفوا على دراسة ما أخرجه اليونان والسريان في الطب، وأصلحوا بعضه ثم زادوا عليه زيادات هامة يقول عنها كتاب تراث الإسلام إن العرب زادوا على الطب اليوناني كثيرا وزياداتهم فيه مبنية على التجربة أي أنها كانت عملية، وهذا يرد رأي القائلين بأن علوم العرب كانت نظرية.

وقد ظهرت مؤلفات نفيسة (كالقانون لابن سينا) و (كتاب الحاوي للرازي)، و (كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي)، واستفاد الافرنج من هذا الكتاب في نهضتهم الحديثة فائدة كبرى،

---

[١] الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٥، ص ١٥٠.

[٢] وليام أوسلر طبيب كندي ويعتبر واحد من أعظم رموز الطب في العصر الحديث، ووصف بأنه أبو الطب الحديث، وكان أخصائي علم أمراض ومعلم ١٨٤٩ - ١٩١٩م.

وبقيت بعض المؤلفات الطبية العربية تدرس في جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر للميلاد.

ومما يدل على تقدير الغربيين للطب العربي ورجاله أن جامعة (برنستون) الأمريكية قدرت خدمات الحضارة الإسلامية وفضلها على الإنسانية والثقافة، فراحت تخصص أفخم ناحية في أجمل أبنيتها لمآثر علم من أعلام الحضارة العربية والإسلامية وهو (الرازي)، كما راحت تنشئ دارا لتدريس العلوم العربية والبحث عن المخطوطات وإخراجها ونقلها إلى الانجليزية حتى يتمكن العالم من الوقوف على أثر التراث الإسلامي في تقدم الطب وازدهار العمران، وفي أوج هذه النهضة في شتى العلوم نبغ في علم الطب كثيرون كان لهم نظام خاص يسيرون عليه ورئيس يمتحنهم ويجيز المقتدر منهم. وقد بلغ عدد الأطباء في زمن المقتدر بالله[1] في بغداد ثمانمائة وستين رجلاً سوى من استغنى عن مهنته باشتهاره في التقدم في صناعته، وسوى من كان في خدمة السلطان. وكذلك نبغ عدد غير قليل من النساء كأخت الحفيد بن زهر الأندلسي وابنتها وكانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء.

الفحص الطبي عند العرب: الفحص الطبي عند العرب لا يختلف كثيراً عما هو عليه الآن، فقد كانوا يفحصون البول ويجسون النبض، وانتقدوا كثيرا من آراء أطباء اليونان في هذا الشأن، وأصلحوها وعلقوا عليها، والثابت أنه كان لهم حظ

---

[1] المقتدر بالله: أبو الفضل جعفر بن المعتضد ولد في رمضان سنة (٢٨٢هـ) وأمه رومية وقيل: تركية اسمها غريب وقيل: شغب، تاريخ الخلفاء مطبعة السعادة مصر، ج ١ ص ٣٢٨.

وافر من صدق النظر في التشخيص والعلاج، ولم يشغلوا أنفسهم كما اتهمهم بعض الكتاب بالآراء الفلسفية ونظريات الكهانة والتنجيم.

فقد كانوا يفحصون العليل بكل دقة بكل الوسائط المعروفة لديهم، فيُسأل المريض عما يشكو وعن طريق معيشته وعن عاداته وعن الأمراض التي أصيب بها مسبقاً وعن حالة عائلته الصحية ومناخ بلاده وغير ذلك من السؤالات المفيدة. بعد ذلك كانوا يلاحظون حالة النبض والبول بعناية فائقة، ولاحظ أطباء العرب لون الجلد وملتحمة العين وحالة الجلد عند الملمس سخناً كانا أم بارداً ناعماً أم خشناً، ثم حالة اضطجاع المريض في فراشه وحالة التنفس وعمقه، كما كانوا يتتبعون سير المريض اليومي ويدونون ذلك[١]، وثبت من مؤلفاتهم أن أطباء العرب لم يكونوا حاذقين في التشخيص فحسب، بل أتقنوا فن التفريق بين الأمراض وساهموا في تقدم الطب الداخلي، بل أضافوا إليه إضافات هامة حينما وضعوا لأول مرة وصفا دقيقا لبعض الأمراض المعدية، فابن سينا كان يفرق بين الالتهاب الرئوي وغيره، وبين التهاب السحايا الحاد والثانوي وبين المغص المعوي والمغص الكلوي، كذلك كان أول من كشف الطفيلية الموجودة في الإنسان المسماة (بالانكلستوما)، وكذلك المرض الناشئ عنها المسمى (بالرهقان) وقد كان هذا الاكتشاف في كتابه القانون في الطب في الفصل الخاص بالديدان المعوية، وهذه العدوى تصيب الآن نصف سكان المعمورة تقريبا، وجاء في كتاب القانون لابن سينا ما يدل على أن

---

[١] قدري طوقان، علماء العرب وما أعطوه للحضارة، ج ١ ص ٢١.

العرب عرفوا السل الرئوي وأشاروا إليه بوضوح، وقالوا بانتقال الأمراض بالماء والتراب..

وأما الرازي هو أول من وصف بدقة ووضوح مرض الجدري والحصبة، وابن زهر كان أول من وصف خراج الحيزوم والتهاب التامور الناشف والانسكابي، كذلك قال بالعدوى الوراثية، وكان الطبري أول من كشف الحشرة التي تسبب داء الجرب وقد وصفها في كتابه المعالجة الأبقراطية، وعالج العرب الشلل بالأدوية المبردة خلافا لليونان الذين كانوا يستعملون الطرق الحارة في علاجه، وكذلك وصف ابن سينا الشلل النصفي، وفرق بين شلل الوجه الناتج عن سبب مركزي في الدماغ والناتج عن سبب محلي[1]. وجاء في كتب الرازي وابن زهر تفصيلات لدرس السريريات (فهم بعد أن توسعوا في شرح نظريات المرض وصفوا أعراضه السريرية بعد الملاحظة الدقيقة) حتى القسم الأكبر من كتاب الحاوي للرازي يتألف من سجل دقيق لملاحظاته على مرضاه وعلى سير المرض، كما أن وصف ابن زهر للحوادث السريرية كان دقيقا إلى أبعد الحدود.

العرب أول من استخدم المرقد (المخدر): تقدم العرب في اكتشاف المخدر للعمليات الجراحية والكاويات في الجراحة، وكانوا أول من نبه إلى شكل الأظافر عند المسلولين، ووصفوا علاج اليرقان والهواء الأصفر، واستعملوا الأفيون بمقادير كبيرة لمعالجة الجنون، ووصفوا صب الماء البارد لمعالجة النزيف، وعالجوا خلع الكتف بالطريقة المعروفة في الجراحة برد المقاومة الفجائي، وكانوا أول من كتب في الجذام،

---

[1] المرجع السابق.

وفي إصلاح الخلل الضمي، وأقواس الأسنان، ونسبوا البواسير إلى قبض المعدة وأشاروا بالمأكولات النباتية علاجا لها. أما الوزير (لسان الدين الخطيب)[1] فأثبت أن مرض الطاعون ينتشر بواسطة العدوى، في عصر لم تكن فيه العدوى ولا الجراثيم معروفة لدى أحد.

ويرى الباحث أن العرب كانوا الأبرع في فنون الطب والتداوي، بل تعلم غيرهم منهم.

وختاما لهذا تبين كم كان تاريخ الأدوية شاقاً أمام مكتشفيه فلقد عانوا كثيرا حتى اكتشفوا لكل داء دواء وكم بلغت عراقة ذلك عند الفراعنة إذ مادة التحنيط أقوى شاهد على معرفتهم وفهمهم في مجال الطب والدواء وكذلك اليونان والصينيون والعرب والمسلمون كل قد أبدع في زمانه حتى أعطونا باقة جميلة من معارفهم تدرس لأبنائنا في الجامعات.

---

[1] لسان الدين بن الخطيب ٧١٣ - ٧٧٦ ه / ١٣١٣ - ١٣٧٤ م هو محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله الشهير بلسان الدين بن الخطيب. وزير مؤرخ أديب نبيل. كان أسلافه يعرفون ببني الوزير. ولد ونشأ بغرناطة. واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (سنة ٧٣٣ ه) ثم ابنه (الغني بالله) محمد، من بعده. وعظمت مكانته. وشعر بسعي حاسديه في الوشاية به، فكاتب السلطان عبد العزيز بن علي الميني، برغبته في الرحلة إليه. وترك الأندلس خلسة إلى جبل طارق، ومنه إلى سبتة فتلمسان (سنة ٧٧٣) وكان السلطان عبد العزيز بها، فبالغ في إكرامه، من اشهر كتبه كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة.معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار احياء التراث العربي بيروت، ج ١٥ص ١٩٢.

المبحث الثاني
الأدوية البشرية في العصر النبوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أنزل عليه خيرَ كتبه، وأرسله بأكمل شرائعه، أنقذ به البشرية من الشقاء.

جاءت شريعته أكمل الشرائع السماوية، فلم تغادر شيئاً من مصالح العباد في العاجل والآجل إلا اشتملت عليه، ولم تترك شيئاً من مفاسد العباد إلا نهت عنه ونبهت عليه. لقد اعتنى الإسلام بالطب والدواء وعلاج السقيم من مبادئ هذا الدين وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم لأغلب الأمراض علاجا سمي بعدها بالطب النبوي.

الطب النبوي هو مجموعة من النصائح المنقولة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الطب الذي تطبب به ووصفه لغيره والتي وصلت على شكل أحاديث نبوية بعضها علاجي وبعضها وقائي. وتصنف الأمراض حسب الطب النبوي إلى نوعين مرض القلوب، ومرض الأبدان، وهما مذكوران في القرآن.

مرض القلوب: يقول ابن القيم: "مرض القلوب نوعان: أولاً: مرض شهوة وغي، قال الله تعالى: **يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً** (الأحزاب: ٣٢) فهذا مرض شهوة الزنا. وثانيا: مرض شبهة وشك،قال الله تعالى: **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً** (البقرة: ١٠).

مرض الأبدان: قال الله تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾**(النور: ٦١)؛ "فكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم فعل التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، ولكن لم يكن من هديه ولا هدي أصحابه استعمال الأدوية المركبة التي تسمى ((أقر باذين))، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات، وربما أضافوا إلى المفرد ما يعاونه، أو يكسر صورته (هيجانه)، وهذا غالب طب الأمم على اختلاف أجناسها من العربِ والترك والهنود، وأهلُ البوادي قاطبةً، بينما اعتنى بالمركبات الروم واليونانيون.

اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل إلى الدواء ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل إلى المركب، قالوا: كل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية لم يحاول دفعه بالأدوية، وقالوا: لا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية، فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داء يحلله أو وجد داء لا يوافقه أو وجد ما يوافقه فزادت كميته عليه أو كيفيته تشبث بالصحة وعبث بها، وأرباب التجارب من الأطباء طبهم بالمفردات غالبا، وهم أحد فرق الطب الثلاث والتحقيق في ذلك أن الأدوية من جنس الأغذية، والأمة والطائفة التي غالب أغذيتها المفردات أمراضها قليلة جدا وطبها بالمفردات، وأهل المدن الذين غلبت عليهم الأغذية المركبة يحتاجون إلى الأدوية المركبة وسبب ذلك أن أمراضهم في الغالب مركبة فالأدوية المركبة أنفع لها.

فهذا برهان بحسب الصناعة الطبية، ونحن نقول إن هاهنا أمراً آخر نسبه طب الأطباء إليه كنسبة طب الطرقية والعجائز إلى طبهم، وقد اعترف به حذقهم وأئمتهم؛ فإن ما عندهم من العلم بالطب منهم من يقول هو قياس، ومنهم من

يقول هو تجربة، ومنهم من يقول الهامات ومنامات وحدس صائب، ومنهم من يقول أخذ كثير منه من الحيوانات البهيمية كما نشاهد السنانير إذا كانت ذوات السموم تعمد إلى السراج فتلغ في الزيت تتداوى به وكما رؤية الحيات إذا خرجت من بطون الأرض وقد غشيت أبصارها تأتي إلى ورق (الرازيانج) فتمر عيونها عليها وكما عهد من الطير الذي يحتقن بماء البحر عند انحباس طبعه، وأمثال ذلك مما ذكر في مبادئ الطير أين يقع هذا وأمثاله من الوحي الذي يوحيه الله إلى رسول بما ينفعه ويضره؛ فنسبة ما عندهم من الطب إلى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء، بل هاهنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله والتوكل عليه والالتجاء إليه والانكسار بين يديه والتذلل له والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والإحسان إلى الخلق وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه. وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أمورا كثيرة ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية، بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة الأدوية الطرقية عند الأطباء، وهذا جار على قانون الحكمة الإلهية ليس خارجا عنها، ولكن الأسباب متنوعة فإن القلب متى اتصل برب العالمين وخالق الداء والدواء ومدبر الطبيعة ومصرّفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه.

وقد علم أن الأرواح متى قويت وقويت النفس والطبيعة تعاونا على دفع الداء وقهره، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه وفرحت بقربها من بارئها وأنسها به وحبها له وتنعمها بذكره وانصراف قواها كلها إليه وجمعها عليه واستعانتها به وتوكلها عليه أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية، وتوجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلمة ولا ينكر هذا إلا أجهل الناس وأعظمهم حجابا وأكثفهم نفساً وأبعدهم عن الله وعن حقيقة الإنسان[1] .

يشرح ابن قيم الجوزية خطوات العلاج في ضوء فلسفة الطب النبوي كالتالي:

أمراض المادة أسبابها معها تمدها، وإذا كان سبب المرض معه، فالنظر في السبب ينبغي أن يكون أولاً، ثم في المرض ثانياً، ثم في الدواء ثالثاً، يصف الطبيب، في قوله: هو الذي يفرق ما يضر بالإنسان جمعه، أو يجمع فيه ما يضره تفرقه، أو ينقص منه ما يضره زيادته، أو يزيد فيه ما يضره نقصه، فيجلب الصحة المفقودة، أو يحفظها بالشكل والشبه؛ ويدفع العلة الموجودة بالضد والنقيض، ويخرجها، أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحمية.

يقف الباحث لشرح كلمتين ذكرتا كثيراً وهما الأدوية المفردة والمركبة؛ فالمفردة هي المواد التي تؤخذ من مصدرها النباتي أو الحيواني أو المعدني دون خلطها أو مزجها بدواء آخر وهي تستعمل في البادية، كالعلاج بالعسل ولبن النوق والعلاج بنبة السنمكي. أما المركبة فمزيج من دوائيين مفردين فأكثر.

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي، الطب النبوي، دار الفكر بيروت، ج ١ ص ٦.

المطلب الأول: الأدوية النبوية الإلهية

هديه صلى الله عليه وسلم في العلاج بالأدوية الروحانية الإلهية المفردة والمركبة ومن الأدوية الطبيعية: علاج المصاب بالعين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**العين حق ولو كان شيء سابق القدر، لسبقته العين**)[1]، وُروي أن أسماء بنت عميس[2] قالت: يا رسول الله؛ إن بني جعفر تصيبهم العين، فأسترقي لهم؟ **فقال**: **نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين**[3].

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، باب الطب والمرض والرقى، رقم ٥٨٣١دار الجليل بيروت ج ٧ ص ١٣.

[2] أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة وامها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث الكنانية. أسلمت أسماء قديما وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له بالحبشة عبد الله وعونا ومحمدا. ثم هاجرت إلى المدينة فلما قتل عنها جعفر بن أبي طالب تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبي بكر. ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى، أسد الغابة، لعز الدين أبو الحسن علي بن محمد، المعروف ب " ابن الأثير، ج ١ص ١٣١١.

[3] أخرجه الترمذي (٢٠٥٩) قال: حدثنا الحسن بن علي الخلال. و"النَّسائي" في "الكبرى" ٧٤٩٥ قال: أخبرنا أحمد بن الأزهر. كلاهما (الحسن بن علي، وأحمد بن الأزهر) قالا: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمر، عن أيوب، عن عَمرو بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عبيد بن رفاعة، فذكره.

وعن سهل بن حنيف[1]، قال: رأى عامر بنُ ربيعة[2] سهل بنَ حنيف يغتسل، فقال: والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، قال: فلبط سهل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عامراً، فتغيظ عليه، **وقال: علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت؟ اغتسل له**[3]، فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره في قدح، ثم صب عليه، فراح مع الناس.

وقد قال أهل العلم: يؤمر الرجل العائن بقدح، فيدخل كفه فيه، فيتمضمض، ثم يمجه في القدح، ويغسل وجهه في القدح، ثم يدخل يده اليسرى، فيصب على ركبته اليمنى في القدح، ثم يدخل يده اليمنى، فيصب على ركبته اليسرى، ثم يغسل داخلة إزاره، ولا يوضع القدح في الأرض، ثم يصب على رأس الرجل الذي تصيبه العين من خلفه صبة واحدة[4].

---

[1] سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن خناس، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبت يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناس وكان بايعه يومئذ على الموت وكان يرمي بالنبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسد الغابة، لعز الدين أبو الحسن علي بن محمد، المعروف ب " ابن الأثير، ج ١ ص ٤٨٥.

[2] عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رفيدة بن عنز بن وائلوفد على النبي صلى الله عليه وسلم فسماه عبد الله. نسبه الكلبي وابن حبيب قال ابن حبيب: وفي عنزة أيضا صباح وفي عبد القيس، أسد الغابة، لعز الدين أبو الحسن علي بن محمد، المعروف ب " ابن الأثير، ج ١ ص ٥٥٧.

[3] اخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقى والتمائم رقم (٦١٠٦)ورواه الحاكم في المستدرك من طريق عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه به وقال: هذا حديث صحيح الإسناد انتهى.

[4] الطواري، د. طارق، الرقى والطب، ج ١ ص ١٣.

العين عينان: عين إنسية، وعين جنية. فقد صح عن أم سلمة رضي الله عنها، **أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية فقال: في وجهها سفعة، فقال: استرقوا لها فإن بها النظرة**[1].

ويرى الباحث بأنه كما للأمراض علاج استباقي أو لقاح ضد الأمراض كلقاح الشلل عند الأطفال على سبيل المثال كذلك الأمراض التي تصيب الإنسان جراء (العين) هناك علاج لها، وهو المواظبة على قراءة القرآن والأدعية المأثورة والأهم صلاة الفجر في جماعة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم (**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ**)[2].

هديه صلى الله عليه وسلم في العلاج العام لكل شكوى بالرقية: في الحديث، أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **يا محمد؛ اشتكيت؟ فقال: نعم. فقال جبريل عليه السلام: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك**[3]؛ فإن قيل: فما تقولون في الحديث: لا رقية إلا من عين، أو حمة، والحمة: ذوات السموم كلها؟. فالجواب: أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد به نفي جواز الرقية في غيرها، بل المراد به: لا رقية أولى وأنفع منها في العين والحمة، ويدل عليه سياق الحديث، فإن سهل

---

[1] اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب باب رقية العين رقم (٥٤٠٧) دار ابن كثير - بيروت ج ٥ ص ٢١٦٧.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، رقم ١٥٢٥ دار الجليل بيروت ج ٢ ص ١٢٥

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، باب الطب والمرض والرقى، رقم ٥٨٢٩ دار الجليل بيروت ج ٧ ص ١٣.

بن حنيف قال له لما أصابته العين: أو في الرقى خير؟ فقال: لا رقية إلا في نفس أو حمة ويدل عليه سائر أحاديث الرقى العامة والخاصة.

يرى الباحث أن الاستشفاء مطلوب من المسلم، يبذل في سبيله الغالي والرخيص. ولا يعارض ذلك ما ذكر من أجر المرض لمن صبر؛ ففضل الله على الصحيح عظيم، له مثل أجر المريض أو يزيد. والاستشفاء مطلوب من سائر الأمراض عضوية أو نفسية، ويسلك في سبيله أي الأدوية مادية أو معنوية. وإن الرقية وهي: ما يُقَرأ من الدعاء لطلب الشفاء بالقرآن وأسماء الله وصفاته وبالذكر؛ نوع من العلاج له أثر مادي من الأمراض العضوية، كما أن له أثرا في الجوانب المعنوية، والنفسية. وهذا معهود ومجرب لا يماري فيه عاقل.

هديه صلى الله عليه وسلم في رقية اللديغ بالفاتحة: في الحديث قال: انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم، فلُدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط؛ إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لأُرقي ولكن استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ: (**الحمد لله رب العالمين**)، فكأنما أُنشط من عقالٍ، فانطلق يمشي وما به قلبة، قال: فأوفوهم جُعلهم الذي صالحتموهم عليه، فقال بعضهم: اقتسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا له ذلك، **فقال**: **وما يدريك أنها رقية؟، ثم قال: قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهماً**[١].

[١] أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢١٥٦) باب ما يعطى في الرقية على احياء، دار ابن كثير - بيروت ج ٢ ص ٧٩٥.

هديه صلى الله عليه وسلم في علاج لدغة العقرب بالرقية: في الحديث جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَال: (**أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرُّكَ**)[1]. يدل هذا الحديث على العلاج بالدواء المركب من الأمرين: الطبيعي والإلهي، فإن سورة من القرآن أو الدعاء تكون شفاء بإذن الله.

هديه صلى الله عليه وسلم في رقية النملة: عن الشفاء بنت عبد الله[2]، قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها؛ **فقال: ألا تعلّمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة**[3].

النملة: قروح تخرج في الجنبين، وهو داء معروف، وسمى نملة، لأن صاحبه يحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه، وأصنافها ثلاثة، قال ابن قتيبة وغيره: كان المجوس يزعمون أن ولد الرجل من أخته إذا خط على النملة. شفى صاحبها، ومنه قول الشاعر:

ولا عيب فينا غير عرف لمعشر   كرام وأنا لا نخط على النملِ

---

[1] اخرجه مسلم (٧٠٥٥)باب التعوذ من سوء القضاء، دار الجليل، بيروت، ج ٨ ص ٧٦.
[2] الشفاء بنت عبد الله أسلمت قديما وهي من المبايعات ومن المهاجرات الأول. وأمها فاطمة بنت أبي وهب، كانت من عقلاء النساء وفضلائهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيل عندها. واتخذت له فراشا وإزارا ينام فيه فلم يزل ذلك عندها حتى أخذه منهم مروان. وكانت ترقي من النملة فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم دارا عند الحكاكين فنزلتها مع ابنها سليمان. وكان عمر رضي الله يقدمها في الرأي ويرضاها، أسد الغابة ج ١ ص ١٣٧٢.
[3] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧١٤٠) باب (حديث الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها) - مؤسسة قرطبة القاهرة ج ٦ ص ٢١٢٩، قال الحافظ في التقريب: مقبول والشفاء بنت عبد الله روى لها البخاري في الأدب المفرد وأبو داود وقد اختلف في وصله وإرساله.

هديه صلى الله عليه وسلم في رقية القرحة والجرح: عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح، **قال بأصبعه: هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض، ثم رفعها وقال (بسم الله، تربة أرضنا بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا بإذن ربنا**[1].

وهذا من العلاج الميسر النافع المركب، وهى معالجة لطيفة يعالج بها القروح والجراحات الطرية، لا سيما عند عدم غيرها من الأدوية إذ كانت موجودة بكل أرض، وقد علم أن طبيعة التراب الخالص باردة يابسة مجففة لرطوبات القروح والجراحات التي تمنع الطبيعة من جودة فعلها وسرعة اندمالها، لا سيما في البلاد الحارة، وأصحاب الأمزجة الحارة فإن القروح والجراحات يتبعها في أكثر الأمر سوء مزاج حار، فيجتمع حرارة البلد والمزاج والجراح، وطبيعة التراب الخالص باردة يابسة أشد من برودة جميع الأدوية المفردة الباردة، فتقابل برودة التراب حرارة المرض، لا سيما إن كان التراب قد غسل وجفف، ويتبعها أيضا كثرة الرطوبات الرديئة، والسيلان، والتراب مجفف لها، مزيل لشدة يبسه وتجفيفه للرطوبة الرديئة المانعة من برئها، ويحصل به مع ذلك تعديل مزاج العضو العليل، ومتى اعتدل مزاج العضو قويت قواه المدبرة، ودفعت عنه الألم بإذن الله تعالى.

ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب، فيعلق بها منه شيء فيمسح به على الجرح، ويقول هذا الكلام لما فيه من

---

[1] اخرجه البخاري (٥٤١٣) باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم دار ابن كثير، بيروت ج ٥ ص ٢١٦٨.

بركة ذكر اسم الله تعالى، وتفويض الأمر إليه، والتوكل عليه، فينضم أحد العلاجين إلى الآخر، فيقوى التأثير، وهل المراد بقوله: تربة أرضنا جميع الأرض أو أرض المدينة خاصة؟ فيه قولان، ولا ريب أن من التربة ما تكون فيه خاصية ينفع بخاصيته من أدواء كثيرة، ويشفى بها أسقاماً رديئة.

ذكر أنه كان بالإسكندرية مطحولان، ومستسقيان كثيراً، يستعملون طين مصر، يطلون به على سوقهم وأفخاذهم، وسواعدهم، وظهورهم، وأضلاعهم، فينتفعون به منفعة بينة، قال ابن القيم: وعلى هذا النحو فقد ينفع هذا الطلاء للأورام العفنة والمترهلة الرخوة، قال ابن القيم: وإني لأعرف قوما ترهلت أبدانهم كلها من كثرة استفراغ الدم من أسفل، انتفعوا بهذا الطين نفعا بينا، وقوما آخرين شفوا به أوجاعاً مزمنة كانت متمكنة في بعض الأعضاء تمكنا شديداً، فبرأت وذهبت أصلا[1].

إذا كان هذا في هذه التربات، فما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها، وقد خالطت ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقارنت رقيته باسم ربه، وتفويض الأمر إليه، وقد تقدم أن قوى الرقية وتأثيرها بحسب الراقي، وانفعال المرقي عن رقيته، وهذا أمر لا ينكره طبيب فاضل عاقل مسلم، فإن انتفى أحد الأوصاف، فليقل ما شاء.

هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الفزع والأرق المانع من النوم:

ففي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين، وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت،

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي، **الطب النبوي**، دار الفكر بيروت، ج ١ ص ١٤٦.

كن لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط عليّ أحد منهم، أو يبغى علي، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك[1]، وفيه أيضا: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يعلمهم من الفزع: **أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون**[2].

---

[1] أخرجه الترمذي (٥٨٣١) وقال: ليس إسناده بالقوى، دار احياء التراث الغربي بيروت ج ٥ص ٥٣٨.

[2] أخرجه الامام احمد ابن حنبل (٦٦٩٦) مؤسسة قرطبة القاهرة تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث محتمل للتحسين بشواهده وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه محمد بن حبان لم يدرك الوليد بن الوليد وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين ج ٤ص ٥٧.

هديه صلى الله عليه وسلم في علاج داء الحريق وإطفائه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الحريق فكبروا، فإن التكبير يطفئه[1]. ولما كان الحريق سببه النار، وهي مادة الشيطان التي خلق منها، وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله، كان للشيطان إعانة عليه، وتنفيذ له، وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد، وهذان الأمران وهما العلو في الأرض والفساد هما هدى الشيطان، وإليهما يدعو، وبهما يهلك بني آدم، فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الأرض والفساد، وكبرياء الرب عز وجل تقمع الشيطان وفعله؛ لهذا كان تكبير الله عز وجل له أثر في إطفاء الحريق، فإن كبرياء الله عز وجل لا يقوم لها شيء، فإذا كبر المسلم ربه، أثر تكبيره في خمود النار وخمود الشيطان التي هي مادته، فيطفئ الحريق، قال ابن القيم وقد جربنا نحن وغيرنا هذا، فوجدناه كذلك[2].

يرى الباحث أن علاج الرقية نافعٌ بالتأكيد، غير الشعوذة والسحر كما كان في الجاهلية، لأمر هام وهو أن الرقية إما آية أو دعاء، والآية والدعاء الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وحي من الله إما عن طريق جبريل أو الوحي الرباني لرسول الله، قال تعالى: **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** (النجم: ٣) وبكل وضوح نعتقد اعتقاداً جازماً أنه ما جاء عن الله ورسوله فيه

[1] أخرجه السيوطي ك جامع الأحاديث سنده ضعيف ج ٣ ص ١٧٨، وأورده أيضاً: العقيلي في الضعفاء (٢/٢٩٥، ترجمة ٨٦٧)، والذهبي في الميزان (٤/١٧٣، ترجمة ٤٥٣٥) كلاهما في ترجمة عبد الله بن لهيعة.

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي، **الطب النبوي**، دار الفكر بيروت، ج ١ص ١٦٦.

الشفاء التام قال تعالى: **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** (الشعراء: ٨٠)؛ فشفاء الأمراض عائدة إلى الله تعالى، فبالأول أن نأخذ بالرقية الصحيحة التي ذكرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند صحيح، وهنا نُلفت النظر أيضاً أن كثيراً من أهل الحيل والخدع والشعوذة والدجل استغلوا ضعف الناس باسم الدين، وراحوا يستعملون رقيهما أنزل الله بها من سلطان لا دليل عليها من الكتاب والسنة وغير ذلك استعملوها حتى يصل بهم المطاف إلى الحرام والعياذ بالله وخاصة ما نشاهده اليوم بحجة الرقية للنساء تتم كشف العورات والزنى في بعض الأحيان، وما هذا إلا من وساوس الشيطان، وقد انتشرت عبر وسائل التواصل الاجتماعي فيديوهات تفضح من استعمل الرقية لنزوة فاضحة أو أنها مدبرة للإساءة بالإسلام والرقية، وكلاهما منبوذان في الشريعة، إذ لا رقية في خلوة ولا مس ولا كشف للعورات ولا إلى غير ما هنالك، فالرقية لها ضوابط شرعية تُؤخذ من مصادرها الخاصة في كتب الفقه، ومن غير ضوابط لا تصح وتكون إساءة للدين وبعد عن الشفاء المطلوب.

كما جعل النبي عليه الصلاة والسلام رقية، ومادة التراب مع الرقية يرقى بها المريض؛ كتربة المدينة، وقد استغل كثيرٌ من أهل الاحتيال هذه الفقرة يقولون نحن لا نأخذ أجراً بل نخلط الماء أو العسل مع أدوية نريد ثمن الأدوية ولكن ثمنها باهظ، ولعدم الخبرة الطبية بالمداواة ولو بالأعشاب، يؤدي لضرر المريض أو يعرضه للتهلكة، فقط من أجل كسب المال.

المطلب الثاني: الأدوية النبوية الطبيعية

جاء طب الأبدان من تكميل الشريعة ومقصوداً لغيره يستعمل عند الحاجة إليه، فإذا استطاع الاستغناء عنه، كان صرف الهمم والقوى إلى علاج القلوب والأرواح وحفظ صحتها ودفع أسقامها وحمايتها مما يفسدها هو المقصود بالقصد الأول، وإصلاح البدن بدون إصلاح القلب لا ينفع، وفساد البدن مع إصلاح القلب مضرته يسيرة جداً، وهى مضرة زائلة تعقبها المنفعة الدائمة التامة.

هديه في علاج الحمى: ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما الحمى أو شدة الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء[1]، أبردوها بالماء نعم لكن نرى أن هذا الحديث قد أشكل على كثير من جهلة الأطباء، ورأوه منافياً لدواء الحمى وعِلاجها. وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم، نوعان: عام لأهل الأرض، وخاص ببعضهم؛ فخطابه خاص بأهل الحجاز، والأهم، إذ كان أكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس، وهذه ينفعها الماء البارد شربا واغتسالاً، فإن الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب، وتنبث منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق إلى جميع البدن، فتشتعل فيه اشتعالاً يضر بالأفعال الطبيعية.

وهي تنقسم إلى قسمين: **عرضية**: وهي الحادثة إما عن الورم أو الحركة أو إصابة حرارة الشمس أو القيظ الشديد ونحو ذلك. **ومرضية**: تتكون من ثلاثة أنواع، وهي لا تكون إلا في مادة أولى، ثم منها يسخن جميع البدن، فإن كان مبدأ

[1] أخرجه مسلم (٥٨٨٩) دار الجليل بيروت، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ج ٧ص ٣٤.

تعلقها بالروح سميت حمى يوم، لأنها في الغالب تزول في يوم، ونهايتها ثلاثة أيام، وإن كان مبدأ تعلقها بالأخلاط سميت عفنيه.

وهى أربعة أصناف: صفراوية وسوداوية، وبلغمية، ودموية. وإن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية، سميت حمى دق وتحت هذه الأنواع أصناف كثيرة.

وقد ينتفع البدن بالحمى انتفاعاً عظيماً لا يبلغه الدواء، وكثيرا ما يكون حمى يوم وحمى العفن سبباً لإنضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها، وسببا لتفتح سدد لم يكن تصل إليها الأدوية المفتحة.

أما الرمد الحديث والمتقادم، فإنها تبرئ أكثر أنواعه برءاً عجيباً سريعاً، وتنفع من الفالج، واللقوة، والتشنج الامتلائي، وكثيراً من الأمراض الحادثة عن الفضول الغليظة.

قال بعض فضلاء الأطباء: إن كثيراً من الأمراض نستبشر فيها بالحمى، كما يستبشر المريض بالعافية، فتكون الحمى فيه أنفع من شرب الدواء بكثير، فإنها تنضج من الأخلاط والمواد الفاسدة ما يضر بالبدن، فإذا أنضجتها صادفها الدواء متهيئة للخروج بنضجها، فأخرجها، فكانت سبباً للشفاء[1].

لذلك يجوز أن يكون مراد الحديث من أقسام الحُميات العرضِية، فإنها تسكن على المكان بالانغماس في الماء البارد، وسقي الماء البارد المثلوج، ولا يحتاج صاحبها مع ذلك إلى علاجٍ آخر، فإنها مجرد كيفية حارة متعلقة بالروح، فيكفى في زوالها

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي **الطب النبوي**، دار الفكر بيروت، ج ١ ص ٢٠.

مجرد وصول كيفية باردة تسكنها، وتخمد لهبها من غير حاجة إلى استفراغ مادة أو انتظار نضج.

ويجوز أن يراد به جميع أنواع الحُميات، وقد اعترف فاضل الأطباء جالينوس[1]: بأن الماء البارد ينفع فيها، قال في المقالة العاشرة من كتاب حيلة البرء: ولو أن رجلاً شاباً حسن اللحم، خصب البدن في وقت القيظ، وفى وقت منتهى الحمى، وليس في أحشائه ورم، استحم بماء بارد، أو سبح فيه، لانتفع بذلك، وقال: ونحن نأمر بذلك بلا توقف. قال الرازي في كتابه الكبير: إذا كانت القوة قوية، والحمى حادة جدا، ولا فتق لا ينفع الماء البارد شرباً وإن كان العليل خصب البدن والزمان حار، وكان معتادا لاستعمال الماء البارد من خارج فليؤذن فيه[2]. أما قوله: الحمى من فيح جهنم، هو شدة لهبها، وانتشارها، ونظيره قوله: شدة الحر من فيح جهنم، وفيه وجهان. أحدهما: أن ذلك أنموذج ورقيقة اشتقت من جهنم ليستدل بها العباد عليها، ويعتبروا بها، ثم إن الله سبحانه قدر ظهورها بأسباب تقتضيها، كما أن الروح والفرح والسرور واللذة من نعيم الجنة أظهرها الله في هذه الدار عبرة ودلالة، وقدر ظهورها بأسباب توجبها. والثاني: أن يكون المراد التشبيه، فشبه شدة الحمى ولهبها بفيح جهنم وشبه شدة الحر به أيضا تنبيها للنفوس على شدة عذاب النار، وأن هذه الحرارة العظيمة مشبهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرب منها من حرها.

---

[1] جالينوس الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين إمام الأطباء فِي عصره ورئيس الطبيعيين فِي وقته ومؤلف الكتب الجليلة فِي صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، **دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان**، ج ١ ص ٩٩.

[2] **كنوز في الرقية والطب النبوي، كمال بن مختار بن إسماعيل بن محمد** ج ١ ص ٢٧٩.

أما قوله: فأبردوها، رُوي بوجهين: بقطع الهمزة وفتحها، رباعي: من أبرد الشيء: إذا صيره باردا، مثل أسخنه: إذا صَيرهُ ساخناً. والثاني: بهمزة الوصل مضمومة من برد الشيء يبرده، وهو أفصح لغةً واستعمالاً، والرباعي لغةً رديئة عندهم. وقوله: بالماء فيه قولان، أحدهما: أنه كل ماء، وهو الصحيح.

والثاني: أنه ماء زمزم، واحتج أصحاب هذا القول بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء[1] أو قال: بماء زمزم. وراوي هذا شك فيه، ولو جزم به لكان أمراً لأهل مكة بماء زمزم، إذ هو متيسر عندهم، ولغيرهم بما عندهم من الماء.

ثم اختلف من قال: إنه على عمومه، هل المراد به الصدقة بالماء، أو استعماله؟ على قولين، والصحيح أنه استعمال، وأظن أن الذي حمل من قال: المراد الصدقة به أنه أشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى ولم يفهم وجهه مع أن لقوله وجهاً حسناً، وهو أن الجزاء من جنس العمل، فكما أخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد، أخمد الله لهيب الحمى عنه جزاء وفاقاً، ولكن هذا يؤخذ من فقه الحديث وإشارته، وأما المراد به فاستعماله.

[1] أخرجه الامام احمد ابن حنبل (٢٤٢٧٥) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، مؤسسة قرطبة القاهرة ج ٦ص ٥٠.

هديه في علاج استطلاق البطن[1]: في الحديث أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن أخي يشتكى بطنه وفى رواية: استطلق بطنه فقال: اسقه عسلاً، فذهب ثم رجع، فقال: قد سقيته، فلم يغن عنه شيئاً وفى لفظ: فلم يزده إلا استطلاقاً، مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول له: اسقه عسلاً، فقال له في الثالثة أو الرابعة: صدق الله، وكذب بطن أخيك[2].

والعسل فيه منافع عظيمة، فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها، محلل للرطوبات أكلاً وطلاءً، نافع للمشايخ (كبار السن) وأصحاب البلغم، ومن كان مزاجه بارداً رطباً، وهو مغذٍ مُلين للطبيعة، حافظ لقوى المعاجين ولما استودع فيه، مُذْهب لكيفيات الأدوية الكريهة، منقٍ للكبد والصدر، مدرٌّ للبول، موافق للسعال الكائن عن البلغم، وإذا شرب حاراً بدهن الورد، ينفع من نهش الهوام، وشرب الأفيون، وإن شرب وحده ممزوجا بماء نفع من عضة الكلب، وأكل الفطر القتال.

أما إذا جعل فيه اللحم الطري، حفظ طراوته ثلاثة أشهر، وكذلك إن جعل فيه القثاء، والخيار، والقرع والباذنجان، ويحفظ كثيراً من الفاكهة ستة أشهر، ويحفظ جثة الموتى، ويسمى الحافظ الأمين، وإذ لطخ به البدن المقمل والشعر، قتل قمله وصئبانه، وطول الشعر وحسن هو نعمه وإن اكتحل به، جَلا ظلمة البصر، وإن استن به بيض الأسنان وصقلها، وحفظ صحتها، وصحة اللثة، ويفتح أفواه العروق، ويدر الطمث، ولعقه على الريق يذهب البلغم، ويغسل خمل المعدة، ويدفع

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي **الطب النبوي**، دار الفكر بيروت، ج ١ ص ٢٢.
[2] أخرجه البخاري (٥٣٦٠) باب الدواء بالعسل، دار ابن كثير بيروت ج ٥ ص ٢١٦١.

الفضلات عنها، ويسخنها تسخينا معتدلا، ويفتح سددها، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أقل ضرراً لسدد الكبد والطحال من كل حلو، وهو مع هذا كله مأمون الغائلة، قليل المضار، مضر بالعرض للصفراويين، ودفعها بالخل ونحوه، فيعود حينئذ نافعاً له جداً.

هديه في الطاعون وعلاجه والاحتراز منه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل، وعلى من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها فراراً منه[1]. وجاء في الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطاعون شهادة لكل مسلم[2].

الطاعون لغة: نوع من الوباء، قاله صاحب الصحاح، وهو عند أهل الطب ورم رديء قتال يخرج معه تلهب شديد مؤلمٌ جداً يتجاوز المقدار في ذلك، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر، أو أكمد، ويؤول أمره إلى التقرح سريعا وفي الأكثر يحدث في ثلاثة مواضع: في الإبط، وخلف الأذن، والأرنبة، وفى اللحوم الرخوة.

قال الأطباء: إذا وقع الخراج في اللحوم الرخوة، والمغابن، وخلف الأذن والأرنبة، وكان من جنس فاسد، سمى طاعونا، وسببه دم رديء مائل إلى العفونة والفساد، مستحيل إلى جوهر سمي، يُفسدُ العضوَ ويُغير ما يليه، وربما رشَح دماً وصديداً،

[1] أخرجه مسلم صحيحه (٥٩٠٥) باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوهما، دار الجليل بيروت ج ٧ ص ٢٧.

[2] أخرجه البخاري (٥٤٠٠) باب ما يذكر في الطاعون، دار ابن كثير بيروت ج ٥ ص ٢١٦٥.

ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة، فيحدث القيء والخفقان والغشي، وهذا الاسم وإن كان يعم كل ورم يؤدى إلى القلب كيفية رديئة حتى يصير لذلك قتالاً، فإنه يختصُ به الحادث في اللحم الغُدي، لأنه لرداءته لا يقبله من الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع، وأردؤه ما حدث في الإبط وخلف الأذن لقربهما من الأعضاء التي هي الرأس، وأسلمه الأحمر، ثم الأصفر، والذي إلى السواد، فلا يفلت منه أحد[1].

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الدخول إلى الأرض التي هو بها أو الخروج منها: جمع النبي صلى الله عليه وسلم للأمة في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي هو بها، ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه، فإن في الدخول في الأرض التي هو بها تعرضاً للبلاء، وموافاة له في محل سُلطانه، وإعانةً للإنسان على نفسه، وهذا مخالف للشرع والعقل، بل تجنب الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشد الله سبحانه إليها وهى حمية عن الأمكنة، والأهوية المؤذية.

أما نهيه عن الخروج من بلده، ففيه معنيان: أحدهما: حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر على أقضيته، والرضى بها. والثاني: ما قاله أئمة الطب: أنه يجب على كل محترز من الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية، ويقلل الغذاء، ويميل إلى التدبير المجفف من كل وجه إلا الرياضة والحمام، فإنهما مما يجب أن يحذرا، لأن البدن لا يخلو غالبا من فضل رديء كامن فيه، فتثيره الرياضة والحمام، ويخلطانه بالكيموس الجيد. وذلك يجلب علةً عظيمة، بل يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة، وتسكين هيجان الأخلاط، ولا يمكن الخروج من

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي الطب النبوي، دار الفكر بيروت، ج ١ ص ٢٩.

أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة، وهي مضرة جدا، هذا كلام أفضل الأطباء المتأخرين، فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي، وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما.

فإن قيل: ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تخرجوا فرارا منه، ما يبطل أن يكون أراد هذا المعنى الذي ذكرتموه، وأنه لا يمنع الخروج لعارض، ولا يحبس مسافرا عن سفره.

لم يقل أهل الطب ولا غيرهم أن الناس يتركون حركاتهم عند الطواعين، ويصيرون بمنزلة الجمادات، وإنما ينبغي فيه التقليل من الحركة بحسب الإمكان، والفرار منه لا موجب لحركته إلا مجرد الفرار منه، ودعته وسكونه أنفع لقلبه وبدنه، وأقرب إلى توكله على الله تعالى، واستسلامه لقضائه. أما من لا يستغني عن الحركة كالصناع، والأجراء، والمسافرين، وغيرهم فلا يقال لهم: اتركوا حركاتكم جملة، وإن أمروا أن يتركوا منها ما لا حاجة لهم إليه، كحركة المسافر فاراً منه والله تعالى أعلم[1].

أما في المنع من الدخول إلى الأرض التي قد وقع بها عدة أحكام: أحدها: تجنب الأسباب المؤذية، والبعد منها. الثاني: الأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد. الثالث: أن لا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيمرضون. الرابع: أن لا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك، فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم. الخامس: حمية النفوس عن الطيرة والعدوى، فإنها تتأثر بهما، فإن

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي **الطب النبوي**، دار الفكر بيروت، ج ١ ص ٣٤.

الطيرة على من تطير بها، وبالجملة ففي النهي عن الدخول في أرضه الأمر بالحذر والحمية، والنهى عن التعرض لأسباب التلف.

وفي الصحيح: أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ (قيل هو واد تبوك – وقيل قرب ريف الشام) لقيه أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال لابن عباس: ادع لي المهاجرين الأولين. قال: فدعوتهم، فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام. فاختلفوا، فقال له بعضهم: خرجت لأمر، فلا نرى أن ترجع عنه وقال آخرون: معك بقية الناس، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال عمر: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم له، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم له، فلم يختلف عليه منهم رجلان، قالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فأذن عمر في الناس إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه. فقال أبو عبيدة بن الجراح: يا أمير المؤمنين؛ أفراراً من قدر الله تعالى؟ قال لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله تعالى إلى قدر الله تعالى، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، ألست إن رعيتها الخصبة رعيتها بقدر الله تعالى، وإن رعيتها الجدبة رعيتها بقدر الله تعالى؟[1]. قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجاته، فقال: إن عندي في هذا علما، سمعت

[1] أخرجه البخاري (٥٣٩٧) باب ما يذكر في الطاعون، دار ابن كثير بيروت، ج ٥ ص ٢١٦٣.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه، وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه**[1].

هديه صلى الله عليه وسلم في العلاج بشرب العسل والحجامة والكي: قال صلى الله عليه وسلم: **(الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي)**[2].

قال أهل الطب: الأمراض الإمتلائية: إما أن تكون دموية، أو صفراوية، أو بلغمية، أو سوداوية فإن كانت دموية فشفاؤها إخراج الدم، وإن كانت من الأقسام الثلاثة الباقية، فشفاؤها بالإسهال الذي يليق بكل خلط منها وكأنه صلى الله عليه وسلم: نبه بالعسل على المسهلات، وبالحجامة على الفصد، وقد قال بعض الناس: إن الفصد يدخل في قوله: شرطة محجم.

فإذا أعيا الدواء، فآخر الطب الكي، فذكره صلى الله عليه وسلم في الأدوية لأنه يستعمل عند غلبة الطباع لقوى الأدوية وحيث لا ينفع الدواء المشروب، وقوله: **وأنا أنهى أمتي عن الكي**، وفى الحديث الآخر وما أحب أن أكتوي إشارة إلى أن يؤخر العلاج به حتى تدفع الضرورة إليه، ولا يعجل التداوي به لما فيه من استعجال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون أضعف من ألم الكي.

---

[1] أخرجه الإمام أحمد بن حنبل (١٦٨٣) باب حديث عبد الرحمن بن عوف عن الزهري، مؤسسة قرطبة القاهرة تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير إسحاق بن عيسى فمن رجال مسلم ج ٣ ص ٢١٤.

[2] أخرجه البخاري (٥٣٥٧) باب الشفاء في ثلاث، دار الفكر بيروت، ج ٥ ص ٢١٥٢.

وقال بعض الأطباء: الأمراض المزاجية إما أن تكون بمادة، أو بغير مادة، والمادية منها، إما حارة، أو باردة، أو رطبة، أو يابسة، أو ما تركب منها، وهذه الكيفيات الأربع، منها كيفيتان فاعلتان: وهما الحرارة والبرودة؛ وكيفيتان منفعلتان: وهما الرطوبة واليبوسة، ويلزم من غلبة إحدى الكيفيتين الفاعلتين استصحاب كيفية منفعلة معها وكذلك كان لكل واحد من الأخلاط الموجودة في البدن، وسائرا لمركبات كيفيتان: فاعلة ومنفعلة. فحصل من ذلك أن أصل الأمراض المزاجية هي التابعة لأقوى كيفيات الأخلاط التي هي الحرارة والبرودة، فجاء كلام النبوة في أصل معالجة الأمراض التي هي الحارة والباردة على طريق التمثيل، فإن كان المرضُ حاراً، عالجناهُ بإخراجِ الدمِ، بالفصدِ كان أو بالحجامةِ، لأن في ذلك استفراغاً للمادة، وتبريداً للمزاج وإن كان بارداً عالجناه بالتسخين، وذلك موجود في العسل، فإن كان يحتاج مع ذلك إلى استفراغ المادة الباردة، فالعسل أيضا يفعل في ذلك لما فيه من الإنضاج، والتقطيع، والتلطيف، والجلاء، والتليين، فيحصل بذلك استفراغ تلك المادة برفق وأمن من نكاية المسهلات القوي.

أما الكي: فلأن كل واحد من الأمراض المادية، إما أن يكون حاداً فيكون سريع الإفضاء لأحد الطرفين، فلا يحتاج إليه فيه، وإما أن يكون مزمناً، وأفضل علاجه بعد الاستفراغ الكي في الأعضاء التي يجوز فيها الكي لأنهُ لا يكون مزمناً إلا عن مادةٍ باردةٍ غليظة قد رسخت في العضو، وأفسدت مزاجه، وأحالت جميع ما يصل إليه إلى مشابهة جوهرها، فيشتعل في ذلك العضو، فيستخرج بالكي تلك المادة من ذلك المكان الذي هو فيه بإفناء الجزء الناري الموجود بالكي لتلك المادة.

فتعلمنا بهذا الحديث الشريف أخذ معالجة الأمراض المادية جميعها، كما استنبطنا معالجة الأمراض الساذجة من قوله صلى الله عليه وسلم: (**إن شدة الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء**)[1].

منافع الحجامة: نص الأطباء على أن البلاد الحارة؛ الحجامة فيها أنفع وأفضل من الفصد، وتستحب في وسط الشهر، وبعد وسطه، وبالجملة في الربع الثالث من أرباع الشهر، لأن الدم في أول الشهر لم يكن بعد قد هاج، وفى آخره يكون قد سكن، وأما في وسطه وبعيده، فيكون في نهاية التزيد.

ويؤمرُ باستعمال الحجامة لا في أول الشهر، لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت، ولا في آخره لأنها تكون قد نقصت، بل في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها لتزيد النور في جرم القمر. قال صلى الله عليه وسلم: (**إن من خير دوائكم الحجامة**)[2].

---

[1] سبق تخريجه، ص ٣٣.

[2] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢١٨٠)باب حديث سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم، مؤسسة قرطبة القاهرة تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف لإبهام الشيخ من بكر بن وائل ج ٥ ص ١٨.

مواضع الحجامة وأوقاتها: اختلف الأطباء في الحجامة على نقرة القفا، وهى: القمحدوة، وفي الحديث: (**عليكم بالحجامة في جوزة القمحدوة، فإنها تشفى من خمسة أدواء[1] ذكر منها الجذام**) فطائفة منهم استحسنته وقالت: إنها تنفع من جحظ العين، والنتوء العارض فيها. وكثير من أمراضها، ومنثقل الحاجبين والجفن. والحجامة تحت الذقن تنفع من وجع الأسنان والوجه والحلقوم، إذا استعملت في وقتها؛ وتنقي الرأس والفكين. والحجامة على ظهر القدم تنوب عن فصد الصافن، وهو عرق عظيم عند الكعب، وتنفع من قروح الفخذين والساقين، وانقطاع الطمث، والحكة العارضة في الأنثيين. والحجامة في أسفل الصدر نافعة من دماميل الفخذ وجربهِ وبُثورهِ، ومن النقرس، والبواسير وحكة الظهر[2].

هديه صلى الله عليه وسلم في أوقات الحجامة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَحتجِمُ في الأَخدعين والكاهِلِ، وكان يحتجم لسبعةَ عشر، وتسعةَ عشر، وفى إحدى وعشرين[3].

[1] أخرجه الطبراني في الكبير (٧٣٠٦) مكتبة العلوم والحكم الموصل هكذا وجد في الأصل، رواه الطبراني ورجاله ثقات، ج ٨ ص ٣٦.

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي الطب النبوي، دار الفكر بيروت، ج ١ ص ٤٥.

[3] أخرجه الترمذي في السنن (٢٠٥١) باب الحجامة دار احياء التراث العربي بيروت ج ٤ ص ٣٩٠، قال أبو عيسى وفي الباب عن ابن عباس ومعقل بن يسار وهذا حديث حسن غريب.

هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الأبدان بما اعتادته من الأدوية والأغذية دون ما لم تعتده: هذا أصل عظيم من أصول العلاج، وأنفع شيء فيه، وإذا أخطأه الطبيب، أضر المريض من حيث يظن أنه ينفعه ولا يعدل عنه إلى ما يجده من الأدوية في كتب الطب إلا طبيب جاهل، فإن ملاءمة الأدوية والأغذية للأبدان بحسب استعدادها وقبولها، وهؤلاء أهل البوادي والأكارون وغيرهم لا ينجع فيهم شراب اللينوفر والورد الطري ولا المغلي، ولا يؤثر في طباعهم شيئاً، بل عامة أدوية أهل الحضر وأهل الرفاهية لا تجدي عليهم، والتجربة شاهدة بذلك.

إن من تأمل ما ذكرناه من العلاج النبوي، رآهُ كلُه موافقاً لعادة العليل وأرضه، وما نشأ عليه؛ فهذا أصل عظيم من أصول العلاج يجب الاعتناء به، أما لفظ الألزم: الإمساك عن الأكل يعني به الجوع وهو من أكبر الأدوية في شفاء الأمراض الإمتلائية كلها بحيث إنه أفضل في علاجها من المستفرغات إذا لم يخف من كثرة الامتلاء، وهيجان الأخلاط وحدتها وغليانها. والمعدة هي بيت الداء، إذ هي عضو عصبي مجوف كالقرعة في شكلها، مركب من ثلاث طبقات، مؤلفة من شظايا دقيقة عصبية تسمى الليف، ويحيط بها لحم، وليف إحدى الطبقات بالطول، والأخرى بالعرض، والثالثة بالورب، وفم المعدة أكثر عصباً.

أما قعرها أكثر لحماً، في باطنها خمل، وهي محصورة في وسط البطن، وأَمْيَل إلى الجانب الأيمن قليلاً، خلقت على هذه الصفة لحكمة لطيفة من الخالق الحكيم سبحانه، وهي بيت الداء، وكانت محلاً للهضم الأول، وفيها ينضج الغذاء وينحدر منها بعد ذلك إلى الكبد والأمعاء.

يتخلف منه فيها فضلات قد عجزت القوة الهاضمة عن تمام هضمها، إما لكثرة الغذاء، أو لرداءته، أو لسوء ترتيب في استعماله، أو لمجموع ذلك، وهذه الأشياء بعضها مما لا يتخلص الإنسان منه غالباً، فتكون المعدة بيت الداء لذلك، وكأنه يشير بذلك إلى الحث على تقليل الغذاء، ومنع النفس من اتباع الشهوات، والتحرز عن الفضلات.

وأما العادة؛ فلأنها كالطبيعة للإنسان، ولذلك يقال: العادة طبع ثان، وهى قوة عظيمة في البدن، حتى إن أمراً واحدا إذا قيس إلى أبدان مختلفة العادات، كان مختلف النسبة إليها، وإن كانت تلك الأبدان متفقة في الوجوه الأخرى مثال ذلك أبدان ثلاثة حارة المزاج في سن الشباب،

أحدها: عند تناول الأشياء الحارة.

والثاني: عند تناول الأشياء الباردة.

والثالث: عند تناول الأشياء المتوسطة.

فإن الأول متى تناول عسلاً لم يضر به، والثاني: متى تناوله أضر به، والثالث: يضر به قليلاً، فالعادة ركنٌ عظيم في حفظ الصحة، ومعالجة الأمراض، ولذلك جاء العلاج النبوي بإجراء كل بدن على عادته في استعمال الأغذية والأدوية وغير ذلك[1].

يرى الباحث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر العلاج الرباني، ومن ثم العلاج المادي إذ هو الأخذ بالأسباب، ولابد للمسلم أن يأخذ به، ولو فكرنا جيداً في

---

[1] عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله، الهدي النبوي في الطب، ج ١ ص ٣٩.

الحجامة لتبين أنها علاجٌ في عصرنا، إذ إن الدورة الدموية تَتنشط بخروج الدم من جسد الإنسان وهوما يعرف اليوم بالتبرع بالدم وغير ذلك يدفع السم إن جرى بالدم بالفصد والحجامة وكذلك شرب العسل لمن أصيب بمرض البطن ثبت في الطب الحديث نفعه وأنه ملين للأمعاء غاسل لسمومها ونرى أنه من باب العلاج نهى عن خروج من أصيب بالطاعون والدخول عليهم وما ذلك إلا لعدم نشر الوباء أكثر.

المطلب الثالث: المركب من الأمرين الإلهي والطبيعي

هديه صلى الله عليه وسلم في حفظ الصحة: لما كان اعتدال البدن وصحته وبقاؤه إنما هو بواسطة الرطوبة المقاومة للحرارة، فالرطوبة مادته، والحرارة تنضجها وتدفع فضلاتها وتصلحها وتلطفها، وإلا أفسدت البدن ولم يمكن قيامه، وكذلك الرطوبة هي غذاء الحرارة فلولا الرطوبة، لأحرقت البدن وأيبسته وأفسدته، فقوام كل واحدة منهما بصاحبتها، وقوام البدن بهما جميعا، وكل منهما مادة للأخرى، فالحرارة مادة للرطوبة تحفظها وتمنعها من الفساد والاستحالة، والرطوبة مادة للحرارة تغذيها وتحملها، ومتى مالت إحداهما إلى الزيادة على الأخر يحصل لمزاج البدن الانحراف بحسب ذلك، فالحرارة دائما تحلل الرطوبة، فيحتاج البدن إلى ما به يخلف عليه ما حللته الحرارة لضرورة بقائه وهو الطعام والشراب، ومتى زاد على مقدار التحلل، ضعفت الحرارة عن تحليل فضلاته، فاستحالت مواد رديئة، فعاثت في البدن، وأفسدت فحصلت الأمراض المتنوعة بحسب تنوع موادها، وقبول الأعضاء واستعدادها، وهذا مستفاد من قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** (البقرة: ١٧٢) فأرشد عباده إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوض ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكمية والكيفية، فمتى جاوز ذلك كان إسرافاً، وكلاهما مانعٌ من الصحةِ جالبٌ للمرض، أعني عدمَ الأكل والشرب أو الإسراف فيه[١].

---

[١] عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله، الهدي النبوي في الطب، ج ١ ص ٤٨.

فحفظ الصحة كله في هاتين الكلمتين الإلهيتين، ولا ريب أن البدن دائما في التحلل والاستخلاف، وكلما كثر التحلل ضعفت الحرارة لفناء مادتها، فإن كثرة التحلل تفني الرطوبة وهي مادة الحرارة، وإذا ضعفت الحرارة ضعف الهضم، (المقصود بالحرارة هي الرطوبة التي تساعد على الهضم) ولا يزال كذلك حتى تفنى الرطوبة، وتنطفئ الحرارة جملة، فيستكمل العبد الأجل الذي كتب الله له أن يصل إليه، فغاية علاج الإنسان لنفسه ولغيره حراسة البدن إلى أن يصل إلى هذه الحالة، لا أنه يستلزم بقاء الحرارة والرطوبة اللتين بقاء الشباب والصحة والقوة بهما، فإن هذا مما لم يحصل لبشر في هذه الدار، وإنما غاية الطبيب أن يحمى الرطوبة عن مفسداتها من العفونة وغيرها، ويحمى الحرارة عن مضعفاتها ويعدل بينهما بالعدل في التدبير الذي به قام بدن الإنسان، كما أن به قامت السموات والأرض وسائر المخلوقات إنما قوامها بالعدل.

ومن تأمل هدي النبي صلى الله عليه وسلم وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به، فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب والملبس والمسكن والهواء والنوم واليقظة والحركة والسكون والمنكح والاستفراغ والاحتباس، فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن والبلد والسن والعادة، كان أقرب إلى دوام الصحة أو غلبتها إلى انقضاء الأجل.

ولما كانت الصحة والعافية من أجلّ نعم الله على عبده، وأجزل عطاياه، وأوفر منحه، بل العافية المطلقة أجل النعم على الإطلاق فحقيق لمن رزق حظاً من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها عما يضادها، فمن حافظ عليها فهو الرابح ومن لم

يغتنم هذه النعمة كان خاسرا هنا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)**[1].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **سلوا الله اليقين والمعافاة، فما أوتى أحد بعد اليقين خيراً من العافية**[2]، فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه.

[1] أخرجه البخاري (٦٠٤٩) باب ما جاء في الصحة، دار ابن كثير بيروت ج ٥ ص ٢٣٥٧.
[2] أخرجه الترمذي في (٣٥٥٨) قال هذا حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر رضي الله عنه ج ٥ ص ٥٥٧.

هديه صلى الله عليه وسلم في المطعم والمشرب: أما المطعم والمشرب فلم يكن من عادته صلى الله عليه وسلم حبس النفس على نوع واحد من الأغذية لا يتعداه إلى ما سواه فإن ذلك يضر بالطبيعة جدا، وقد يتعذر عليها أحيانا، فإن لم يتناول غيره ضعف أو هلك وإن تناول غيره لم تقبله الطبيعة واستضر به، فقصرها على نوع واحد دائما ولو أنه أفضل الأغذية خطر مضر، بل كان يأكل ما جرت عادة أهل بلده بأكله من اللحم، والفاكهة، والخبز، والتمر، وغيره مما ذكرناه في هديه في المأكول، وإذا كان في أحد الطعامين كيفية تحتاج إلى كسر وتعديل، كسرها وعدلها بضدها إن أمكن، كتعديل حرارة الرطب بالبطيخ، وإن لم يجد ذلك، تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير إسراف، فلا تتضرر به الطبيعة.

كان إذا عافت نفسه الطعام لم يأكله، ولم يحملها إياه على كره، وهذا أصل عظيم في حفظ الصحة، فمتى أكل الإنسان ما تعافه نفسه، ولا تشتهيه، كان تضرره به أكثر من انتفاعه.

عن ضباعة بنت الزبير[1]: **أنها ذبحت في بيتها شاة، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أطعمينا من شاتكم، فقالت للرسول: ما بقي عندنا إلا الرقبة، وإني لأستحي أن أرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع الرسول فأخبره فقال: ارجع إليها فقل لها أرسلي بها، فإنها هادية الشاة**

[1] ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم، كانت زوج المقداد بن عمرو فولدت له عبد الله وكريمة قتل عبد الله يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنها روى عن ضباعة ابن عباس وجابر وأنس وعائشة وعروة والأعرج، أسد الغابة، ج ١ ص ١٣٧٨.

وأقرب إلى الخير ، وأبعدها من الأذى[1] ، ولا ريب أن أخف لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع والعضد ، وهو أخف على المعدة وأسرع انهضاما ، وفى هذا مراعاة الأغذية التي تجمع ثلاثة أوصاف : أحدها : كثرة نفعها وتأثيرها في القوى . والثاني : خفتها على المعدة وعدم ثقلها عليها ، والثالث : سرعة هضمها ، وهذا أفضل ما يكون من الغذاء ، والتغذي باليسير من هذا أنفع من الكثير من غيره .

وكان يحب الحلواء والعسل ، وهذه الثلاثة أعني : اللحم والعسل والحلواء من أفضل الأغذية ، وأنفعها للبدن والكبد والأعضاء ، وللاغتذاء بها نفع عظيم في حفظ الصحة والقوة ، ولا ينفر منها إلا من به علة وآفة ، وكان يأكل الخبز مأدوما ما وجد له إداما .

وكان يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها ، وهذا أيضا من أكبر أسباب حفظ الصحة ، فإن الله سبحانه بحكمته جعل في كل بلدة من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته ، فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم ، ويغنى عن كثير من الأدوية ، وقل من احتمى عن فاكهة بلده خشية السقم إلا وهو من أسقم الناس جسماً ، وأبعدهم من الصحة والقوة . وما في تلك الفاكهة من الرطوبات ، فحرارة الفصل والأرض ، وحرارة المعدة تنضجها وتدفع شرها إذا لم يسرف في تناولها ، ولم يحمل منها الطبيعة فوق ما تحتمله ، ولم يفسد بها الغذاء قبل هضمه ، ولا أفسدها بشرب الماء عليها ، وتناول الغذاء بعد التحلي منها ، فإن القولنج كثيرا

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٠٧٦)باب حديث ضباعة بنت الزبير رضي الله عنها ، مؤسسة قرطبة، القاهرة تعليق شعيب الأرنؤوط: تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لجهالة الفضل بن الفضل، ج ٦ ص ٣٦٠.

ما يحدث عند ذلك فمن أكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي، كانت له دواءً نافعاً[1].

هديه صلى الله عليه وسلم في هيئة الجلوس للأكل: قال صلى الله عليه وسلم: **(لا آكل متكئا)**[2]، وفسر بالاتكاء على الجنب، على ثلاثة أنواع: فنوعٌ منها يضر بالآكل، وهو الاتكاء على الجنب، فإنه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته، ويعوقه عن سرعة نفوذه إلى المعدة، ويضغط المعدة، فلا يستحكم فتحها للغذاء، وأيضا فإنها تميل ولا تبقى منتصبة، فلا يصل الغذاء إليها بسهولة. أما النوعان الآخران: فمن جلوس الجبابرة المنافي للعبودية، ولهذا قال: **آكل كما يأكل العبد،** وكان يأكل وهو مقعٍ، ويذكر عنه أنه كان يجلس للأكل متوركا على ركبتيه، ويضع بطنَ قدمهِ اليُسرى على ظَهر قدمه اليُمنى تواضعاً لربه عز وجل، وأدبا بين يديه، واحتراماً للطعام وللمؤاكل، فهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل وأفضلها، لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله سبحانه عليه مع ما فيها من الهيئة الأدبية، وأجود ما اغتذى الإنسان إذا كانت أعضاؤه على وضعها الطبيعي، ولا يكون كذلك إلا إذا كان الإنسان منتصبا الانتصاب الطبيعي، وأردأ الجلسات للأكل الاتكاء على الجنب، لما تقدم من أن المريء وأعضاء الازدراد تضيق عند هذه الهيئة والمعدة لا تبقى على وضعها الطبيعي، لأنها تنعصر مما يلي البطن بالأرض ومما يلي الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس، أما إذا

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي، الطب النبوي، دار الفكر بيروت، ج ١ ص ٤٥.
[2] أخرجه البخاري (٥٠٨٣) باب الأكل متكئا، دار ابن كثير بيروت، ج ٥ ص ٢٠٦٢.

كان المراد بالاتكاء الاعتماد على الوسائد والوطاء الذي تحت الجالس، فيكون المعنى أني إذا أكلت لم أقعد متكئاً على الأوطية والوسائد، كفعل الجبابرة، وكان يأكل بأصابعه الثلاث، وهذا أنفع ما يكون من الأكلات فإن الأكل بأصبع أو أصبعين لا يستلذ به الآكل ولا يمريه ولا يشبعه إلا بعد طول، ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل أكلةٍ، فتأخذها على إغماض، كما يأخذ الرجل حقه حبة أو حبتين أو نحو ذلك، فلا يلتذ بأخذه ولا يسر به، والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على آلاته وعلى المعدة، وربما انسدت الآلات فمات وتغصب الآلات على دفعه، والمعدة على احتماله، ولا يجد له لذة ولا استمراء، فأنفع الأكل أكله صلى الله عليه وسلم.

ومن تدبير أغذيته صلى الله عليه وسلم وما كان يأكله؛ فلم يجمع قط بين لبنٍ وسمك، ولا بين لبنٍ وحامض، ولا بين غذائيين حارين، ولا باردين، ولا لزجين، ولا قابضين، ولا مسهلين، ولا غليظين، ولا مرخيين، ولا مستحيلين إلى خلط واحد، ولا بين مختلفين كقابض ومسهل، وسريع الهضم وبطيئه، ولا بين شوي وطبيخ، ولا بين طرى وقديد، ولا بين لبن وبيض، ولا بين لحم ولبن، ولم يكن يأكل طعاماً في وقت شدة حرارته، ولا طبيخا بائتا يسخن له بالغد، ولا شيئا من الأطعمة العفنة والمالحة، كالكوامخ والمخللات، والملوحات، وكل هذه الأنواع ضار مولد لأنواع من الخروج عن الصحة والاعتدال، وكان يصلح ضرر بعض الأغذية ببعض إذا وجد إليه سبيلا، فيكسر حرارة هذا ببرودة هذا، ويبوسة هذا برطوبة هذا، كما فعل في القثاء والرطب، وكما كان يأكل التمر بالسمن، وهو الحيس، ويشرب نقيع

التمر يلطف به كيموسات الأغذية الشديدة، وكان يأمر بالعشاء ولو بكف من تمر، ويقول ترك العشاء مهرمة[١].

وذكر أنه كان ينهى عن النوم على الأكل، ويذكر أنه يقسي القلب، ولهذا في وصايا الأطباء لمن أراد حفظ الصحة: أن يمشى بعد العشاء خطوات ولو مائة خطوة، ولا ينام عقبه، فإنه مضر جداً، وقال مسلموهم (أي من الأطباء): أو يصلي عقيبه ليستقر الغذاء بقعر المعدة، فيسهل هضمه، ويجود بذلك، ولم يكن من هديه أن يشرب على طعامه فيفسده، ولا سيما إن كان الماء حاراً أو بارداً، فإنه رديء جدا.

[١] أخرجه الترمذي في سننه (١٨٥٦) باب فضل العشاء، قال الترمذي حديث منكر لا نعرفه الا من هذا الوجه، دار احياء التراث العربي، بيروت ج ٤ ص ٢٨٧.

هديه صلى الله عليه وسلم في الشراب: كان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد، وفى هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدى إلى معرفته إلا أفاضل الأطباء، فإن شربه ولعقه على الريق يذيب البلغم ويغسل خمل المعدة، ويجلو لزوجتها، ويدفع عنها الفضلات، ويسخنها باعتدال، ويفتح سددها، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أنفع للمعدة من كل حلو دخلها، وإنما يضر بالعرض لصاحب الصفراء لِحدتهَ وحِدة الصفراء، فربما هيجها، ودفع مضرته لهم بالخل، فيعود حينئذ لهم نافعا جدا، وشربه أنفع من كثير من الأشربة المتخذة من السكر أو أكثرها، ولا سيما لمن لم يعتد هذه الأشربة، ولا ألفها طبعه، فإنه إذا شربها لا تلائمه ملاءمة العسل، ولا قريبا منه، والمحكم في ذلك العادة، فإنها تهدم أصولا، وتبني أصولا. أما الشراب إذا جمع وصفَّى الحلاوة والبرودة، فمن أنفع شيء للبدن، ومن أكبر أسباب حفظ الصحة.

وللأرواح والقوى والكبد والقلب عشق شديد له واستمداد منه، وإذا كان فيه الوصفان حصلت به التغذية، وتنفيذ الطعام إلى الأعضاء وإيصاله إليها أتم تنفيذ. أما الماء البارد فرطب يقمع الحرارة ويحفظ على البدن رطوبته الأصلية، ويرد عليه بدل ما تحلل منها، ويرقق الغذاء وينفذه في العروق.

من هديه الشرب قاعداً: صح عنه أنه نهى عن الشرب قائماً، وصح عنه أنه أمر الذي شرب قائماً أن يستقيء، وصح عنه أنه شرب قائماً.

فقالت طائفةٌ: هذا ناسخٌ للنهي، وقالت طائفةٌ: بل النهي ليس للتحريم، بل للإرشاد وترك الأَوْلَى وقالت طائفةٌ: لا تعارض بينهما أصلاً، فإنه إنما شرب قائما

للحاجة، فإنه جاء إلى زمزم، وهم يستقون منها، فاستقى فناولوه الدلو، فشرب وهو قائم، وهذ كان موضع حاجة[1] .

وللشرب قائماً آفاتٌ عديدة منها : أنه لا يحصل به الري التام، ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء، وينزل بسرعة وحدة إلى المعدة، فيخشى منه أن يبرد حرارتها، ويشوشها، ويسرع النفوذ إلى أسفل البدن بغير تدريج، وكل هذا يضر بالشارب، وأما إذا فعله نادرا أو لحاجة، لم يضره، ولا يعترض بالعوائد على هذا، فإن العوائد طبائعٌ ثوان . ولها أحكام أخرى، وهى بمنزلة الخارج عن القياس عند الفقهاء .

قال الصحابة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثاً، ويقول : **إنه أروى وأمرأ وأبرأ**[2] . والشراب هو الماء، ومعنى تنفسه في الشراب إبانته القدح عن فِيه، وتنفسه خارجه .

---

[1] ابن القيم محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي، الطب النبوي دار الفكر بيروت، ج ١ ص ١٧٨.

[2] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٣٦٦٠)تعليق شعيب الأرنؤوط - حديث صحيح وهذا اسناد حسن لأجل ابي عاصم: وهو المزني البصري مؤسسة قرطبة القاهرة ج ٣ ص ٢٥١.

هديه في الجماع والباه: كان هديه أكمل هدى، يحفظ به الصحة، وتتم به اللذة وسرور النفس، ويحصل به مقاصده التي وضع لأجلها، فإن الجماع وضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلية. أحدها: حفظ النسل، ودوام النوع إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها إلى هذا العالم. الثاني: إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن. الثالث: قضاء الوطر، ونيل اللذة، والتمتع بالنعمة، وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة، إذ لا تناسل هناك، ولا احتقان يستفرغه الإنزال.

من هنا يُرى أن كلام الأطباء صحيح إذ يرون أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة، قال جالينوس: الغالب على جوهر المني النار والهواء، ومزاجه حار رطب، لأن كونه من الدم الصافي الذي تتغذى به الأعضاء الأصلية، وإذا ثبت فضل المني فاعلم أنه لا ينبغي إخراجه إلا في طلب النسل، أو إخراج المحتقن منه، فإنه إذا دام احتقانه، أحدث أمراضاً رديئة منها: الوسواس، والجنون، والصرع، وغير ذلك، وقد يبرئ استعماله من هذه الأمراض كثيراً، فإنه إذا طال احتباسه فسد واستحال إلى كيفية سمية توجب أمراضا رديئة كما ذكرنا، ولذلك تدفعه الطبيعة بالاحتلام إذا كثر عندها من غير جماع.

قال بعض السلف: ينبغي للرجل أن يتعاهد من نفسه ثلاثا: أن لا يدع الممشى، فإن احتاج إليه يوما قدر عليه إذ ينبغي أن لا يدع الأكل، فإن أمعاءه تضيق، وينبغي أن لا يدع الجماع، فإن البئر إذا لم تنزح، ذهب ماؤها.

قال محمد بن زكريا[1]: من ترك الجماع مدة طويلة، ضعفت قوى أعصابه، وانسدت مجاريها، وتقلص ذكره. قال: ورأيت جماعة تركوه لنوع من التقشف، فبردت أبدانهم، وعسرت حركاتهم، ووقعت عليهم كآبة بلا سبب، وقلت شهواتهم وهضمهم. ومن منافعه: غض البصر، وكف النفس، والقدرة على العفة عن الحرام، وتحصيل ذلك للمرأة، فهو ينفع نفسه في دنياه وأخراه، وينفع المرأة. لذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويحبه، ويقول: **حبب إلى من دنياكم: النساء والطيب**[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج**[3].

وكان يحث على نكاح الولود، ويكره المرأة التي لا تلد، كما في السنن، أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم: فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، فأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: **(تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم)**[4]، ومما ينبغي تقديمه على الجماع ملاعبة المرأة، وتقبيلها. وشرع للمجامع إذا أراد العود قبل الغسل الوضوء بين

---

[1] أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، مولده ومنشؤه بالري وسافر إلى بغداد وأقام بها مدة، وكان قدومه إلى بغداد وله من العمر نيف وثلاثون سنة، وكان من صغره مشتهياً للعلوم العقلية مشتغلاً بها وبعلم الأدب، ويقول الشعر، وأما صناعة الطب فإنما تعلمها وقد كبر، وكان المعلم له في ذلك علي بن ربن الطبري، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، موقع الوراق، ج ١ ص ٢٧٤.

[2] أخرجه الامام أحمد (١٢٣١٦) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، مؤسسة قرطبة القاهرة، ج ٣ ص ١٢٨.

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٦٨٥)باب كتاب النكاح، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح، دار الكتب العلمية بيروت ج ٢ ص ١٧٦.

[4] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٦١٣) تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد قوي، مؤسسة قرطبة القاهرة ج ٦ ص ٩.

الجماعين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود فليتوضأ**[1] . وفي الغسل والوضوء بعد الوطء من النشاط، وطيب النفس، وإخلاف بعض ما تحلل بالجماع، وكمال الطهر والنظافة، واجتماع الحار الغريزي إلى داخل البدن بعد انتشاره بالجماع، وحصول النظافة التي يحبها الله، ويبغض خلافها ما هو من أحسن التدبير في الجماع، وحفظ الصحة والقوى فيه.

وأنفع الجماع: ما حصل بعد الهضم، وعند اعتدال البدن في حره وبرده، ويبوسته ورطوبته، وخلائه وامتلائه وضرره عند امتلاء البدن أسهل وأقل من ضرره عند خلوه، وكذلك ضرره عند كثرة الرطوبة أقل منه عند اليبوسة وعند حرارته أقل منه عند برودته، وإنما ينبغي أن يجامع إذا اشتدت الشهوة، وحصل الانتشار التام الذي ليس عن تكلف، ولا فكر في صورة، ولا نظر متتابع.

ولا ينبغي أن يستدعى شهوة الجماع ويتكلفها، ويحمل نفسه عليها، وليبادر إليه إذا هاجت به كثرة المني، واشتد شبقه، وليحذر جماع العجوز والصغيرة التي لا يوطأ مثلها، والتي لا شهوة لها، والمريضة، والقبيحة المنظر، والبغيضة، فوطء هؤلاء يوهن القوى، ويضعف الجماع، وهذا بالاستقراء صحيح ولا ينظر لكلام بعض الأطباء: إذ قالوا أن جماع الثيب أنفع من جماع البكر وأحفظ للصحة، وهذا من القياس الفاسد، حتى ربما حذر منه بعضهم، وهو مخالف لما عليه عقلاء الناس ولما اتفقت عليه الطبيعة والشريعة.

---

[1] أخرجه مسلم (٧٣٣)باب نوم الجنب واستحباب الوضوء له، دار الجليل بيروت، ج ١ ص ١٧١.

يستنتج الباحث عظمة هذا الدين، إذ جمع بين الأدوية الإلهية والطبيعية فكانت الفائدة أكبر لأنه جمع بين الدواءين.

وختاما فإن بحث الطب النبوي لهو من أبلغ ما توصل إليه من سار في هذا الفن، لأنه وحي فكل ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وحي؛ فالحجامة أكبر دليل على ما يقترحه علم الطب اليوم من التبرع بالدم على سبيل المثال غير أنها علاج لمن اشتكى ألماً في موضع الحجامة من رأس أو ظهر أو كاحل كما احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل هذه الأماكن وغيره كشرب العسل إذ هو شفاء وثبت ذلك طبياً.

المبحث الثالث
الأدوية البشرية في العصر الأموي في المشرق والأندلس

بدأ الإسلام بعلوم الطب على ما كان عليه علماء الطب من العرب الذين دخلوا في الإسلام فطوروا عليه، ولما انتقل الإسلام من عصر الخلافة الراشدة بأسُس من الطب النبوي اتسع العلم والفكر عند المسلمين في عصر الخلافة الأموية، حتى شاع ذكرها بين العباد وفي أنحاء البلاد، وحتى أصبحت دمشق منارة للعلم والتعليم وكذلك الأندلس، تلك البلاد التي ازدهرت بالإسلام أولا ثم بالعلم والفكر والحضارة ثانيا، وحتى هذه اللحظة لا يُنكر أحدٌ حتى الغرب بفضل علماء المسلمين في كل الفنون خاصةً علم الطب على ما قدموه للبشرية، وكتبهم تُدرس في الجامعات كأمهات للكتب والعلوم.

المطلب الأول: نشأة الطب والصيدلة في العصر الاموي

أولاً – الصيدلة زمن الأمويين في دمشق (٤١–١٣٢ ه، ٦٦١–٧٤٩ م) :

بدأ الطب بداية العصر الأموي يتخذ خطاً جديداً، فإذا بالتأثيرات اليونانية تتسرب اليه شيئاً فشيئاً وتَتبَعها صنوف الطب الأخرى التي أخذت بعد ذلك تتوالى، وكان ذلك رهناً بالانتقال من البداوة إلى الحضارة.

ففي هذا العصر بُذرت بذور الحضارة التي أينعت في العصر العباسي، حيث اهتم الأمويون بنقل العلوم القديمة من يونانية وفارسية وهندية إلى اللغة العربية، وكانت

دمشق منارةً تشع بالعلم والحضارة في أرجاء واسعة من العالم، وعني الأمويون بالعلوم المختلفة من بينها الطب والكيمياء، فعملوا على ترجمتها للعربية[١].

ثانياً – اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ووعي الفاتحين بضرورة الحفاظ على المؤسسات التعليمية والعلمية والدينية، وتنشيط مدرسة جنديسابور في رسالتها القائمة على نشر العلم، فانطلق العلماء وخاصة الأطباء منها إلى بلاد الشام، بناءً على دعوة الخلفاء والأمراء أو طلباً للرزق، ويعد خالد بن يزيد[٢] أول من شجع على الترجمة حيث أنشأ أول مكتبة للكتب في دمشق.

المطلب الثاني: المارستان (المشفى) زمن الأمويين وأشهر الأطباء في عصرهم من مسلمين ومسيحين

تم بناء أول مارستان في الإسلام ودارٍ للمرضى في زمن الأمويين، على يد الوليد بن عبد الملك ٨٨ ه – ٧٠٦م وجعل في المارستان الأطباء وأجرى لهم رزقاً، وجعل للمجزومين مصحاً خاصاً بهم وأجرى لهم الأرزاق لئلا تنتقل العدوى وكذلك لكل أعمى أجرى له رزقاً وقائداً يقوده[٣].

---

[١] محمد زهير البابا، تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة، الطبعة الخامسة منشورات جامعة دمشق ١٩٩٨م، ص ١٤٢.

[٢] أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي؛ كان من أعلم قريش بفنون العلم، وله كلام في صناعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته، وفيات الاعيان دار صادر بيروت ج ٢ ص ٢٢٤.

[٣] ابن أبي أصيبعة الكحال خليفة بن يونس بن أبي القاسم بن خليفة الحكيم سديد الدين أبو القاسم الأنصاري الخزرجي السعدي العبادي الكحال المعروف بابن أبي أصيبعة، هو والد صاحب تاريخ الأطباء موفق الدين ولد بالقاهرة، واشتغل بها هو وأخوه الطبيب رشيد الدين وبرع السديد في الكحل، ورزق فيه حظوة وكان في البيمارستان النوري وقلعة دمشق وتوفي سنة تسع وأربعين وست مائة الأعلام للزركشي ج ٥ ص ٣٠.

اشتُهرت تجارة العقاقير والحوانيت المتخصصة ببيع العطور والبخور والروائح والأعشاب التي كانت متداخلة بشكل كبير مع ممارسة الطب والمعالجة، خاصة كون دمشق عاصمة الدولة الإسلامية مما دعم موقفها التجاري فازدهر تبادل الأدوية والعقاقير الطبية بين الغرب (فينيسيواوربا)، والشرق (الصين والهند والسند وبلاد فارس) والجنوب (الجزيرة العربية واليمن)، مما أثر بشكل ايجابي على تطور الصيدلة وجمع الأدوية ووصف النباتات والمعالجة وأشهر الأطباء في تلك الحقبة من مسلمين وغيرهم، ومنهم :

١ – عبد الملك بن أبحر الكناني[١] .

٢ – خالد بن يزيد بن معاوية[٢]، تلقى الطب والكيمياء على يد الطبيبين الراهبين.

٣ – عيسى بن الحكم[٣] الذي ألف كتابا في الطب، وكتابا في منافع الحيوان .

٤ – ماسرجويه البصري السرياني[٤]، قام بترجمة كتاب أهرن الإسكندري.

٥ – ابن أثال[٥] .

---

[١] عبد الملك بن أبجر الكناني كان طبيبا عالما ماهرا، وكان في أول أمره مقيما في الإسكندرية لأنه كان المتولي في التدريس بها من بعد الإسكندرانيين القانون في الطب لابن سينا ج ٦ ص ٢٦٤.

[٢] خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الاموي القرشي، أبو هاشم حكيم قريش وعالمها في عصره. اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، فأتقنها وألف فيها رسائل الاعلام للزركشي ج ٢ ص ٣٠٠.

[٣] عيسى بن الحكم هو رجل من أهل دمشق من أرض الرشيد وكان خبيرا بالطب حسن المباشرة والمعالجة اخبار العلماء بأخيار الحكماء ج ١ ص ١٠٢.

[٤] ماسرجويه البصري (كان حيا قبل ١٠١ ه) (٧٢٠ م) طبيب إسرائيلي من تصانيفه: قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها،. معجم المؤلفين، ج ٨ ص ١٦٧.

[٥] ابن أثال كان طبيبا متقدما من الأطباء المتميزين في دمشق، نصراني المذهب، ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيه، والمحادثة معه ليلا ونهارا، وكان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها - سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة ج ٧ ص ٤٦٩.

المطلب الثالث: الصيدلة زمن الأمويين في الأندلس (١٣٨ - ٤٢٢ هـ/٧٥٥ - ١٠٣٠م)

كانت الأندلس قبل وصول الحكم الأموي إليها تترنح في المجالات الطبية، تعتمد في المداواة على أفكار بدائية، وكان للعادات والتقاليد تأثير كبير في تداول بعض الوصفات الشائعة واستعمال بعض الأعشاب والعقاقير المحلية.

شجع الأمراء والخلفاء الأمويون في الأندلس طلاب العلم للسفر إلى الشرق منذ زمن الأمير الخامس محمد ابن عبد الرحمن[1] (٨٥٢–٨٨٨ م)، وشجعوا على جلب المؤلفات الحاوية على علوم القدماء والمحدثين من بغداد والشام والقسطنطينية، ومن أشهر من رحل إلى بغداد يونس بن أحمد الحراني[2] وولداه عمر وأحمد ثم عاد ولداه إلى الأندلس، وكذلك فعل محمد بن عبدون الجبلي[3] الذي رحل إلى مصر وتدرب في ميرستان القاهرة ثم عاد إلى الأندلس.

---

[1] محمد بن عبد الرحمن هو من أواخر خلفاء بني أمية في الأندلس - ك: نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب ج١ ص٣٠.

[2] يونس بن أحمد الحراني الذي ورد من المشرق، كان في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن، وكانت عنده مجربات حسان بالطب فاشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها كعيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٣٢٥.

[3] محمد بن عبدون الجبلي العددي من أهل قرطبة، برع بالحساب والهندسة، ورحل في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، فدخل مصر والبصرة، وعني بعلم الطب فمهر فيه، وعمل في مارستان الفسطاط، ثم رجع، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: **لأحمد بن المقري التلمساني**، دار صادر بيروت ج ٢ ص ١٥١.

ونظرا لما أبداه خلفاء الأندلس من الاهتمام بالمؤلفات القديمة أهدى إمبراطور بيزنطة كتاب ديسقوريدس[1] الحاوي على رسومات النباتات الطبية إلى الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر، وأرسل مترجماً له لهذا الكتاب إلى العربية سنة ٩٥٠ م، وفي زمن الحكم الثالث وصل عدد الكتب الموجودة في مكتبة قرطبة إلى ٥٠٠ ألف كتاب لها فهرس يزيد عدد صفحاته على ٢٠٠٠ صفحة[2]. وبلغت الحضارة في الأندلس ذروتها خلال الفترة بين القرن العاشر حتى نهاية القرن الثالث عشر للميلاد.

تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل التي أبدعت فيها العبقرية الإسلامية في حمل لواء العلم والحضارة بين الأمم خاصة من خلال أعمال الأطباء والصيادلة في الأندلس التي كان لها أثر عظيم في ازدهار الدراسات الطبية في أوروبا. أما أشهر الأطباء والصيادلة في الأندلس فهم:

١ – عريب بن سعيد القرطبي[3] له كتاب طبي يعتبر أول كتاب طبي يبحث بطريقة علمية في تطور الجنين اسمه (خلق الجنين وتدبير الحُبالى والمولودين).

---

[1] ديسقوريدس الذي كان مغرماً بالأعشاب حتى إنه وضع كتابا أسماه الأعشاب وصف فيه الأفيون والصبر والزنجبيل وبين فوائد كل منها، وكان جملة ما كتب عنه من أعشاب ونباتات تسعمائة وثمان وخمسين عشبة، نهاية الأرب في فنون الأدباء الكتب العلمية، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، بيروت ج ١١ ص ٩١.

[2] محمد زهير البابا تاريخ التشريع لآداب الصيدلة، ص ١٦٥.

[3] عريب بن سعيد القرطبي وصل تاريخ الطبري إلى سنة ٣٢٠ه واشتهر بعلم الطب أرشيف ملتقى أهل الحديث ج ٨٥ ص ٣٨٧.

٢ – ابن جلجل[١] وله كتاب مختصر ذكر فيه تراجم الأطباء والعلماء (طبقات الأطباء والعلماء)، وله كتاب في الأدوية المخزونة آخر في تفسير أسماء الأدوية المفردة، وله مقالة في الأدوية المفردة التي لم يذكرها ديقوريدس. وله مقالة في الترياق جمع فيها ما ذكر عن الترياق وأصله وتركيبته وذكر فيه أن الصيادلة في زمنه كانوا مهتمين بعمل الترياق وأصله وتركيبته.

٣ – ابن زهر عرف بالغرب باسم و Avenzoar[٢] له من الكتب (التيسير في المداواة والتدبير) وكتاب في (الأغذية)، وله رسائل (في الترياق السبعيني) وفي (الزينة) وفي (علتي البرص والبهق)، وهو أول من كشف عن الجرب والطفيلي الذي ينقله، كما عَرّف الأورام السرطانية ووصفها، وله آراء غريبة في علم الأدوية، منها أن العسل والسكر يوصلان الأدوية إلى الكبد بينما إذا استعمل الخل فهو يوصل الدواء إلى الطحال وهو يقول: إن الطبيب لا يليق بأن يحضر الأدوية من العقاقير[٣] (الأدوية المصنعة – المستخرجة أي عليه أن يكتشف فاعلية الدواء بنفسه).

---

[١] هو أبو داود بن حسان يعرف بابن جلجل، وكان طبيبا فاضلا خبيرا بالمعالجات، جيد التصرف في صناعة الطب، وكان في أيام هشام المؤيد بالله، وخدمه بالطب وله بصيرة واعتناء بقوى الأدوية المفردة عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ص ٣٢٨.

[٢] عبد الملك ابن زهر الأيادي، الإشبيلي، طبيب، أخذ الطب عن جده زهر بن عبد الملك، وبرع ونال حظوة عند السلاطين، معجم المؤلفين ج ٣ ص ٦١.

[٣] محمد زهير البابا تاريخ التشريع لآداب الصيدلة،، ص ١٧١ - ١٧٢.

٤ – خلف بن عباس الزهراوي[١] المتوفى سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م، وهو أشهر أطباء الأندلس ورائد الجراحة في قرطبة. اشتهر بتأليف كتابه المشهور "التصريف لمن عجز عن التأليف" والذي قال بالنسيان صاحب كتاب تاريخ الفكر الأندلسي: نرى أنه أهم وأذيع كتاب في تاريخ الطب كله، وإن الزهراوي قد ارتفع به في أعين الناس إلى طبقة أبقراط وجالينوس، وإنه يحوي رسوم الآلات الجراحية.

وهو أول مؤلف جعل الجراحة علما قائما بذاته مستقلا عن الطب وأقامها على أساس من العلم بالتشريح.

حتى قالواإإن الزهراوي أشهر أطباء الأندلس في ذلك العصر، بل من أعظم أطباء المسلمين أيضا... وربما كان الزهراوي أعظم الجراحين العرب على وجه الخصوص، ويذكر أن كتب أبي القاسم الزهراوي كانت المصدر العام الذي استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر، وكلنا مدينون لأبي القاسم بكثير من الآلات الجراحية التي تظهر صورها في كتبه[٢].

وختاما وجدنا أن الأمويين قد أبهروا العالم بمعارفهم وعلومهم الطبية حيث ترجموا الكتب الفارسية والصينية والهندية في الطب والكيمياء إلى العربية وهم أول من أسس المارستان (المشفى) وفتحوا ما يسمى اليوم (الصيدلية) دكان لبيع العقاقير والأعشاب الطبية فكان لهم السبق في ذلك.

---

[١] خلف بن عباس الزهرواي كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، عيون الانباء في طبقات الاطباء ج ١ ص ٣٣٣.

[٢] الاعلام للزركشي، ج ٢ ص ٣١٠

المبحث الرابع
الأدوية البشرية في العصر العباسي في المشرق والأندلس

نضج علم الطب في عصر الخلافة العباسية، ويرجع ذلك للاهتمام الخاص من الخلفاء والأمراء في تحصيل ذلك واجتهاد العلماء أيضا، وذلك بترجمة كتب الطب القديمة واستنباطهم وتطوير العلوم الطبية، حتى أصبح عصرُ الخلافة العباسية عصر العلم والعلماء وكانت بغداد ودمشق والأندلس ثلاث مدن تعج بعلومها وطلابها من أقصى الأرض إلى أقصاها.

المطلب الأول: تطور علم الأدوية في الشرق والأندلس في العصر العباسي

بزغت علوم كثيرة إبان العصر العباسي وأشهرها علما الطب والصيدلة، ويرجع ذلك إلى الترجمة التي بلغت أقصى تطورها في عصر العباسيين من خلافة أبي جعفر المنصور[1]، الذي كلف جورجيس بن بختيشوع النسطوري[2] بتعريب كتب كثير في الطب عن الفارسية، وتوارثت أُسرته بعد ذلك الترجمة والتأليف والتدريس وهناك أسماء كثير لعلماء أطباء وصيادلة عرفوا في أوروبا معرفة كبيرة وطبعت كتبهم وانتشرت آراؤهم ووصْفاتهم الطبية وحازوا على تقدير في تلك

[1] أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثاني الخلفاء العباسيين، معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر بيروت ج ١ ص ٤٥٧.

[2] جورجيس بن بختيشوع الجند نيسابوري كان طبيبا حاذقا نبيلاً له تأليف في الطب أخبار العلماء بأخيار الحكماء، للقفطي، ج ١ص ٦٠.

البلدان، حتى كانت مكانة الطبيب أو الصيدلاني منهم تعرف بمقدار معرفته وإحاطته بعلوم أولئك العلماء العرب، فتعلمت منهم أوروبا وأخذت عنهم الكثير مما ساعده على نهضتها العلمية المعاصرة.

من هؤلاء عالم الطب الذي نسيناه وتذكره الغرب (الطبيب والصيدلي العربي (ماسويه الماردينی)[١] الذي ولد في ماردين، والتي غادرها إلى بغداد عاصمة الخلافة ومركز الإشعاع الحضاري آنذاك، والذي تخصص في الطب والصيدلة والنباتات الطبية، ثم غادر إلى القاهرة فأقام فيها يزاول فيها مهنة الطب زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ومات ودفن بالقاهرة عام ١٠١٥م عن عمر يناهز ٩٠ عاماً.

يكاد يكون اسم ماسويه مجهولا عند العرب بينما سطع في أوروبا وكان كتابه في العقاقير، وكتابه المادة الطبية في مقدمة ما تُرجم إلى اللاتينية.

وكتابه في (العقاقير) يقع في اثني عشر جزءاً، اشتهر في أوروبا قروناً عديدة (الكتاب الأول في الطب)، ولكن الأكثر أهمية كان كتاب المادة الطبية، حيث كان العمدة في الصيدلة في أوروبا واحتوى على ٣٠ جزءاً.

عُرف من هذا الكتاب معظم الأدوية التي حضرها العرب بأنفسهم أو جلبوها، ويعتبر عهد الخليفة المأمون العصر الذهبي لازدهار حركة الترجمة والإنفاق عليها بسخاء، وقد برز في مجال الترجمة والتأليف أبو يعقوب يوحنا ابن

---

[١] ماسويه الماردينی (المتوفى سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م) الذي عاش في بغداد والقاهرة، وعرف في أوروبا بماسويه الصغير أيضا، وله مؤلف ضخم في العقاقير في اثني عشر جزءاً، ترجم إلى اللاتينية وشاع واشتهر اشتهاراً واسعاً في أوروبا اللاتينية، اثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، لأحمد علي الملا، دمشق، دار الفكر، ج ١ ص ١٤٤٠.

ماسويه[1] الطبيب المسيحي الدمشقي، الذي عهد إليه الرشيد بترجمة الكثير من كتب الأطباء والحكماء مثل أبقراط وجالينوس وغيرهما وخلف يوحنا تلميذه حنين ابن اسحاق العبادي الملقب بشيخ تراجمة العصر العباسي .

المطلب الثاني: مشاهير المؤلفين في علم الصيدلة والأدوية في العصر العباسي

إن أهم مؤلفي العصر العباسي في المجال الطبي والصيدلاني :

١ – الرازي[2] توفي ٩٣٢ م اشتهر في الطب والكيمياء وجمع بينهما وبلغت مؤلفاته الطبية ٥٦ كتاباً. أشهرها كتاب الحاوي ويقع في ١٠ أجزاء يختص كل منها بطب عضو أو أكثر وكتاب المنصوري وهو ١٠ مقالات في تشريح أعضاء الجسم، ورسالة الجدري والحصبة وتعتبر أول بحث في تاريخ الأمراض الوبائية، وكتاب الحصى في الكلى والمثانة وباقي كتب الرازي لا تقل أهمية عن كتبه المذكورة، فمثلاً كتاب (برء ساعة) (وفي كتاب إلى من لا يحضره الطبيب)، (والطب الملوكي) (في قصص وحياة المرضى) اشتملت موضوعات جديدة تشهد بعبقرية الرازي وإجادته وأمانته وأصالة منهجه العلمي في التأليف والبحث وظلت مكانته في القمة، ووضعه المستشرقون والمنشغلون بتاريخ الطب أعظم طبيب أنجبته النهضة العلمية الإسلامية .

---

[1] - ابن ماسويه ابو زكريا يحيى بن ماسويه الخوزي (٧٧٧ - ٨٥٧) طبيب عالم سرياني يعود له الفضل في تطوير كثير من العلوم في العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول، **عيون الانباء في طبقات الاطباء**، ابن أبي أصيبعة، ج ١ ص ١٦٦.

[2] سبقت ترجمته ص ٤٦.

٢ – أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا[١] توفي ١٠٣٧م، لقب بالشيخ الرئيس ابن سينا، ولقب بجالينوس الفرس، ويعتبر من بين المساهمين اللامعين في علوم الصيدلة والطب خلال الحقبة العربية فهو الصيدلاني، الشاعر، الطبيب، الفيلسوف، والدبلوماسي، حيث بقيت مذاهب ابن سينا الصيدلانية مقبولة كمراجع في الغرب حتى القرن السابع عشر. ولا تزال مؤثرة وبشكل مسيطر في الشرق، حيث إن مؤلفاته تمتاز بالدقة والتعمق والسلاسة وحسن الترتيب، وهي كثيرة أشهرها كتاب القانون في الطب الذي فضله العرب، لأنه يجمع بين خلاصة الفكر اليوناني، ويمثل غاية ما وصلت الحضارة العربية الإسلامية في مجال الطب والأدوية، وفي قانون ابن سينا طريقاً إلى توليدو، حيث تمت ترجمته إلى اللغة اللاتينية بوساطة جيرارد من كرينونا، وأثرت هذه الترجمة بالفكر الأوربي تجاه الدواء والمعالجة.

قام العرب في العصر العباسي في مجال مؤلفات الدوائية الصيدلانية بالالتزام بتقديم أسماء النباتات باللغة العربية وما يقابلها باللغات الأخرى المتداولة في ذلك الحين وقاموا باكتشاف الأمراض وطرق علاجها وطرق تحضير الأدوية الخاصة بتلك الأمراض، وكان السبب الرئيسي لوجود الأقرباذينات والدساتير الدوائية، وحماية للمستهلك الذي كان يجهل كيفية كشف الغش والتدليس والتلاعب، من قبل

---

[١] ابن سينا، هو أبو علي الحسين بن عبد اللهّ بن علي بن سينا، وهو إن كان أشهر من أن يذكر، وفضائله أظهر من أن تسطر، فإنه قد ذكر من أحواله، ووصف من سيرته ما يغني غيره عن وصفه، عيون الانباء في طبقات الأطباء، ابن أبي ايصبعة، ج ١ ص ٢٩٧.

العطارين والعشابين والسبب الأخر هو تدريب وتعليم ممارسي المهنة ليتمكنوا من تحضير الوصفات الطبية بسهولة ويسر[١] .

مما تقدم فإن الصيدلة كعلم بدأ بالظهور الفعلي بشكل مستقل في العصر العباسي وأخذ بالتطور وجمع الخبرات وتدوينها .

المطلب الثالث: الصيدلة في بلاد الأندلس

اهتم علماء الأدوية والطب في الأندلس في عصر الخلافة العباسية في التداوي بالعقاقير . ويذكر الرازي في كتابه الحاوي : إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة، ومن خلال هذه الجملة يمكن أن نستخلص بأن الأطباء وعلماء الأدوية عند العرب عامة وفي الأندلس خاصة فضلوا عدم استعمال الأدوية إلا في حالات الضرورة بالرغم من أبحاثهم الهامة في علم الأدوية وهذه مقولة جديرة بالاهتمام . إذ إن البحوث الطبية تصب في هذه النظرية، وكذلك اهتم علماء الأدوية في الأندلس في ذكر اسم الدواء بلغات متعددة ثم اللون، الطعم، الرائحة، اللزوجة، الخشونة، الجودة، الرداءة، وذكر المنافع في جميع أعضاء الجسم ثم ذكر المضار، المقادير، البديل عن الدواء في حال فقدانه، الوقت المناسب لإيقافه لدى المريض والمكان الذي منه تم جلب الدواء، وهذا ما يمكن أن نجده في مراجع علوم الأدوية في أيامنا هذه .

---

[١] أحمد بن المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقري التلمساني، دار صادر بيروت لبنان ج ١ ص ١١٠.

لقد تبنوا في صفات الأدوية الفكر الإغريقي إذ قالوا أن العالم مؤلف من أربعة عناصر: اثنان خفيان: الهواء والنار، واثنان ثقيلان: التراب والماء، وجميع الأجساد تتكون من هذه العناصر ولهذه العناصر صفات أربع أيضا: الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف. أما الأخلاط المؤلفة من الدم الذي يأتي من القلب والبلغم والمفروض أن يأتي من الدماغ والصفراء التي يفرزها الكبد والمرارة والسواد الآتية من الطحال والمعدة فإن في توازنها يكون الجسم سليماً.

جاء العصر العباسي بعد العصر الأموي؛ ليكمل المشوار ويبدع ويزيد في العلوم فقام خلفاؤهم بالسخاء على العلماء وأهل المعرفة حتى لمع علماء العرب كماسويه المارديني حيث طار ولمع ذكره في أوروبا، وأدى ذلك إلى الاهتمام الزائد بعلوم الطب والصيدلة، وأكبر شاهد ابن سينا الذي اشتهر بالطب والكيمياء حتى وصلت مؤلفاته إلى ٥٦ كتاباً مما أعطى دافعاً للعودة إلى عز الإسلام بالعودة إلى الاهتمام البالغ بالعلوم والمعارف بما يرفع شأن الدول، وهذا ما نراه في أمريكا وأوروبا اليوم والصين.

الفصل الثاني
ضوابط رقابة صناعة الأدوية وتجارتها

بسم الله نبدأ وعليه نتكل في أمورنا كلها، ونسأله تعالى طهارة الظاهر والباطن، سيتناول الباحث في هذا الفصل طهارة الدواء قبل وبعد صنعها، فلا بد من التوضيح، والحديث عن طهارته للمسلمين بالدرجة الاولى ولغير المسلمين لما فيه من ضرر كبير على الصحة؛ كشرب الدم مثلا فهناك قبائل إلى يومنا هذا يشربون الدم تحت معتقدات تخصهم، وعند بعض المسلمين اجتهد البعض في العلاج بأبوال الإبل مستندين، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم مع العرنيين، ونسوا أن المرض كان جلدياً، فراح الكثير اليوم ممن نصبوا أنفسهم أطباء أعشاب لوصف بول الإبل مع اللبن لأمراض السرطان وغيره، ويبدو أن الدافع هو جمع المال (الغش) . وسيتطرق الباحث للجلاتين المستخرج من الخنزير والخلاف الكبير حوله، كما انتشر في البلاد كلها فيروس كوفيد ١٩ (كورونا)، وصار الاهتمام أكثر بالتعقيم والتطهير في المشافي وغرف العمليات، أيضا سيتناول الباحث تطوير أجيال الصنف الدوائي وخاصة الصادات الحيوية وأدوية الضغط والسكر، وهذا يقود إلى النظر بالحفاظ على حق المبتكر بوصفه حقا مصانا في الشرع والعرف الدولي. وسيتطرق الباحث إلى الفروق الكبيرة بين الشركات الدوائية التي همها الأساسي البحث العلمي، وشركات تمارس الغش الدوائي والخداع فيه، ناهيك عن التلاعب بالأدوية ذات الطابع (التخديري) . أما ترويج البضاعة والتلاعب بالمعايير، فلابد من النظر في شروط الشركة مانحة امتياز صنف دوائي، ووجود خبراء ومندوبين

تابعين لها في الشركة المنتجة. ولابد من الوقوف عند سياسات الترويج التي تتبعها شركات الأدوية وخاصة الوطنية منها من خلال سياسات الحسم (البونص) وأثر ذلك على سلوك المندوبين والأطباء، وهم على فريقين كما سيوضح الباحث.

المبحث الأول
طهارة التركيب الدوائي

سيتضمن هذا البحث الكلام عن الطهارة في الدواء قبل التصنيع وبعد التصنيع وطهارة التركيب المصنوع منه الدواء، فهناك دواء نجس العين يتداوى به عند بعض الشعوب، كشرب الدم، والتداوي بالبول، وهناك ما يكون طاهراً لكنه خالط النجاسة كالخمر فأصله طاهر من عصير عنب أو تفاح أو غيره وهناك ما رُكّب من طاهر ونجس، كالسم ودخل في العقاقير الطبية.

إضافة لتناول الخلاف حول الجلاتين الحيواني من الخنزير والكلام عن تحوله وكذلك في ترقيع جلد الحيوان النجس بجلد إنسان ووصل عظم الحيوان النجس بعظم إنسان، وفي هذا البحث لابد من التطرق للتعقيم والتطهير في ظل انتشار فيروس كوفيد ١٩(كورونا)، وسيتضمن عدة مطالب.

المطلب الأول: الدواء المفرد النجس العين، والدواء المركب من نجس وطاهر وحكم العلاج بهما

أ – **نجس العين**: استخدم الأطباء في العصر القديم والحديث أنواعاً من الأدوية في علاجهم للمرضى كانت نجسة العين فما حكم الشرع في ذلك وما هو الضرر الملحق بالمريض صحياً؟.

هناك أنواع من الأدوية النجسة قديماً وحديثاً وهي كالتالي:

أولا – الدم: قال الله تعالى: **قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (الأنعام: ١٤٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: (**إن الله لم يجعل شفاءكم في حرام**)[١]، وقال أيضا: (**أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال**)[٢].

فالدم حرم للتداوي أكان شرباً أم دهانا أم خلطاً مع مُكوّن آخر إلا ما استثني للضرورة؛ ففيه فسحة في ذلك، وإن الدم هو مَكمن تحريم أكل اللحوم من دون تذكية والشرع القويم قصد تفريغ الذبيحة منه لأقصى درجة ممكنة، وما ذاك إلا للضرر البالغ الناتج عن أكلها بدمائها.

ولم يكن من المعقول أو المقبول أن يحتم الإسلام كل هذه الشروط للتخلص من دماء الذبيحة عن طريق ذلك التشريع المحكم بتذكية الذبائح، ثم يعود فيبيح شرب أو أكل الدماء ذاتها مسفوحة خارج الذبيحة ومن أجل ذلك كان أمراً حتمياً أن يحرم الإسلام الدماء كسبيل لتغذية الإنسان، بل إن تحريمها يعد علامة ظاهرة على الحكمة والمقصد الشرعي من تذكية الحيوان بتجريده منها باعتبارها واحدة من

---

[١] اخرجه ابن حبان (١٣٩١)باب النجاسة وتطهيرها، مؤسسة الرسالة - بيروت، قال شعيب الأرنؤوط: حسان بن مخارق ترجمه البخاري وابن أبي حبان فلم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا وذكره المؤلف في الثقات وباقي رجاله رجال الشيخين، ج ٤ ص ٢٣٣.

[٢] اخرجه الإمام أحمد (٥٧٢٣): مؤسسة قرطبة - القاهرة، رمزّ السيوطي لصحته فقد روي مرفوعا لكنه في ضعف وروي موقوفا وهو (صحيح) وبما أن هذا الكلام لا يقال من قبل الرأي فهذا يعني أن الحديث إن كان موقوفا فله حكم الرفع، ج ٢ ص ٩٧.

أعظم الخبائث من الأطعمة، الأمر الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لهذا قال تعالى: **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** (الأعراف: ١٥٧).

أورد الطبري[1] في تفسيره: في قوله: (**أَوْ دَماً مَسْفُوحاً**) فإن معناه أو دماً مسالاً مهراقاً وفي اشتراطه جل ثناؤه في الدم عند إعلامه عباده تحريمه إياه المسفوح منه دون غيره الدليل الواضح أن ما لم يكن منه مسفوحاً فحلال غير نجس، وحكى الماوردي[2] أن الدم غير المسفوح إن كان ذا عروق يجمد عليها كالكبد والطحال؛ فهو حلال لقوله صلى الله عليه وسلم: (**أحلت لنا ميتتان ودمان...**)[3].

وصار السر في تحريم الدم المسفوح معلوماً مقرراً اليوم عند أهل الطب والتحاليل الطبية وعلم الكائنات الدقيقة؛ حيث الدم أصلح الأوساط لنمو الجراثيم فيه، فإذا ما شرب إنسان الدم فكأنما شرب مزرعة نمت فيها الجراثيم وتكاثرت وأفرزت من السموم القاتلة ما هو معلوم من الآثار بالغة الضرر الناتجة عن غزو الجراثيم للجسد الإنساني عندما يصاب بالأمراض الفاتكة المعدية.

فإن قيل فإن طَبخ الدم وطهيه بالنار وأكله لا شك أنه يؤدي إلى قتل هذه البكتريا والميكروبات والقضاء عليها مع بقاء ما يرتجى من منافع التغذية بالداء؟ فالجواب: إن

---

[1] محمد بن جرير * ابن يزيد بن كثير، الامام العلم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل، طبرستان. مولده سنة أربع وعشرين ومئتين، سير اعلام النبلاء ج ١٤ص ٢٦٧.

[2] علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف منها الاحكام السلطانية سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٦٤.

[3] اخرجه البيهقي في السنن الكبرى، (١١٢٨)باب الحوت يموت بالماء والجراد، يروى مرفوعاً وموقوفاً من كلام ابن عمر وهو أصح ومع ذلك فله حكم المرفوع لأن هذا الكلام لا يقال من قبل الرأي، ج ١ ص ٢٥٤.

من هذه السموم ما لا يتغير بالغلي تغييراً يجعلها صالحة للجسم، ومنها ما لا يتغير مطلقاً، بل تبقى سموماً قاتلة حتى بعد غليها، بل يمكن أن تتحول بأثر الحرارة إلى ما هو أشد منها فتكاً وضرراً.

أما الفائدة التي يمكن أن يتوقعها شارب الدم من حيث تصوره أنه مادة مغذية ومقوية، فهذا منعدم أيضاً بالنظر إلى طبيعة تكوين الدماء، فالدم عَسِر الهضم جداً حتى أنه إذا سكب جزء منه في المعدة تقيأه الإنسان على الفور، أو يخرج من البراز بدون هضم على صورة مادة سوداء، والسبب في عسر هضمه وتحويله البراز إلى هذا اللون الأسود هو وجود المادة الحمراء (الهيموجلوبين) المكونة في أساسها من عنصر الحديد فيه، وأثناء مرور الدم في القناة الهضمية ومرور الزمن عليه يتحلل ويتعفن وبذلك يضر بالجسم أيضاً، فإن طُهي؛ فالغلي يجمد جميع المواد الزلالية التي في الدم وبذلك تصير أشد عسراً عما كانت وأعظم ضرراً وأقل نفعاً.

وبعد مئات الأبحاث العلمية، والاتساع الهائل في المعارف الحديثة فيما يتعلق بالتحاليل الدموية والتعرّف الدقيق في الأسرار العلمية في هذا المضمار، تبين من غير خلاف بين جميع المعنيين بصحة الإنسان من كافة الجنسيات والتخصصات أن الأضرار الصحية الهائلة الناجمة عن شرب الدم أو طبخه واستخدامه إنما تعود إلى أن شرب الدم سم قاتل عن طريق الحقائق العلمية التالية:

أولاً: إن الدم في تركيبه النهائي يتكون من عنصرين أساسين، هما الماء بنسبة ٩٠٪ من تركيب السائل الدموي الذي تسبح فيه المكونات الدموية (المعروف باسم البلازما) والباقي يتكون من خلايا الدم وعناصر أخرى، وبما أن من يريد شرب

الدماء وعناصر أخرى، أو طبخها وأكلها فإنه يفعل ذلك ترقباً إلى قيمة غذائية عالية أو حتى عادية، فإن هذه الحقيقة العلمية تبرهن على أنه عليه أن يشرب من الدم المسفوح كميات هائلة كي يتسنى له الحصول على نسبة تعتبر فقيرة للغاية من البروتين الدموي مع كميات طفيفة من معدن الحديد بحيث لا تستحق المخاطرة بمواجهة الأخطار الناجمة عنها.

ثانياً: هذا القدر البروتيني الدموي يأتي مختلطاً بعناصر شديدة السمية وغاية في الضرر مما يجعل الإقدام عليه مجازفة كبرى وإلقاء للنفس في خطر، وأول هذه العناصر السامة هو غاز قاتل يتشبع به الدم هو غاز ثاني أكسيد الكربون، وهو يسري في الدماء الوريدية إلى كافة أنحاء الجسم.

ولما كان شارب الدم يستنزفه من الحيوان فإنه يشربه أو يطبخه مشبعاً بثاني أكسيد الكربون، وهو غاز قاتل خانق، وإنما تموت " المنخنقة " عن طريق تراكم هذا الغاز في الدماء وتحدث الوفاة بآثاره القاتلة. ولا يخفى أن تكرار شرب الدماء لمن اعتاد عليها وهي مشبعة بهذا الغاز، مؤداه أضرار صحية بقدر وجود هذا الغاز في دماء الحيوان، وبقدر قابلية جسم شاربه للتأثر به.

وبسبب المخاطر فإن شرب الدماء لابد من تحريمه، وعليه لا يجوز التداوي به[1]: **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** (البقرة/ ٢٦٩).

---

[1] فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، أحمد بن عبد الرزاق الدويش، مصر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ج ٢٥ ص ٣٦.

فسبحان الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم وأمتن بذلك عليه قال تعالى : **وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً** (النساء: ١١٣)، وسبحان الذي أكرم العالم بهذا الدين القويم الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا أوضح للناس منها منهجاً قويماً وصراطاً مستقيماً يقول الله تعالى : **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ *يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ** (المائدة: ١٥).

جاء في المجموع[١]، إذا اضطر إلى شرب الدم أو البول أو غيرهما من النجاسات المائعة غير المسكر جاز له شربه بلا خلاف، وان اضطر وهناك خمر وبول لزمه شرب البول ولم يجز شرب الخمر بلا خلاف لما ذكره المصنف، (وأما) التداوي بالنجاسات غير الخمر فهو جائز سواء فيه جميع النجاسات غير المسكر هذا هو المذهب والمنصوص وبه قطع الجمهور، وفيه وجه أنه لا يجوز لحديث أم سلمة رضي الله عنها المذكور في الكتاب (ووجه ثالث) أنه يجوز بأبوال الإبل خاصة لورود النص فيها ولا يجوز بغيرها حكاهما الرافعي[٢] وهما شاذان والصواب الجواز مطلقا لحديث أنس رضي الله عنه : **(أن نفراً من عرينة وهى قبيلة معروفة بضم العين المهملة وبالنون – أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الإسلام فاستوخموا المدينة فسقمت أجسامهم فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (ألا**

---

[١] النووي المجموع لابي يحيى شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦ ه، دار الفكر، بيروت، ج ٩ ص ٤٥.

[٢] مرجع سابق، النووي، ج ٩ ص ٤٥.

تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من أبوالها وألبانها ؟ قالوا : بلى ، فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها فصحوا ...) رواه البخاري ومسلم من روايات كثيرة هذا لفظ إحدى روايات البخاري : (وفي رواية فأمرهم أن يشربوا أبوالها وألبانها) قال أصحابنا : وانما يجوز التداوي بالنجاسة إذا لم يجد طاهرا يقوم مقامها فان وجده حرمت النجاسات بلا خلاف .

وفي الْهِدَايَةِ[1] : يَجُوزُ لِلْعَلِيلِ شُرْبُ الدَّمِ وَالْبَوْلِ وَأَكْلُ الْمَيْتَةِ لِلتَّدَاوِي إذَا أخبره طَبِيبٌ مُسْلِمٌ أَنَّ شِفَاءَهُ فيه ولم يَجِدْ من الْمُبَاحِ ما يَقُومُ مَقَامَهُ[2] .

ثانيا : البول : وهو نجس العين أيضاً : فإذا اضطر إلى شرب البول أو غيرهما من النجاسات المائعة غير المسكر جاز له شربه بلا خلاف وان اضطر وهناك خمر وبول لزمه شرب البول ولم يجز شرب الخمر بلا خلاف لما ذكره المصنف، أما حديث الذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام : **(إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)** ، فهو حرام عند وجود غيره وليس حراماً إذا لم يجد غيره، قال أصحابنا وإنما يجوز ذلك إذا كان المتداوي عارفاً بالطب يعرف أنه لا يقوم غير هذا مقامه، أو أخبره بذلك طبيب مسلم عدل ويكفي طبيب واحد، فلو قال الطبيب : يتعجل لك به الشفاء وإن تركته تأخر ففي إباحته وجهان حكاهما البغوي ولم يرجح واحداً منهما وقياس نظيره في التيمم أن يكون الأصح جوازه .

---

[1] الهداية شرح بداية المبتدي لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغياني سنة الولادة ٥١١ ه / سنة الوفاة ٥٩٣ ه الناشر المكتبة الإسلامية.

[2] الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند دار الفكر، بيروت سنة النشر ١٤١١ه - ١٩٩١م، ج ٥ ص ٣٥٥.

قال الشافعي : لا يجوز أكل الترياق المعمول بلحم الحيات إلا أن يكون في حال الضرورة حيث تجوز الميتة هذا لفظه، واحتج البيهقي في المسألة بحديث ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما أبالي ما أتيت إن أنا شربت ترياقاً أو تعلقت تميمة أو قلت الشعر من قبل نفسي)، ومعناه أن هذه الثلاثة سواء في كونها مذمومة، في مذاهب العلماء في مسائل من أحكام المضطر (إحداها) أجمعوا أنه يجوز له الأكل من الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوها للآية الكريمة، وفي قدر المأكول قولان للشافعي سبقا (أصحهما) سد الرمق، وبه قال أبو حنيفة وداود (والثاني) قدر الشبع وعن مالك وأحمد روايتان كالقولين (الثانية) إذا لم يكن مع المضطر مال وكان مع غيره طعام يستغنى عنه لم يلزمه بذله له بلا عوض وله الامتناع من البذل حتى يشتريه بثمن مثله في الذمة. قال العبدري وهو قول العلماء كافة وقول داود، قال : ومن أصحاب داود من قال يجوز للمضطر أن يأكل منه قدر تزول به الضرورة ولا ضمان عليه في ذلك كما لو رآه يغرق أو يحترق وأمكنه تخليصه لزم تخليصه من غير الزام عوض، واحتج أصحابنا بأن الذمة كالمال ولو كان معه مال لم يلزم صاحب الطعام بذله مجانا وكذا إذا أمكن الشراء في الذمة.

قال أصحابنا وأما ما احتج به المخالف فجوابه أنه لا فرق بينهما بل كل حالة أمكن فيها الموافقة على عوض لم يلزم إلا بالعوض (الثالثة) إذا وجد ميتة وطعاما لغائب فللشافعي قولان (أصحهما) يأكل الميتة وبه قال أبو حنيفة وأحمد لأنه منصوص عليها وطعام غيره مجتهد فيه (والثاني) يأكل طعام غيره وبه قال مالك لأنه مجمع

عليه مع طهارته ولو وجد ميتة وصيدا وهو محرم فالأصح أنه يأكل الميتة وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد (الرابعة) إذا وجد المضطر آدميا ميتا حل له أكله عندنا كما سبق تفصيله، وقال مالك وأحمد واصحاب الظاهر لا يجوز، واحتج أصحابنا بما ذكره المصنف أن حرمة الحي آكد من حرمة الميت (الخامسة) ذكرنا أن مذهبنا جواز التداوي بجميع النجاسات سوى المسكر وقال أحمد لا يجوز لحديث: **(إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)**[1].

و**(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء الخبيث)**[2] كما سبق وهو محمول على شربهم الأبوال للتداوي كما هو ظاهر الحديث.

وحديث لم يجعل شفاءكم محمول على عدم الحاجة إليه بأن يكون هناك ما يغني عنه ويقوم مقامه من الأدوية الطاهرة، وكذا الجواب عن الحديثين الآخرين، وقال البيهقي هذان الحديثان إن صحا حُملا على النهي عن التداوي بالمسكر وعلى التداوي بالحرام من غير ضرورة للجمع بينهما وبين حديث العرنيين والله تعالى أعلم)[3].

ما كان أصله طاهراً ثم تحول نجساً كالخمر: حول التداوي بالخمر، قال أئمة المذاهب الأربعة: يحرم على الراجح الانتفاع بالخمر وسائر المسكرات للمداواة وغيرها، كاستخدامها في دُهن أو طعام أو إذابة دواء أو بَلِّ طين، وروى طارق بن

---

[1] سبق تخريجه ص ١٠.

[2] أخرجه أبو داود باب في الترياق، (٣٨٧٠)، يَعْنِي السُّمَّ.، ج ٢ ص ٣٩٩.

[3] المجموع للنووي، ج ٩ ص ٥٠.

سويد[1] أنه سأل النبي صلّى الله عليه وسلم عن الخمر، فنهاه، أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء؟ فقال: **(إنه ليس بدواء، ولكنه داء)**[2].

لكن قال الحنفية[3]: يجوز التداوي بالمحرم إن علم يقيناً أن فيه شفاء، ولا يقوم غيره مقامه، أما بالظن فلا يجوز، وقول الطبيب لا يحصل به اليقين، ولا يرخص التداوي بلحم الخنزير، وإن تعين.

وقيد الشافعية[4] حرمة التداوي بالخمر إذا كانت صرفاً، غير ممزوجة بشيء آخر تستهلك فيه، أما الترياق المعجون بها ونحوه مما تستهلك فيه، فيجوز التداوي به عند فقد ما يقوم به، مما يحصل به التداوي من الطاهرات، كالتداوي بنجس كلحم حية وبول، وكذا يجوز التداوي بما ذكر لتعجيل شفاء بشرط إخبار طبيب مسلم عدل بذلك، أو معرفته للتداوي به، وبشرط أن يكون القدر المستعمل قليلاً لا يسكر.

قال العز بن عبد السلام[5]: جاز التداوي بالنجاسات إذا لم يجد طاهراً يقوم مقامها؛ لأن مصلحة العافية والسلامة أكمل من مصلحة اجتناب النجاسة، ولا يجوز

---

[1] طارق بن سويد وهو الصواب وهو من حضرموت أخبرنا إسماعيل بن علي بن عبيد الواعظ وغيره قالوا بإسنادهم إلى محمد بن عيسى السلمي قال: حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود أخبرنا شعبة عن سماك بن حرب: أنه سمع علقمة بن وائل عن أبيه: أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم وسأله سويد بن طارق أو طارق بن سويد عن الخكر فنهاه فقال: غنها يتداوى بها ! فقال رسول الله: " ليست بدواء ولكنها داء "
أسد الغابة، ج ١ص ٤٩٤.

[2] سبق تخريجه ص ١٠.

[3] الهدية العلائية للعلامة الشيخ علاء الدين عابدين: ص ٢٥١.

[4] مغني المحتاج للخطيب الشربيني: ١٨٨/٤

[5] عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (المعروف بالعز بن عبد السلام) عام ٥٧٧ ه (١١٨١ م)، الاعلام للزركلي، ج ٤ ص ٢٢٨.

التداوي بالخمر على الأصح إلا إذا علم أن الشفاء يحصل بها، ولم يجد دواء غيرها، لقوله تعالى: **فمن اضطر غير باغ ولا عاد** (البقرة: ١٧٣) فرفعت الضرورة التحريم، وخصصت الضرورة الحرام؛ لأن إهمال تعاطي الدواء قد يسبب الوفاة وأبان القرطبي المالكي[١] أنه يجوز الانتفاع بالخمر للضرورة[٢].

شرب الخمر في حالة العطش، أجاز جمهور الفقهاء شرب الخمر عند ضرورة العطش، أو الغصص أو الإكراه قدر ما تندفع به الضرورة؛ لأن الحفاظ على الحياة يقتضي إباحة كل ما يطفئ الظمأ. وقيّد الحنابلة شرب الخمر لضرورة العطش بما إذا كانت ممزوجة بما يروي من العطش، فتباح حينئذ فقط، فإن شربها صرفاً أو ممزوجة بشيء يسير لا يروي من العطش، لم يبح له ذلك، وعليه عقوبة الحد المقررة.

ثالثا – مركب من نجس وطاهر:

السم ومادة أخرى طاهرة: النجاسة إما أن تكون أصلية، أو مركبة من نجس وطاهر كماء ورد وبول أو خمر وعصير الخ، وهنا الكلام عن الدواء المركب من نجس وطاهر فالظاهر حكمه واحد إلا حسب ما ذكر عن المقدار النجس المعفو عنه المخالط للطاهر، فلو خلط شيء من السم مع تراكيب دوائية، فهل يصبح متنجساً أم لا؟

طهارة السم أو نجاسته: اختلف في نجاسة السم، فأطلق الحنابلة القول بأن السم نجس ولم يفرقوا بين الجامد وغيره، ولا بين ما كان من النباتات الطاهرة التي لم تحرم إلا لأضرارها، وما كان من الحيات والعقارب، وسائر الهوام ذوات السموم، وفرق

[١] محمد بن احمد بن عبد الله بن خيرة أبو الوليد الأندلسي القرطبي الفقيه المالكي الحافظ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون ج ١ ص ١٦٦.
[٢] أحكام القرآن لابن العربي: ٥٦/١ وما بعدها، تفسير القرطبي: ٢٣١/٢.

الشافعية بين ما كان من الأشجار والنباتات مما لم يحرم إلا من جهة كونه مضرا بالصحة وبين ما خالطته نجاسة أو كان من نجس، كأن يخالطه لحوم الحيات وغيرها من لحوم الهوام ذوات السموم أو كان لعابا لما ذكر، كسم الحية، والعقرب وسائر الهوام، قالوا: تبطل الصلاة بلسعة الحية؛ لأن سمها تظهر على محل اللسعة. أما لعاب العقرب فلا تبطل به الصلاة على الأوجه عندهم لأن إبرتها تغوص في باطن اللحم ويمج السم فيه، وهو لا يجب غسله. وسبب نجاسته عندهم ليس في السمية بل لكونه فضلة غير مأكول[١].

وقال المالكية[٢]: إن لعاب الحيات والعقارب وغيرها من ذوات السموم طاهر كلعاب كل حي إذا لم يستعمل النجاسة، قال الزرقاني[٣]: وإن لم يؤمن من سمها، يفهم من عبارات الحنفية أن لعاب الحيات والعقارب نجس عندهم؛ لنجاسة لحمها، ولعابها من جسمها ككل ما لا يؤكل لحمه.

بيع السم: لا خلاف بين الفقهاء في أن السم القاتل إذا خلا من نفع يباح أو خالطته نجاسة كلحوم الحيات وغيرها من النجاسات لا يجوز بيعه[٤]؛ لأن جواز الانتفاع في المبيع انتفاعا مشروعا وطهارته شرطان في صحة عقد البيع.

---

[١] مطالب أولي النهى لمصطفى السيوطي الرحباني ٦ / ٣٠٩.

[٢] مواهب الجليل ١ / ٩٣ وما بعده.، شرح الزرقاني ١ / ٢٤.

[٣] الزرقاني، عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني (١٠٢٠ - ١٠٩٩ ه = ١٦١١ - ١٦٨٨ م): فقيه مالكي، ولد ومات بمصر، من كتبه، شرح مختصر سيدي خليل، الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢٧٢.

[٤] كتاب الأم للشافعي ٣ / ١١٥، نهاية المحتاج ٣ / ٣٨٤، حاشية الجمل على المنهج ٣ / ٢٦

وإن كان فيه نفع مباح شرعا ولم تخالطه نجاسة فقد صرح الحنفية والمالكية والشافعية[1] بجواز بيعه سواء كان السم من الحشائش أم من الحيات. وفرق الحنابلة بين ما كان من النباتات والحشائش من السم وبين ما كان من الأفاعي، وقالوا بتحريم بيع سموم الأفاعي؛ لخلوها من نفع مباح، فأما السم من الحشائش والنباتات، فإن كان لا يُنتفع به أو كان يقتل قليله غالبا لم يجز بيعه؛ لعدم النفع وخوف الضرر منه، وإن كان فيه نفع كالتداوي به جاز بيعه.

التداوي بالسم: يجوز التداوي بالسم حتى عند من يقول بنجاسته إن غلبت السلامة من ضرره ويرجى نفعه، لارتكاب أخف الضررين، ولدفع ما هو أعظم منهما، بشرط إخبار طبيب مسلم عدل بذلك أو معرفة المتداوي به، وعدم ما يقوم مقامه مما يحصل التداوي[2].

الجلاتين: خمائر الجلاتين على نوعين حيوانية ونباتية، فالنباتية جائزة بلا خلاف، وأما الجلاتين الحيواني فبعضه مستخرج من تحت جلد الخنزير وهذا لا خلاف في نجاسته وحرمة أكله ولا ضرورة تدعو للانتفاع به لإمكان الاستغناء عنه بالجلاتين النباتي أو الجلاتين الحيواني المستخرج من البقر.

ويثار بين الحين والآخر موضوع وجود مواد غذائية تصنع من مادة الجيلاتين كالبقر أو الخنزير، ولا مشكلة في أن تكون المادة مصنوعة من جيلاتين حيوان حلال

---

[1] حاشية الطحاوي ص: ١٩، بدائع الصنائع ١ / ٦٤ - ٦٥.

[2] كشاف القناع ٢ / ٧٦، أسنى المطالب ٤ / ١٥٩، الأم للشافعي ٣ / ١١٥، شرح الزرقاني ٣ / ٢٧، ابن عابدين ٤ / ١٠١. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة الثانية، دار السلاسل الكويت. ج ٢٥ - ص ٢٥٧.

المأكل، لكن المشكلة تثار عندما يطرح سؤال، أن المنتج الفلاني يضاف إليه، أو يصنع من مادة (جيلاتين) الخنزير، وأول ما يأتي في أذهان الناس: كلمة (خنزير)، فتلقائيا يأتي إلى ذهنية المسلم التحريم، فالخنزير حرام أكله، وهنا خلط كبير علمي وفقهي.

الجيلاتين الحيواني: هو مادة لينة لزجة غير قابلة للذوبان في الماء تستخرج من عظام الحيوان وأنسجته عند غليه الطويل في الماء[١]. يستخلص الجيلاتين الخام من جلود أو عظام الابل والبقر والغنم والخنزير، والجيلاتين مادة تدخل الآن في الكثير من الصناعات الغذائية كالمعجنات وأغذية الأطفال وفي صناعة اللبن الرائب والأجبان والمثلجات والمشروبات والعصائر وبعض الأطعمة المهيأة على شكل مساحيق كمسحوق الجيلي العلك وحبات الحلوى الهلامية، كما تدخل في الصناعات الدوائية كصناعة المحافظ الدوائية (كبسولات) ويستخدم في إنتاج معاجين الأسنان والمراهم والكريمات ولإنتاج التحاميل الشرجية والمهبلية.

ولا حرج في استخلاص الجيلاتين من جلود وأعصاب وعظام الحيوانات المباحة والمزكاة ذكاة شرعية أو من نبات غير ضار ولا سام وهذا النوع من الجيلاتين مباح بلا منازع. ولا حرج في استعماله وتناوله في الغذاء والدواء[٢].

جاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي: يجوز استخدام الجيلاتين المستخرج من المواد المباحة ومن الحيوانات المباحة المذكاة تذكية شرعية، ولا يجوز استخراجه من محرم كجلد الخنزير وعظامه وشحمه وغيره من الحيوانات المحرمة.

---

[١] الجيلاتين، **(مج) (جيم)** المعجم الوسيط اج ١ ص ١٥٠.

[٢] موسوعة الفقه الإسلامي للتويجري ج ٤ ص ٣٢٩.

مجالات استعمال الجيلاتين في الطعام والدواء: بما أن الجيلاتين يقوم بوظائف متعددة في الأطعمة التي يضاف إليها، حيث إنه يعطي القوام المتماسك ولذا يدخل في الأطعمة مثل: عجائن المضغ كالعلك، والكراميل، والحلويات الرخوة. ويكثف الرغوة للمواد المخفوقة كالقشدة والمثلجات كالآيس كريم، وأقوات المرضى الذين أجريت لهم جراحة في القناة الهضمية، أو المصابين بقرحة في المعدة، أو الاثنا عشري.

وفي مجال الأدوية فيما يلي: تحضير كبسولات الدواء القاسية أو اللدنة والكبسولات الدوائية الدقيقة، وإنتاج أقراص المص القاسية أو الطرية المحملة بفيتامينات ومواد علاجية أخرى، وإنتاج الأقراص أو الملبسات الدوائية، ويستعمل كبديل أو موسِّع للبلازما (للاستخدام عند الحاجة إلى تعويض حجم الدم الناقص)، وكموقف لنزف الدم في الأعمال الجراحية، وكمضاد للتهيج في الحروق وغيرها من إصابات الجلد، ويستعمل في تحضير التحاميل (اللبوس) الشرجية والمهبلية، لأنه يذوب بفعل حرارة الجسم.

هل يظل جيلاتين الخنزير على حالته؟ سؤال مهم، للإجابة عن حلٍّ أو حرمة استخدام جيلاتين الخنزير في كل ما سبق أنه يدخل في تركيبته، الجيلاتين عند استعماله في هذه الأطعمة والأدوية، لا يظل على حالته، بل يتعرض لعملية تحول لمركب آخر، وهناك خلاف كيميائي علمي في الموضوع، هل يتحول تحولا كاملا، أم تحولا جزئيا؟ معظم الأبحاث تشير إلى تحوله كاملاً، وقليلٌ منها يشير إلى

التحول الجزئي. لكن الأشهر والأغلب حاليا: أنه يتحول بشكل كلي، أو أقرب إلى الكلي.

وبعد التطرق لاستخدامات جيلاتين الخنزير، وتوفر المعلومات بتحوله إلى مادة أخرى، فهذا يحيل لموضوع فقهي معروف بالاستحالة، أي تحول مادة أصلها حلال لحرام، أو حرام لحلال، فيرى كثير من الفقهاء أن الاستحالة تحكم بطهارة المادة التي تحولت، وبالتالي يحل أكلها واستخدامها، ومنها: جيلاتين الخنزير، ورأى فريق آخر بأن الاستحالة لا تطهره.

المجيزون: إن ممن قال بالطهارة بعد الاستحالة: الحنفية، وقول للمالكية، والظاهرية، وقول للحنابلة، ووجه للشافعية.

أدلة جواز جيلاتين الخنزير المتحول: أما أدلة من يجيز، فيعتمد على عدة أدلة أهمها:

أولا: أن النبي صلى الله عليه وسلم نبش قبور المشركين في مسجده، ولم ينقل التراب.

ثانيا: أن الأصل في كل متحول: الطهارة والحل، ولا نص على تحريمها.

ثالثا: أن النظر لا يكون لأصل الشيء، بل يكون لحالته التي تحكم فيها، فمثلا: الخمر كان عنباً، فأصبح حراماً، رغم أن أصله حلال، ولو تحول الحرام (الخمر) لخل، لصار حلالاً باتفاق، إذا تحول وحده، وإذا تحول بفعل الإنسان، فموضع خلاف والراجح أنه حلال، فهذا النموذج أوضح أنه يمكن أن يتحول الحلال لحرام، والحرام لحلال. ونفس النموذج الخنزير، فلو أن خنزيرا سقط في (ملاحة)، بحر من الملح،

فتحول الخنزير بعامل الزمن لملح، ما حكم هذا الملح، وهل نقول عنه خنزير مملح، أم ملح؟ إن الناظر إليه سيقول ملح، وأخذ حكما آخر هو حكم الملح، سواء كان أصله خنزيرا، أم أصله ميتة تحولت لملح، وذكر الفقهاء مثالا مهما لذلك، وهو الزرع الذي يسقى بالماء النجس، هل يحكم بنجاسة الزرع؟ إنه يحكم بطهارته، وحل استخدامه طعاما.

إضافة إلى أدلة أخرى، لا يتسع المقام لذكرها، تدل على جواز وحلّ استخدام جيلاتين الخنزير بعد تحوله، هذا عن جيلاتين الخنزير، وهناك استخدامات أخرى للخنزير كدهنه وشعره، حيث إنها تدخل في كثير من مواد التنظيف والتجميل، والتداوي.

ومع القول بتحريم استخراج الجيلاتين من هذه المواد المحرمة إلا أنَّ حكم تناوله بعد دخوله في صناعة الغذاء والدواء يتوقف على تحقق الاستحالة في الجيلاتين بعد دخول الصنعة عليه، فإذا كان الجيلاتين بعد صنعه ومعالجته قد تحول لمادة أخرى تختلف عن العين النجسة التي تم استخراجه منها كالصفات والخصائص فلا حرج في أكله وتناوله.

وأما اذا لم يتحول تحولا كاملا بل بقي محافظاً على شيءٍ من صفات وخصائص العين النجسة التي أخذ منها فلا يجوز تناوله أبدا لأنه جزء من الخنزير أو العين النجسة.

وحسب أهل الطب قال الدكتور وفيق الشرقاوي[1]: في هذا الشأن تبين أنهم مختلفون في هذا الأمر فمنهم من يقول إن الاستحالة في الجيلاتين كاملة ومنهم من ينفي ذلك، فذكر بعض الباحثين أن الجيلاتين المستخلص من عظام وجلود الأبقار والخنازير قد تحول تحولا كاملا عم المادة التي استخلص منها فصارت له خصائص كيميائية غير خصائص الأصل التي استخلص منها وبهذا ينطبق عليه كلام أهل العلم في الاستحالة، وقد أخذت بهذا الرأي المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية فجاء في قرارها: الاستحالة التي تعني انقلاب العين إلى عين أخرى تغايرها في صفاتها تُحُوِّل المواد النجسة أو المتنجسة إلى مواد طاهرة وتُحُوِّل المواد المحرمة إلى مواد مباحة شرعاً، وبناءً على ذلك الجيلاتين المتكون من استحالة عظم الحيوان النجس وجلده وأوتاره: طاهرٌ وأكله حلال.

بينما خالف آخرون وقالوا: إن المعالجات والتفاعلات الكيميائية التي تمر بها جلود الخنازير وعظامها وشحمها باستخلاص الجيلاتين لا تنتج عنها استحالة كاملة وإنما تستحيل استحالة جزئية، فالجيلاتين لايزال محافظاً على خصائص العين النجسة التي أُخذ منها[2].

وقال الشرقاوي إن جلود الخنازير وعظامها لا تستحيل استحالة كاملة وإنما تستحيل استحالة جزئية ويمكن بطريق التحليل الطيفي التعرف على أصل الجيلاتين المستخلص من جلود الخنازير وعظمها وشحمها بعد العمليات الكيميائية التي يتم بها استخلاصه، وذلك لوجود بعض الخصائص في هذا الجيلاتين يمكن التعرف على

---

[1] رئيس مجلس الإدارة للشركة العربية للمنتجات الجيلاتينية بمصر

[2] http//www.islamset.com/Arabic/abioethics/muharamat.html.

أصله هذا، فلا يمكن القول بأن أجزاء الخنزير التي تحولت إلى جيلاتين قد استحالت استحالة كاملة[1] والذي يظهر: هو القول بمنع استعمال الجيلاتين في الطعام والدواء وغيره إذا كان من عين نجسة لعدة أمور:

١ – إن عددا من المختصين ذكروا أن الاستحالة ليست كاملة وأن ما يتم على جلد وعظم وشحم الخنزير هو صناعة وليس استحالة فيبقى الخنزير على ما هو عليه من الحرمة والنجاسة وكل ما صُنِع منه يأخذ حكمه.

٢ – إن وجود الشك في هذا الأمر (هل هي استحالة كاملة أم لا؟) يدعونا للتمسك بالأصل وهو نجاسة هذه العين حتى يثبت ما يؤكد أنها استحالة حقيقية.

٣ – إن مذهب كثير من العلماء أن العين النجسة لا يتغير حكمها بالاستحالة ولذلك فمقتضى مذهبهم أن استعمال هذا النوع من الجيلاتين محرم لأن أصله نجس (كلحم الكلب ولحم الخنزير)ومهما تغيرت العين فالحكم لا يتغير. وهذا القول وإن لم يكن هو الراجح لكنه يدعونا للتوقف في كثير من الأمور التي لا نجزم فيها بتحقق الاستحالة.

٤ – إن القول بتحريم هذا النوع من الجيلاتين هو ما اعتمده الكثير من العلماء المعاصرين، وفي الخمائر والجيلاتين المتخذة من النباتات والحيوانات المذكاة شرعا تغنينا عن ذلك[2]. وقد سئل علماء اللجنة الدائمة في مجمع الفقه الإسلامي[3]: هل الجيلاتين حرام؟

---

[1] مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ٢٨/٣١.
[2] من قرارات مجمع الفقه الإسلامي ص ٩٠.
[3] فتوى رقم ٢٦٠/٢٢

فكان الجواب: الجيلاتين إذا كان محضرا من شيء محرم كالخنزير أو بعض أجزاءه كجلده وعظامه ونحوهما فهو حرام، قال تعالى: (**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**) وقد أجمع العلماء على أن شحم الخنزير داخل في التحريم.

وإن لم يكن داخلا في تكوين الجيلاتين ومادته شيء من المحرمات فلا بأس به، والحاصل: أنه لا يجوز تناول الأغذية والأشربة والأدوية المشتملة على الجيلاتين المستخرج من الخنزير والأعيان النجسة، خاصة مع وجود البديل في الأنعام التي أحلها الله وهي تؤدي نفس الغرض في صناعة الدواء أو الغذاء[١].

يرى الباحث الأخذ بعين الاعتبار أن الخنزير معروف بدياثته، وأكل لحمه وشحمه وكل ما يتعلق به يؤثر تأثيرا مباشرا على من يأكل منه، ويلاحظ كيف كانت الغيرة قبل ثلاثة عقود وكيف نراها اليوم بعد أن أدخلوها في طعام الأطفال وكبسولات الدواء والآيس كريم وغيره، كيف كان الشاب يغار على عرضه من أي شيء واليوم يمازح أخته من التقت وبمن التقت وكأن هذا الأمر أصبح أقل من طبيعي، وما دام هناك آراء مختلفة ومنهم من يؤكد أن جلاتين الخنزير لا يتحلل والحق ألا نستعمله احتراماً لديننا وللابتعاد عن الشبهة ولا تساهل هنا لأنه يوجد جيلاتين حيواني مباح كجيلاتين البقر، أو الجيلاتين النباتي.

---

[١] كتاب النوازل في الأشربة زين العابدين الادريسي ص ٢٨٧، كتاب المستخلص من النجس وحكمه نصري راشد ١١٣، أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية ل حسن الفكي ٣٣١، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة العدد ٣١ ص ٣٦٨، النوازل في الأطعمة بدرية الحارثي المجلد الأول ٤٥٩.

المطلب الثاني: وصل عظم أو جلد الإنسان بعظم أو جلد حيوان نجس وحكم ذلك

اولاً: وصل عظم الإنسان بعظم حيوان نجس وحكمه.

وصل العظم: تدعى عملية وصل العظم بعظم آخر **بالتطعيم العظمي**. وحسب قاموس ومعجم المعاني؛ هو عبارة عن عملية جراحية تقوم على استبدال العظام التي تم فقدها من أجل تصحيح كسور العظام فائقة التعقيد والتي تسبب أخطاراً صحية للمريض أو تمنع الالتئام الطبيعي[1].

وتستطيع تقنية ترقيع العظام أن تواجه مشكلات عديدة غير كسور العظام كتلف المفاصل، والعظام التي تعاني من الصدمات ولم تشفَ بصورة صحيحة، والعظام المفقودة نتيجة للعدوى أو المرض. كذلك فهي تقدم دعماً أفضل حول الأجهزة المزروعة بجوار العظام النامية. وفي حالة نجاح العلاج يتمتع المرضى بعظام تم إعادة إنتاجها كليّاً ودمجها مع المنطقة المحيطة.

والعظام بصورة عامة لديها القدرة على الالتئام تماماً في ظل وجود فراغات صغيرة بعد الكسر، أو تتطلب وجود دعامة تستند عليها العظام. وأغلب العظام المرقعة تلتئم وتصبح كالعظام الطبيعية في غضون أشهر.

ويمكن تبسيط تصنيف تطعيم العظام كالتالي:

- ذاتية المنشأ (يتم أخذ العظام من جسم المريض نفسه).
- غير ذاتي المنشأ (من إنسان آخر).

---

[1] من مقال منشور في مجلة كوكب العلم المطبوعة، عدد صيف ٢٠١٧، رابط

- طعم أجنبي (من حيوان) .
- طعم صناعي أو لا عضوي .

أولاً – في التطعيم الذاتي: تؤخذ مادة التطعيم (العظام) من نفس الشخص الذي ستجري له عملية التطعيم، ويمكن استخلاص العظام من منطقة بها عظام غير ضرورية كعرف الحرقفة، وفي عمليات الفم، الوجه والفكين تكون الرقعة من منطقة عظام الذقن ، وأيضا يمكن أن تؤخذ الطعوم من عظام الأضلاع والشظية والفك وأحيانا من الجمجمة .

ثانيا – التطعيم غير الذاتي: العظم غير ذاتي المنشأ يتشابه مع الطعم ذاتي المنشأ في أنه يؤخذ من الإنسان، ولكن الاختلاف هنا أن العظم يؤخذ من شخص آخر غير الذي سوف يستلم الطعم، العظم غير ذاتي المنشأ يمكن أن يؤخذ من الجثث التي تم التبرع بعظامها، وبالتالي يمكن للأشخاص الأحياء أن يستخدموها عند الحاجة . المصدر الأساسي للحصول عليها هو بنك العظام ، وبنوك العظام تؤمن عظام غير ذاتية المنشأ مصدرها الأشخاص الأحياء الذين تبرعوا بجزء من عظامهم (كنزلاء المستشفيات الذين خضعوا لعمليات استبدال للورك بشكل كامل) .

وهنالك ثلاثة أنواع من العظام غير ذاتية المنشأ:

- العظام الجديدة المجمدة .
- العظام الجافة المجمدة .
- العظام الجافة المجمدة الخالية من المعادن .

– التطعيم الأجنبي : يستخلص الطعم العظمي الأجنبي من أنواع من الكائنات الحية غير الإنسان مثل : العظم البقري أو مؤخراً عظم الخنازير والتي يمكن تجميد عظامها الجافة أو بعد إزالة المعادن والبروتينات منها .

– التطعيم الصناعي : العظم الصناعي يمكن أن يصنع من السيراميك مثل : فوسفات الكالسيوم (مثال : الهيدروكسي أباتايت والفوسفات ثلاثي الكالسيوم) وكبريتات الكالسيوم .

كل هذه المواد نشطة بيولوجياً بدرجات مختلفة اعتماداً على ذوبانها في البيئة الفسيولوجية .

يمكن استخلاص هذه المواد مع عوامل النمو والأيونات مثل : السترونتيوم ، أو أن تكون مختلطة مع نخاع العظم ، بحيث يؤدي إلى زيادة النشاط البيولوجي .

اذاً يمكن وصل عظم الإنسان بجزء من عظمه، أو بعظم إنسان آخر، أو بعظم حيوان، وهو ما سيتم التطرق إلى حكمه الشرعي حال كان من حيوان نجس . أما عن حكم وصل العظم بعظم إنسان آخر:

في مسألة الانتفاع بعظم الآدمي الميت، قال صاحب حاشية الجمل في حاشيته[1] :

هذا إنما يفيد امتناع الجبر بعظم الآدمي مع وجود الصالح من غيره ولو نجسا وبقي ما لو لم يجد صالحاً غيره فيحتمل حينئذ جواز الجبر بعظم الآدمي[2] .

---

[1] سليمان الجمل (١٢٠٤ ه - ١٧٩٠ م) سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الازهري، المعروف بالجمل: فاضل من أهل منية عجيل (إحدى قرى الغربية بمصر) انتقل إلى القاهرة. له مؤلفات، منها حاشية على تفسير الجلالين، وحاشية على شرح المنهج، في فقه الشافعية، الأعلام للزركشي ج ٣ ص ١٣١.

[2] حاشية الجمل على شرح المنهج، سليمان الجمل دار الفكر ببيروت ١/٤١٨

ثم ظاهر إطلاق جواز الوصل لعظم الآدمي، أنه لا فرق في ذلك بين كونه ذكر أو انثى، فيجوز للرجل الوصل بعظم الانثى وعكسه، ثم ينبغي إذا مسه هو أو غيره، فإن اكتسى لحما وحلته الحياة صار حكمه حكم بقية أجزاء الرجل، فلا ينتقض وضوؤه ولا وضوء غيره من الرجال اذا مسه، وهذا الكلام يفيد أن بعض الفقهاء الأقدمين قد أباح استخدام عظام الموتى من البشر، إذ كما ذُكر أعلاه يبين بجواز وصل عظم الإنسان بعظم حيوان آخر طاهر بل يُفضل.

وللتعمق في الحكم أكثر ولبيان حكم وصل عظم الإنسان بعظم حيوان نجس؛ فقد أجاز جمهور الفقهاء وصل عظم الإنسان بعظم الحيوان الطاهر، فقد قال النووي: أنه إذا انكسر عظم إنسان فينبغي أن يُجبره بعظم طاهر، وقال أصحاب مذهب الشافعية[1]: ولا يجوز أن يجبره بنجس مع قدرته على طاهر يقوم مقامه.

وإن خاف من النزع هلاك النفس أو عضو أو فوات عضو لم يجب النزع على الصحيح من الوجهين.

ثم قال: في مداواة الجرحى بدواء نجس وخياطته بخيط نجس كالوصل بعظم نجس.

وقال ابن قدامة في المغني: وإن جبر عظمه بعظم فجبر ثم مات لم ينزع إن كان طاهراً، وإن كان نَجَساً فأمكن إزالته من غير مُثلةٍ أزيلَ؛ لأنه نجاسة مقدور على إزالتها من غير مضرة[2] يؤخذ من هذا أن جبر العظم بعظم نجس لا يجوز إلا عند

---

[1] المجموع للنووي، ج ٣ ص ١٣٨.

[2] ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، المغني دار الفكر - بيروت، باب أحكام الاعضاء المزروعة في البدن، ج ٢ ص ٤٠٨.

الضرورة، وإن لم توجد ضرورة وجب نزعه إلا إذا خاف من نزعه تلف نفس أو عضو أو فوات منفعة عضو، فإنّه لا ينزع[1].

اذا هناك عدة دلائل على جواز وصل عظم الإنسان بعظم حيوان طاهر بينما لا يجوز الوصل بعظم الحيوان النجس إلا للضرورة.

ثانيا: وصل جلد الإنسان بجلد حيوان نجس وحكمه: عملية ترقيع الجلد، أو التطعيم الجلدي skin grafting هي إجراء جراحي يتضمن إزالة الجلد من منطقة معينة من الجسم وزرعها في منطقة أخرى.

النسيج[2] المزروع ويسمى رقعة الجلد.

وعادة ما يستخدم ترقيع الجلد لعلاج:

- الجروح[3] أو الصدمات[4] الخطيرة.
- الحروق[5].
- مناطق فقد منها الجلد بسبب العدوى مثل التهاب اللفافة الناخر[6] أو الفرفرية الخاطفة[7].

[1] موسوعة أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام لعطية صقر الجزء الثالث ص ١٣.
[2] موقع معرفة:رابط
[3] موقع معرفة: رابط
[4] موقع معرفة: رابط
[5] موقع معرفة: رابط
[6] موقع معرفة: رابط
[7] موقع معرفة: رابط

- جراحات معينة تتطلب ترقيع الجلد للتعافي – أكثرها شيوعاً إزالة سرطان الجلد[1].

تتضمن معظم عمليات الترقيع نقل الجلد السليم من أحد أعضاء جسم المريض، لتغطية الجرح في جزء آخر من الجسم، وهذا النوع من الجراحات يُسمى الترقيع الذاتي (الطعم الذاتي).

وربُما لا يكون لبعض المرضى، جلد معافى وسليم يكفي لتوفير الترقيع الذاتي بالنسيج الحي لكل الجرح، وفي هذه الحالات يمكن للجَرّاح أن يغطي الجرح بأنسجة جلدية مؤقتة، وتساعد هذه الأنسجة في منع تلوّث الجرح، وفقدان السوائل ولكن في آخر الأمر يرفض الجسم هذه الأنسجة المؤقتة.

تستخدم معظم عمليات التطعيم المؤقتة: جلد شخص آخر وتسمى مثل عمليات الترقيع هذه التطعيم المتجانس أو التطعيم المباين (الطعم الإسوي).

توجد طرق ترقيع مؤقتة أخرى: تسمى التطعيم غير المتجانس أو التطعيم المغاير تستخدم جلداً تم تحضيره بصفة خاصة من الحيوانات، يقوم الجرّاحون بإبدال الترقيع المؤقت للجلد، بأنسجة جلد ذاتية بعد أن يكون جسم المريض قد أنتج جلداً جديداً في الموقع المانح الأول، وقد قام الباحثون أيضاً، بتطوير الجلود الاصطناعية التي من المُرجح أن لا يرفضها الجسم، ويمكن أن تعمل بوصفها ترقيعا مؤقتاً.

تصنيف الترقيع:

---

[1] موقع معرفة: رابط

- ترقيع ذاتي أو الترقيع الإسوي Autologous الجلد المتبرع به يؤخذ من مكان مختلف في جسم الشخص الخاضع لجراحة الترقيع.
- ترقيع مسانج Isogeneic الشخص المتبرع والمتلقي متطابقان وراثياً (مثل توأم الزيجوت الواحد[1]، حيونات من سلالة فطرية واحدة).
- الترقيع الخيفي Allogeneic: المتبرع والمتلقي من نفس الفصيلة (إنسان – إنسان، كلب – كلب).
- الترقيع الغيروي :Xenogeneic المتبرع والمتلقي من فصليتين مختلفتين (مثل الغضروف البقري).
- الترقيع التعويضي :Prosthetic النسيج المفقود يستبدل بمواد صناعية مثل المعادن البلاستيك أو السيراميك.

مما سبق يمكن أن تكون الرقعة الجلدية مأخوذة من نفس الشخص أو من شخص آخر أو من حيوان.

أما بالنسبة لحكم ترقيع جلد الشخص بأجزاء من جلده؛ فيجوز ترقيع جلد الآدمي بأجزاء من جلده، بشرط أن تكون المصلحة في ذلك أعظم من ترك الجزء[2]، ويجوز للإنسان أن ينتفع بجزء من أجزائه للتداوي بشرط أن تكون المصلحة في ذلك أعظم من ترك الجزء، وتطبيقا لذلك يجوز لصق ما انفصل من الجسد في موضعه، كما يجوز ترقيع الجلد المحروق من مكان آخر سليم[3].

---

[1] موقع معرفة: رابط

[2] الفقه الميسر عبد الله الطيار قسم النوازل، النوازل الطبية المعاصرة، النازلة ٣٦ الترقيع الجلدي، ج ٣ ص ١٤٦.

[3] مجلة البحوث الإسلامية العدد ٥٣ المبحث السادس حكم الشرع في بعض الأعمال ص ٣٣٦.

مما سبق يبين جواز ترقيع جلد الآدمي بأجزاء من جلده.

أما بالنسبة لحكم ترقيع جلد الحي بجلد إنسان ميت أو جلد إنسان آخر؛

فقاعدة الضرورات في الشريعة الإسلامية تقتضي الجواز في جميع أنواع هذا التَّرْقيع؛ ذلك لأن ترقيع العين لإعادة البصر (وهي محل التردد والاشتباه) يُمكن قياسُه على الحَاجَة إلى استنقاذ الحياة بدفْع الهلاك، أو إلى منْع إتلاف العُضْو عندما يتوقَّف ذلك على تناول بعض المُحرَّمات، حيث يُصرِّح الفقهاء أنه يجب تناوله لدفع الهلاك، فهنا لو قيل أيضاً بجواز أخْذ العَين مثلاً من الميِّت لإحياء حاسة البصر؛ لكان ذلك مقْبولاً شرعاً.

وإذا كان يَجوز، بل يجب وُجوباً تشْريح الميِّت لتعلُّم الطِّب، أو لكشْف جريمة، ويجوز كشفُ عوْرة الرَّجُل والمرأة لأجْل ضرورة التطْبيب ودفْع الأذى، مع أنَّ كلَّ ذلك من المُحرَّمات القطْعيَّة في الأصل، فأُبيحَت أو وَجَبتْ بحسَب درجة الضرورة إليها، بمُقْتضى أن الضَّرورات تُبيح المحْظورات، وهي قاعدة نصَّ عليها الفقهاء الأصوليون أشار إليها القرآن الكريم: **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** (البقرة: ١٧٣)، نصّاً قطعيّاً، أفلا تكون الاستفادة من عيون الموتى لاستعادة بَصَر شخْص أعمى هي أوْلى بالجواز.

ومما يُلْحظ في هذا الصدد: أنه لم يَتردَّد أحدٌ من فقهاء العصر في جواز نقل الدم من جسم إلى جسم آخر شرعاً عند الحاجة إلى الإسعاف، كما لم يَتردَّد أحدٌ في جواز تَرْقيع الجِلْد بالجلد، فما الفرق بين ذلك وبين ترْقيع العَينْ.

مما سبق وقياساً على حكم نقل العين نجد رأيا فقهياً بجواز ترقيع جلد الآدمي بجلد إنسان ميت وقياسا على جواز نقل الجلد من إنسان آخر ميت، هذا يثبت بجواز نقل من إنسان آخر حي في حال وجود مسألة كهذه.

أما بالنسبة لترقيع جلد الآدمي بجلد حيوان أو جلد صناعي؛ باعتبار أن الجلد الصناعي سواء كان من المنتجات البترولية أو غيرها: مباح استخدامه في مجالات الحياة المختلفة وطاهر؛ لأن الأصل في الأشياء الطهارة والإباحة[1].

والأشياء المصنوعة من جلود الحيوانات المأكول لحمها ومذكاة ذكاة شرعية هي طاهرة ومباح استخدامها قال ابن حزم رحمه الله: "وَاتَّفَقُوا أَن جلد مَا يُؤْكَل لَحْمه إذا ذكي: طَاهِر، جَائِز استعماله، وَبيعه"[2]، أو مأكول لحمها وغير مذكاة ثم دبغت فأصبحت طاهرة ومباح استخدامها (ويدل على طهارة هذه الجلود بالدباغة بحديث: **(دِبَاغُهُ طَهُورُهُ)**[3].

اذاً باعتبارها طاهرة ومباح استخدامها في مجالات الحياة المختلفة، فهنا قياسا على جواز ترقيع جلد الآدمي بأجزاء من جلده أو أجزاء من جلد إنسان آخر فيجوز استعمال جلود الحيوانات الطاهرة والجلود المصنعة.

حكم ترقيع جلد الآدمي بجلد حيوان نجس؛ في الحديث عن جواز استعمال الجلود النجسة بشتى مجالات الحياة ذُكر: أن يكون من جلود السِّباع، مثل جلد الأسد، والنمر، والفهد، والذئب، والدب، وابن آوى، وابن عرس؛ فجلود هذه

---

[1] فتاوي الزرقا بقلم مجد أحمد مكي ج ٩ باب ترقيع الأحياء بأعضاء الأموات ص ٢.
[2] من مراتب الإجماع لابن حزم ج ١ ص ١١.
[3] أخرجه مسلم، باب طهارة جلود المية بالدباغ (٨٤١)، ج ١، ص ١٩١.

الحيوانات نجسة، سواء ذبحت، أو ماتت، أو قتلت، لأنها وإن ذبحت لا تحل، ولا تكون طيبة، فهي نجسة في جميع الأحوال. واختلف العلماء هل الدباغة تطهر هذه الجلود أم لا؟.

وسواء قلنا بطهارة هذه الجلود بالدباغة أم لا، فلا يجوز استعمالها على كلا الحالين؛ لما ورد من النصوص الصحيحة في النهي عن استعمالها.

ويدل على هذا: ما جاء في الحديث: (**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ**)[1] وفي رواية اخرى: (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ لُبْسِ جُلُودِ السِّبَاعِ وَالرُّكُوبِ عَلَيْهَا**)[2]، فهذه الأحاديث تدل على أن جلود السباع لا يجوز الانتفاع بها مطلقاً.

وقال بعض العلماء: إن النهي عن جلود السباع المقصود به استعمالها قبل دباغتها. قال النووي رحمه الله: وهو ضعيف، إذ لا معنى لتخصيص السباع حينئذ، بل كل الجلود في ذلك سواء[3]. والعلة في النهي عن استعمال هذه الجلود: لما فيها من الكبر والخيلاء، ولأن فيها تشبهاً بالجبابرة، ولأنها زيّ أهل الترف والإسراف. وعلى هذا، فلا يجوز استعمالها سواء قلنا بطهارة جلدها بالدباغ أم لا.

وأيضا أن يكون من جلود السِّباع، مثل جلد الأسد، والنمر، والفهد، والذئب، والدب، وابن آوى وابن عرس. فجلود هذه الحيوانات نجسة، سواء ذبحت، أو ماتت، أو قتلت، لأنها وإن ذبحت لا تحل، ولا تكون طيبة، فهي نجسة في جميع

---

[1] اخرجه الدارمي، باب النهي عن لبس جلود السباع (١٩٨٣)، ج ٢ ص ١١٧.
[2] اخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب نهي الرجال عن لبس الذهب (٥٩٠٣)، ج ٣ ص ٢٧٤.
[3] المجموع شرح المهذب ج ١ص ٢٢١.

الأحوال. فطالما هنالك شك في طهارتها حتى بعد دباغتها، وجزم في عدم جواز استعمالها في شتى المجالات، أيضا يقع هذا الحكم على استعمالها في عمليات ترقيع الجلد.

أما بالنسبة لجلد الكلب والخنزير فهما نجسان في حال الحياة، فإذا كانت الحياة – وهي أقوى من الدباغة في التطهير – لم تطهرهما، فمن باب أولى الدباغة.

والكلب والخنزير كل منهما نجس العين، أَيْ أَنَّ ذَاتَهُ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهَا نَجِسَةٌ حَيّاً وَمَيِّتاً، فَلَيْسَتْ نَجَاسَتُهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّمِ أَوِ الرُّطُوبَةِ كَنَجَاسَةِ غَيْرِهِ مِنْ مَيْتَةِ الْحَيَوَانَات، فَلِذَا لَمْ يَقْبَل التَّطْهِيرَ. ومقالة ابن عبد البر رحمه الله[1]: في طهارة الجلد بالدباغ قد دخل فيه كل جلد، إلا أن جمهور السلف أجمعوا على أن جلد الخنزير لا يدخل في ذلك. وقال رحمه الله: " وَأَمَّا قَوْلُهُ: **(أَيُّمَا إِهَابٌ دُبِغَ فَقَدْ طَهُرَ)** فَإِنَّمَا يَقْتَضِي جَمِيعَ الأُهُبِ، وَهِيَ الْجُلُودُ كُلُّهَا؛ لأَنَّ اللَّفْظَ جَاءَ فِي ذَلِكَ مَجِيءَ عُمُومٍ، وَلَمْ يَخُصَّ شَيْئاً منها... وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ وَأَئِمَّةِ الْفَتْوَى إِلَّا جِلْدَ الْخِنْزِيرِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ: **(أَيُّمَا إِهَابٍ دُبِغَ فَقَدْ طَهُرَ)**؛ لأَنَّهُ مُحَرَّمُ الْعَيْنِ حَيّاً وَمَيِّتاً، وَجِلْدُهُ مِثْلُ لَحْمِهِ، فَلَمَّا لَمْ تَعْمَلْ فِي لَحْمِهِ وَلاَ فِي جِلْدِهِ الذَّكَاةُ، لَمْ يَعْمَلِ الدِّبَاغُ فِي إِهَابِهِ

[1] محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء، السبكي: فقيه شافعي مصري، من العلماء بالعربية والتفسير والادب.
ولي قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولي قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. ثم ولي قضاء دمشق. ولم يجتمع لاحد من معاصريه ما اجتمع له من فنون العلم مع الذكاء المفرط ودقة النظر وحسن البحث وقوة الحجة. من كتبه (مختصر المطلب) في شرح الوسيط، في فروع الشافعية، الاعلام للزركشي ج ٦ص ١٨٤.

شَيْئاً[1]، وفي نهاية المطاف الحديث ضعيف لا يؤخذ به فقول الجمهور أقوى. والقول الثاني: أن الدباغة لا تطهر إلا جلد الحيوان الذي يؤكل لحمه، وأما الحيوان غير مأكول اللحم، فلا تطهر الدباغة جلده، وهذا هو مذهب الأوزاعي، واستدلوا بحديث سَلَمَةَ بْنِ الْمُحَبِّقِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ دَعَا بِمَاءٍ مِنْ عِنْدِ امْرَأَةٍ، قَالَتْ: مَا عِنْدِي إِلَّا فِي قِرْبَةٍ لِي مَيْتَةٍ، قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ دَبَغْتِهَا، قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: (فَإِنَّ دِبَاغَهَا ذَكَاتُهَا)[2]. "فَشَبَّهَ الدَّبْغَ بِالذَّكَاةِ؛ وَالذَّكَاةُ إِنَّمَا تُعْمَلُ فِي مَأْكُولِ اللَّحْمِ"[3].

وتظهر ثمرة الخلاف في حكم الانتفاع بالأشياء المصنوعة من جلد حيوان غير مأكول اللحم، فمن يرى أن الدباغة تطهره يجيز الانتفاع بهذه الجلود، ومن يرى أن الدباغة لا تطهر جلود الحيوانات غير مأكولة اللحم لا يجيز الانتفاع بهذه الجلود، ولا الجلوس عليها ولا استعمالها.

اذاً لا يجوز استخدامها في عملية الترقيع في طهارة جلد الخنزير أو عدم طهارته هنالك ثمة اتفاق بين العلماء على نجاسة جلد الخنزير، وقال أكثرهم أن جلد الخنزير لا يطهر بالدباغ، ولا يجوز الانتفاع به في شيء، لعدم طهارته.

وبناء على ذلك فإن الرقع الجلدية المأخوذة من الخنزير لا يجوز استخدامها إلا عند عدم وجود البديل الجائز شرعاً وعند الضرورة.

---

[1] الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، باب ما جاء في جلود المية، ج ٥ ص ٣٠٥.

[2] الطبراني فى الكبير (٢٣/٣٦٠، رقم ٨٤٧). قال الهيثمي (١/٢١٨): تفرد به فرج بن فضالة، وضعفه الجمهور وللحديث أطراف أخرى منها: ((أفلا انتفعتم به فإن دباغها ذكاتها))، ج ١٧ ص ١٨٢.

[3] الشرح الكبير" لابن قدامة ج ١ ص ٦٦.

ولقد أثبت العلم أن هنالك بدائل لجلد الخنزير يمكن بها ترقيع جلد الآدمي المصاب كاستعمال رقعة ذاتية من نفس المصاب، أو استعمال رقعة جلدية من جلد المشيمة أو من صغار البقر، أو استعمال رقعة صناعية تقوم بوظيفة الغيار البيولوجي التي يقوم بها جلد الخنزير.

هذه البدائل متوفرة، وتغني عن جلد الخنزير في الترقيع، ومن ثم فلا ضرورة ولا حاجة إلى استخدام جلده في ذلك.

أما إذا أجبر عظمه بعظم نجس فجبر لم يلزمه قلعه إذا خاف الضرر وأجزأته صلاته لأنها نجاسة باطنة يتعذر بإِزالتها فأشبهت دماء العروق، وقيل: يلزمه قلعه ما لم يخف التلف[١].

وأجزاء الحيوان في عملية ترقيع الجلد أو استئصال أمعائه أو استئصال أجزائه في تخيط العمليات الجراحية صرح النووي بأن ذلك كحكم التجبير بعظم الحيوان غير الطاهر والفيصل في ذلك الحاجة والضرورة التي يقدرها الأطباء المشهورون بالاستقامة.

والخلاصة؛ لا يجوز استخدام جلود الحيوانات النجسة في ترقيع جلد الآدمي إلا في حال الضرورة القصوى والتي يقدرها الطبيب المؤمن المتمرس في هذا الاختصاص كما ذُكر أعلاه، أو في حال عدم وجود البديل الشرعي الطاهر المباح استخدامه والحال أن هذه توجد وبعدة أشكال أي يوجد خيارات كثيرة مباحة غير جلود الحيوانات النجسة في زمننا هذا.

---

[١] الشرح الكبير لابن قدامة ج ١ ص ٧٢٩.

المطلب الثالث: التعقيم والطهارة واجبان طبيان إيمانيان في المشافي وخاصة في غرف العمليات

هناك فرق بين التعقيم وبين التطهير.

التعقيم على سطح جلد الإنسان أو أسطح أجهزة العمليات الجراحية بالأدوية أو السوائل المعقمة (أو بالإشعاع في حالة أجهزة العمليات الجراحية).

وقد عرفته منظمة الصحة العالمية على أنه "مصطلح يشير إلى عملية التخلص أو قتل جميع أشكال الحياة والمواد العضوية الأخرى، مثل البريونات[١] والفيروسات والتي لا تعتبر كائنات حية ولكنها ممرضات بيولوجية؛ بما فيها العوامل السارية مثل البكتيريا والفطريات والفيروسات والبريونات والأبواغ وحقيقيات النوى أحادية الخلية مثل المتصورة (بلازموديوم[٢]) الموجودة في مكان محدد؛ كالسوائل أو في المركبات مثل الأوساط البيولوجية).

أما التطهير فهو: تثبيط أو وقف نمو الجراثيم والميكروبات وقد يعني قتلها ولكن دون التخلص من أشلائها، وقد يعني منع الاتصال المباشر بالميكروبات، في الغالب يُشير مصطلح التطهير إلى تلك الممارسات المستخدمة لتعزيز وحث التطهير في غرف العمليات في الجراحة أو الطب لمنع العدوى. وبشكل مثالي، يلزم أن تكون بيئة العمليات الجراحية "مكاناً معقماً"، بمعنى أنها خالية من جميع الملوثات البيولوجية، فالتعقيم ليس فقط عدم وجود تلك الملوثات التي تستطيع أن تُسبب الأمراض أو التعفن أو التخمر، ولكن هي الحالة التي يصعب فيها وجود تلك

---

[١] ويكيبيديا: رابط

[٢] ويكيبيديا: رابط

الملوثات، خاصة وأن المريض غالباً ما يكون مصدراً لعوامل العدوى. ومن ثم، لا توجد طريقة حالية للتخلص بشكل آمن من جميع الملوثات الموجودة بالمريض دون أن تُسبب تلفاً خطيراً للأنسجة. ومع ذلك، فإن الهدف من التطهير هو التخلص من العدوى وليس التعقيم.

والخلاصة: التطهير يعني تثبيط أو وقف نمو الجراثيم والميكروبات وقد يعني قتلها ولكن دون التخلص من أشلائها. أما التعقيم فهو الإبادة الشاملة للجراثيم والتخلص من أشلائها، وهي عملية إزالة أو قتل مظاهر للحياة وتشمل البكتيريا والفيروسات الموجودة على السطح سواء في الأدوية أو السوائل.

بالنسبة للتعقيم: فيشمل المجالات التالية:

١– الغذاء.

٢ – الطب والجراحة: بصورة عامة يجب تعقيم جميع الأدوات الجراحية والأدوية الواجب إدخالها إلى جزء معقم من الجسم (مثل مجرى الدم والتي تخترق الجلد) فيجب تعقيمها. مثال على هذه الأدوات تشمل المشارط، وإبر الحقن، وأجهزة ضبط نبضات القلب الاصطناعية. وتعد عملية التعقيم أساسية في تحضير الأشكال الصيدلانية الحقنية.

٣ – المَركبات الفضائية: يمكن تعقيم المواد المختلفة بواحدة أو أكثر من الطرق التالية:

كالتسخين، أو استخدام الكيماويات أو والإشعاع، أو الضغط العالي، أو الفلترة، أو الترشيح.

وبشكل مفصل يشمل التعقيم الأنواع التالية:

١ – التعقيم الحراري ويشمل: البخار، والحرارة الجافة، والتعريض للهب، والترميد.

٢ – التعقيم الكيميائي ويشمل[١]: أكسيد الايثيلين، وثنائي أكسيد النيتروجين، الأوزون، والغلوترالدهيد والفورمالدهيد، وفوق أكسيد الهيدروجين H_2O_2،حمض البيروكسي أستيك.

٣ – التعقيم الإشعاعي ويشمل: التعقيم بالإشعاع غير المؤين، التعقيم بالإشعاع المؤين،

٤ – التعقيم بالترشيح.

أما **التطهير**: فيشمل القضاء على الأشكال النشيطة للأحياء الدقيقة الممرضة الموجودة على سطح أو جسم ما.

وتقسم طرق التطهير بشكل أساسي إلى قسمين: طرق فيزيائية، طرق كيميائية.

أولاً: الطرق الفيزيائية وتشمل:

أ – استخدام الماء بدرجة الغليان: أو استخدام تيار من بخار الماء المستمر أو المتقطع.

ب – البسترة: وهي عملية تطهير الحليب والمواد الغذائية السائلة برفع درجة حرارتها إلى ٦١.٥ مدة ٣٠ دقيقة، مدة ١٥ ثانية، مدة ثوان قليلة.

ج – التجفيف: وهو فقدان الجراثيم لمائها، وتختلف قدرة تحمل الجراثيم للجفاف حسب أنواعها المختلفة

---

[١] ويكيبيديا.

ثانياً: الطرق الكيميائية:

توجد العديد من المواد الكيميائية التي تستخدم في التطهير ولكن هذه المواد تقسم إلى:

١ – مواد تستخدم على الأوساط غير الحية وتسمى مطهرات.

٢ – مواد تستخدم على الأوساط الحية وتسمى مضادات انتان.

٣ – مواد تستخدم على الأوساط الحية وغير الحية، محاليل تستخدم كمطهرات ومضادات انتان.

المطهرات (أوساط غير حية):

١ – ماء جافيل (هيبوكلوريت الصوديوم).

٢ – الفورمول (الفورم ألدهيد).

٣ – الغلوتار ألدهيد.

٤ – الحموض الفينية ومشتقات الفينول.

مضادات الانتان (أوساط حية: الأغشية الجلدية والمخاطية):

١ – الكحول اليودي لتطهير الجلد والجروح.

٢ – حمض البوريك: يستخدم في مجال طب العيون.

٣ – حمض الخل: لتطهير الجروح ويستخدم في المحاليل النسائية.

٤ – الهيكساميدين.

المحاليل التي يمكن استخدامها كمطهرات ومضادات انتان (على الأوساط الحية وغير الحية):

١ – الكحول اليثيلس ٧٠ ٪.

٢ – الكلور هيكسيدين.

٣ – الماء الأوكسجيني.

٤برمنغنات البوتاسيوم.

٥ – أملاح المعادن.

٦ – الصابون الحامضي.

وغيرها.

إذ تُستخدم عمليتا التعقيم والتطهير في المشافي بكثرة لما في ذلك من وقاية وحماية للمرضى وصحتهم لذلك من الضروري كواجب إنساني القيام بالتعقيم والتطهير وعلى أتم وجه. بل وواجب ديني يحث عليه الإسلام لما فيه من حفظ للنفس البشرية المؤتمنة في أعناق القائمين على هذا المجال. ويحرم الإهمال والاستهتار فيه لما فيه من مضار جسيمة على المرضى وعلى صحتهم وبالتالي التقصير في حفظ الأنفس التي هي أمانة في أعناق العاملين في المجال الصحي. وأيضا لما فيها من قلة أو عدم إتقان في العمل وهذا فيه مخالفة للشرع الحنيف حيث حث على اتقان العمل. وفي اتقانه منفعة للطبيب والممرض والعامل في المجال الصحي نفسه وفي اهماله ضرر ذاتي لهم وليس فقط على المرضى، وهنا يصبح إتقانه واجباً وإهماله ذنباً لأن الإسلام حث وأمر بكثرة على محافظة المسلم على النفس، وحرم إلحاق الأذى بنفسه.

التطهير كما قلنا لا يُستخدم فقط في المشافي بل تقريباً يشمل معظم مجالات الحياة كتطهير الجروح والحروق والآفات الجلدية المختلفة ولسعات الحشرات أو عضات بعض الحيوانات وأيضا يُستخدم في المخابر العلمية والطبية وخاصة مخابر الأحياء الدقيقة وفي العيادات ويجب حتى استخدامه في المطاعم.

أيضا يشمل تطهير الشخص لأيديه وجسمه وهذا الشيء أصبح شيء واجباً وضرورياً وخاصة في الفترة الأخيرة حيث سمعنا وقرأنا عن فيروس كورونا المستجد الذي ينتشر بسرعة وبسهولة حيث يشابه في انتشاره الفيروسات التنفسية فهو يوجد في اللعاب والمخاط ويتطاير معه، ويتوضع ويبقى على الأسطح المختلفة حيث مجرد لمس سطح أو شيء متواجد عليه الفيروس ثم لمس الفم أو الأنف أو العين يُصاب الشخص بالعدوى، والعدوى فيه سيئة حيث تؤدي في حالات وإن كانت نسبتها ضئيلة وتفضل فئة عمرية معينة إلا أنها في النهاية تودي بحياة أشخاص حتى وإن كانوا مسنين أو لديهم أمراض مزمنة فكلنا لدينا من نحب من هذه الفئة، ناهيك عن وجود حالات وفيات لأعمار شابة.

ويبدو أنها تسبب الإزعاج والألم والمعاناة الشديدة حتى بعد الشفاء فيكون المصاب أشبه بمريض القلب في قلة تحمل التعب. وباعتبار الفيروس يصيب الجهاز التنفسي ويدمر فيه؛ فقد يسبب بعض الأمراض الرئوية والتنفسية المزمنة وأمراض أخرى، وفي بعض الحالات الذين تعافوا أصبحوا غير قادرين أو ضعفت قدرتهم على الشم والتذوق طبقا لبعض الدراسات وبعض الأطباء المحيطين الثقة، إلا أنه لا يمكن وضع مصدر؛ بسبب عدم انتهاء الدراسات وتوثيقها إلا أن الكلام فيه كثير

من المنطق ويدعو للتفكير، وحتى منظمة الصحة العالمية حذرت وصرحت عن مدى الخطورة الشديدة لهذا المرض حيث قام بشل الحياة في ٩٩٪ من بلدان العالم. ومن رحمة الله بنا جعل غشاء هذا الفيروس سهل التدمير بواسطة المطهرات المختلفة والمتوافرة وسهلة الحصول كالماء والصابون والكحول.

لذلك كان واجباً على المسلم تطهير يديه وجسمه ومنزله وكل ما يُجلب من خارج المنزل بل ويجب عليه حث أولاده وعائلته وأصدقائه على تطهير كل شيء. ويجب عليه أن يتبع سبل الوقاية المختلفة للحفاظ على نفسه وعلى من حوله لما في من عدم التطهير واتباع سبل الوقاية من أضرار جسيمة على صحة المسلم وصحة من حوله من زوجة وأولاد وأهل وأقرباء وأصدقاء وقد تودي بحياته أو حياتهم.

ويعتبر الماء هو أفضل المطهرات، لأن الاستخدام المبالغ للمعقمات يقتل البكتريا النافعة على سطح الجلد، فالماء هو مطهر حقيقي ولا يضر بالبكتريا النافعة؛ فالمسلم بكثرة الوضوء واستحمامه أبعد الناس عن الإصابة بالفيروسات والأمراض؛ فلقد كانت الأوبئة في أوروبا منتشرة في العصور الوسطى لأنهم كانوا يعدون النظافة بالماء والاستحمام كفراً، بينما كانت الأمراض عند المسلمين أقل لما عندهم من كثرة الاستحمام وغسل الجنابة وغسل يوم الجمعة وغسل العيدين وغسل لملاقاة ضيف أو للذهاب إلى شخص وهكذا، ومن أجمل ما قيل عن أوروبا في القرون الوسطى على لسان الكاتب الاسباني في مذكراته: **الاستحمام في أوروبا كان يعد كفرا... ولهذا اخترع الفرنسيون العطر.**

الأوربيون كانوا كريهي الرائحة بشكل لا يطاق من شدة القذارة حتى إن مبعوث روسيا القيصرية وصف ملك فرنسا لويس الرابع عشر أن رائحته أقذر من رائحة الحيوان البري، وكانت أحد جواريه تدعى (دي مونتسبام) تنقع نفسها في حوض من العطر حتى لا تشم رائحة الملك كما وصف الرحالة أحمد بن فضلان الروس بأنهم أقذر خلق الله لا يستنجون من بول ولا غائط، وكان القيصر الروسي (بيتر) يتبول على حائط القصر في حضور الناس.

أيضاً الملكة إيزابيلا الأولى التي قتلت المسلمين في الأندلس لم تستحم في حياتها إلا مرتين وقامت بتدمير الحمامات الأندلسية. وهناك أيضاً الملك (فيليب الثاني الاسباني) الذي منع الاستحمام مطلقا في بلاده وابنته (ايزبيل الثانية) أقسمت أن لا تقوم بتغير ملابسها الداخلية حتى الانتهاء من حصار إحدى المدن والذي استمر ثلاث سنوات وماتت بسبب ذلك.

يقول المؤرخ الفرنسي (دريبار) نحن الأوربيون مدينون للعرب بالحصول على أسباب الرفاه في حياتنا العامة، فالمسلمون علمونا كيف نحافظ على نظافة أجسادنا إنهم كانوا عكس الأوربيين الذين لا يغيرون ثيابهم إلا بعد أن تتسخ وتفوح منها روائح كريهة فقد بدأنا نقلدهم في خلع ثيابنا وغسلها.

فالمسلمون يلبسون الملابس النظيفة الزاهية حتى إن بعضهم كان يزينها بالأحجار الكريمة كالزمرد والياقوت والمرجان، وعرف عن قرطبة أنها كانت تزخر بحماماتها الثلاث مائة، في حين كانت كنائس أوروبا تنظر إلى الاستحمام كأداة كفر وخطيئة، ويرجع تسمية مكان الاستحمام (باثروم) بالإنكليزية إلى تمجيد ذكرى

(محمد باث) الهندي المسلم الذي علمهم في عصره كيفية الاستحمام والنظافة، وفي النهاية قيل إن العطور الفرنسية التي اشتهرت بها باريس تم اختراعها حتى تغطي على الرائحة النتنة، وبسبب هذه القذارة كانت تتفشى فيهم الأمراض كان يأتي الطاعون فيحصد نصفهم أو ثلثهم كل فترة حيث كانت أكبر المدن الأوربية كباريس ولندن يصل تعداد سكانها ثلاثين أو أربعين ألفا بأقصى التقديرات بينما كانت المدن الإسلامية تتعدى حاجز المليون.

وبذلك، فإن أطيب الطيب الماء، وأعظم الطهور هو بالماء، فطهارة البدن شرط من شروط صحة الصلاة فكانت الطهارة من مبادئ الإسلام ومن الأشياء المحببة عند الله، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة: ٢٢٢).

والطهارة كما مر هي المقصد الأول في تركيب الدواء حتى يحل لنا أخذه، وكمسلمين لابد أن نعمل بمقتضى مقاصد الشريعة فتحريم البول والدم لا يعطينا القول باستعماله كعلاج، إلا إذا فقدنا الطاهر وتعين النجس، بقول طبيب ثقة، وإلا لا وجه له بحله إلا من هذا الباب تحت قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات). وعن الجيلاتين المستخرج من شحم الخنزير والخلاف حول تحوله، فالجلاتين النباتي موجود، والحيواني غير النجس موجود، فلماذا الخوض في المختلف فيه، وإن تركه أولى، ويكفينا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)، والشيء نفسه في وصل عظم الحيوان بعظم إنسان؛ فمادام عظم غير النجس موجود فترك النجس واجب إلا إذا تعين، وكذلك ترقيع الجلد ،ولله الحمد والمنة في هذا العصر مع تطور علم الطب أصبح هناك عظام صناعية وفقرات

صناعية تعطي الغرض نفسه، وكذلك أصبحوا يُطِّعِمون جلد الإنسان من جلده، فيأخذون من مكان آخر ويرقعون المحل الذي فُقد منه الجلد، وأما التطهير فأطيب الطيب الماء، فسبحان الله بالحديث عن التعقيم والتطهير تبين أيضاً كم كان مهماً وخاصة في غرف العمليات لقتل الفيروسات والبكتريا، وتبين عند الحديث عن فيروس كورونا كم كان للإسلام دور كبير في الطهارة. يقول الباحث البريطاني (البروفيسور رتشرد بوبر من جامعة منكسر): قد يكون المسلمون في بريطانيا أقل عرضة من غيرهم لأنهم ينظفون أنفسهم خمس مرات في اليوم، والإصابة هي أقل من غيرهم لهذا السبب، (عليكم بوضوء المسلمين) وقد مرّ كيف كان الفرنسيون لا يستحمون، ويعدون النظافة والاستحمام كفر حتى إنهم اشتهروا بالعطور الفارهة لتغطي تلك الرائحة.

المبحث الثاني
المعرفة العلمية بمكونات الأدوية وأثرها الجسدي والنفسي

سيتضمن هذا البحث أصل التراكيب الدوائية وفاعليتها وأثرها السلبي والإيجابي على الإنسان، بما أن لكل مخترع ومبتكر حق براءة الاختراع؛ وهذا حق شرعي، وحتى لو كان المخترع غير مسلم فقد صان الإسلام له هذا الحق. وكذلك في اكتشاف الدواء. كما أن تطوير أجيال الصنف الدوائي وخاصة الصادات الحيوية وأدوية الضغط والسكر، فهناك أيضا جيل أول وثانٍ وثالث ورابع، حتى وصل العلم لاستخراج البروتين الطبيعي من دودة القز، وقد أخذت الدول العظمى الموضوع بجدية كبيرة، فحصلوا من وراء ذلك على مليارات الدولارات، بينما الدول العربية والمسلمة منشغلة بأشياء لا تغني ولا تسمن، وفوق ذلك فإن كثيرا من مصانع الدواء في الشرق الأوسط توجهت إلى الربح كغاية من تصنيع الدواء؛ فتلاعبت بنسبة فاعلية الدواء حتى فقد الناس ثقتهم بالمنتج الوطني.

المطلب الأول: تكوين المادة الأولية للدواء، وبراءة الاختراع وأحكامها

المادة الخام لغة هي مادة لم يجر عليها التشغيل ولم تعالج أو تصنع، وبشكل عام هي مادة خام توجد في الطبيعة بشكلها الطبيعي وغالبا ما تكون بدون فائدة أو ذات فائدة قليلة لا تقارن بفائدتها بعد الصناعة ويمكن أن تكون بعض الصناعات

مواد خام لصناعات أخرى أكثر تطورا وهي ما يطلق عليها بالمواد نصف المصنعة؛ (زيوت، خيوط، كتل، حديد، مشتقات نفطية).

وبحسب مصادرها يتم تقسيم المواد الخام إلى:

١ – مواد خام نباتية.

٢ – مواد خام حيوانية.

٣ – مواد خام معدنية.

تعتبر الصناعة الدوائية من الصناعات الاستراتيجية الهامة جداً لأنها تسهم في تحقيق السلام الاجتماعي وتوفر بعداً هاماً لمفهوم الأمن الوطني للدولة ومنها جاء دور أهمية امتلاك أكبر الدول المصنعة للمواد الخام مراكز ومنشآت للأبحاث في تطوير الأدوية، فمثلا تعتبر الهند أكبر الدول المصدرة للمواد الخام الدوائية فكانت التجربة الهندية مدهشة في هذا المجال، حيث تم إنشاء معهد هندوستان للمضادات الحيوية في عام ١٩٥٨ م كما قامت الهند بمساعدة الاتحاد السوفيتي (سابقا) بافتتاح منشآت للأبحاث لتطوير الأدوية ونافست بذلك الشركات العملاقة في صناعة الأدوية وتحولت الهند إلى أكبر دولة مصدرة للمواد الخام الدوائية وكما أطلق عليها لقب صيدلية فقراء العالم بعد منافستها الناجحة لكبرى الدول في انتاج أدوية ذات جودة عالية.

وبما أن الأدوية تعتبر منقذة للحياة؛ كأدوية السرطان والملاريا والايدز وطرحها للأسواق بأسعار منافسة وزهيدة والذي بدوره ساعد المرضى الفقراء بفرصة الحصول على الدواء وأنقذ حياتهم. فإن اكتشاف الدواء هو العملية التي يتم من خلالها

اكتشاف عقار مرتقب أو ابتكار اكتشفت معظم الأدوية في الماضي أما عن طريق عزل العنصر الفعال من العلاجات التقليدية أو أنه اكتشف عن طريق الصدفة، غالبا ما تركز التقانة الحيوية الحديثة على فهم مسارات الأيض المتعلقة بحالة المرض أو مسبب المرض والتلاعب في هذه المسارات باستخدام البيولوجيا الجزيئية أو الكيمياء الحيوية، وأجريت الكثير من المراحل الأولى من عمليات اكتشاف الأدوية بشكل تقليدي من قبل الجامعات والمؤسسات البحثية، ويشير تطوير الدواء إلى الأنشطة التي تجري على مركب بعد تحديده كدواء محتمل من أجل إثبات ملاءمته كدواء.

أهداف تطوير الدواء:

يهدف تطوير الدواء إلى تحديد تركيبه وجرعاته، وكذلك تحديد أماكن استخدامه، وتتضمن الأبحاث في هذه المجالات بشكل عام مجموعة من الدراسات التي تجري في المخبر والدراسات التي تجرى على الأجسام الحية والتجارب السريرية، وعادة ما تتكفل شركات الأدوية الكبيرة بتكاليف مرحلة التطوير الأخيرة.

وتظهر الشركات الكبيرة متعددة الجنسيات تكاملاً رأسياً فتشترك في مجموعة كبيرة من عمليات اكتشاف الأدوية وتطويرها والتصنيع ومراقبة الجودة والتسويق والمبيعات والتوزيع، وفي المقابل غالباً ما تركز المنظمات الصغيرة على جانب محدد مثل اكتشاف عقار مرشح أو تطوير تركيبات دوائية غالبا ما تعقد اتفاقيات تعاون بين المنظمات البحثية وكبرى شركات الأدوية من أجل استكشاف امكانات المواد الدوائية الجديدة.

الموافقة على المنتج:

يجب أن تحصل المنتجات الدوائية الجديدة في الولايات المتحدة على موافقة إدارة الغذاء والدواء FDA لتشهد بأنها منتجات آمنة وفعالة، تتضمن هذه العملية بشكل عام تقديم ملف دواء تجريبي جديد حاوي على قدر كاف من البيانات ما قبل السريرية التي تدعم المضي قدما في إجراء التجارب البشرية بعد الموافقة. ثم يمكن – بشكل تجريبي – إجراء ثلاث مراحل من تجارب سريرية أضخم على البشر تدرس المرحلة الأولى بشكل عام التأثير السمي من خلال متطوعين أصحاء، وتتضمن المرحلة الثانية الحركة الدوائية والجرعات المناسبة عند المرضى، والمرحلة الثالثة هي عبارة عن دراسة ضخمة جداً للفعالية عند مجموعات المرضى المستهدفة، وبعد الانتهاء من اختبار المرحلة الثالثة بنجاح يُقدم طلب دواء جديد إلى إدارة الغذاء والدواء؛ فإذا وجدوا أن تقييم المنافع بالنسبة للمخاطر للمنتج إيجابيا تعطى الموافقة على تسويق المنتج في الولايات المتحدة.

وغالبا ما تكون هناك حاجة أيضا إلى مرحلة رابعة من المراقبة لما بعد الموافقة نظريا، فالتجارب السريرية لا يمكنها التنبؤ فعليا بالآثار الجانبية النادرة لضمان مراقبة الدواء ما بعد التسويق؛ وقد تراقب سلامة الدواء عن كثب بعد تسويقه في حالات معينة وقد يقتصر الاستعمال على مجموعات معينة من المرضى، وفي حالات أخرى يسحب الدواء من السوق بشكل كامل. وتقدم FDA معلوماتها حول الأدوية التي تمت الموافقة عليها على موقع الكتروني خاص بها.

أما في المملكة المتحدة فتوافق الوكالة التنظيمية للأدوية ومنتجات الرعاية الصحية على استخدام الأدوية لكن وكالة الأدوية الأوربية هي من تقوم بالتقييم وهي وكالة تابعة للاتحاد الأوربي، عادة ما تصدر الموافقة بعد صدور الموافقة في الولايات المتحدة، وهناك المعهد الوطني للصحة وتفوق الرعاية (اختصارا: نايس) في انجلترا وويلز الذي يقرر ما إذا كانت هيئة الخدمات الصحية الوطنية (اختصاراً: إن إتش إس) ستسمح باستخدام الأدوية، وكيفيته. ويعتبر كتيب الوصفات الوطني البريطاني هو الدليل الأساسي للصيادلة والأطباء.

وقد طور حاجز رابع في العديد من الدول الغربية غير الأمريكية يتضمن تحليل فعالية التكلفة قبل أن تتوفر تقنيات جديدة وهي التركيز على كفاءة التقنيات المعنية بدلا من التركيز على فعاليتها في انكلترا وويلز[1].

حق امتلاك الشخص أو الشركة أو الدولة ملكية براءة الاختراع:

تعرف حقوق الملكية الصناعية بأنها: حقوق استئثار صناعي، أي هي حقوق تخول صاحبها أن يستأثر قبل غيره باستغلال ابتكار جديد أو استغلال علامة مميزة.

وحقوق الملكية الصناعية وسيلة الاتصال بالعملاء عن طريق استئثار المنتج باستغلال ابتكار جديد، أو تمييز منتجٍ له، وعلى هذا، تشمل حقوق الملكية الصناعية براءات الاختراع والعلامات التجارية المميزة والرسوم والنماذج الصناعية.

تقسم حقوق الملكية الصناعية لنوعين رئيسيين: حقوق الاختراع والابتكار؛ وحقوق العلامات التجارية والرسوم.

---

[1] Pharmaceutical Executive, ٩th Annual ١, Report on the worlds Top, Pharmaceutical, companies.May .٢٠٠٨

حق الاختراع والابتكار: هو الحق فيما يسمى براءة الاختراع وهي من أقدم أسناد الملكية الصناعية[1]، وهي جهد ذهني أدى لإيجاد شيء أو نظرية لم يكن معروفاً، واصطلح على تسمية ذلك حقوق الملكية الفنية والأدبية، وهذه الحقوق تنشأ في البيئة العلمية والأدبية والفنية. وقد يمتد استغلال تلك الحقوق إلى البيئة التجارية. وحقوق الملكية الصناعية التي تقوم على ابتكارات جديدة قد تتعلق بابتكار من حيث موضوع المنتجات. وهي براءة الاختراع، وقد تتعلق بابتكار جديد من حيث شكل المنتجات، وتلك هي الرسوم والنماذج الصناعية.

وعلى هذا فموضوع الحق في براءة الاختراع غير موضوع الحق في حق الرسوم، والنماذج الصناعية. فالحق في الأول: ينصب على ابتكار جديد من حيث الموضوع، فيستأثر صاحبه برخصة صناعية جديدة فيحتكر إنتاجاً صناعياً جديداً. أما في الثاني: فعنصر الابتكار يرد على الشكل الذي تصب فيه المنتجات كرقم (أو لون مبتكر في ثوب)، أو زخرفة أو نماذج جديدة لتصميم سيارة وما إلى ذلك من المظاهر الخارجية[2].

العلامات التجارية والرسوم: حق الملكية الصناعية والتجارية يتضمن حق المنتج في احتكار استعمال علامة تميز منتجاته، أو تميز متجره أو تميز بلد الإنتاج. فحق المنتج في احتكار علامة تميز منتجاته عن مثيلاتها هو الحق في العلامات التجارية والصناعية، وحق المنتج في احتكار علامة تميز المصنع أو المتجر؛ هو الحق في الاسم التجاري. أما الرسوم والنماذج الصناعية؛ فيقصد بها تلك اللمسات الفنية،

[1] القانون التجاري، علي حسن يونس: ص ٤٥٧.
[2] الوجيز في الملكية الصناعية والتجارية، للدكتور صلاح الدين الناهي: ص ٦٠.

والرسوم والألوان والشكل المنتج، والتي من شأنها أن تستجلب نظر واهتمام العملاء، وحرصهم بعد ذلك على هذا النوع من البضاعة.

وهي بهذه الصفة تجمع بين أمرين: النموذج الصناعي: وهي هذه الرسوم والنماذج أو القوالب الصناعية التي تتميز بها هذه البضاعة، والنموذج الفني وهي الناحية الجمالية والذوقية التي تحملها وتمثلها الرسوم والأرقام وما إلى ذلك. وترتبط الرسوم والنماذج الصناعية بمظهر المنتج الخارجي، ولا علاقة لها بموضوع المنتج. ومن هنا يتضح الفارق بين الابتكار والرسوم أو النماذج الصناعية. فالابتكار هو اكتشاف منتج جديد على غير سابق مثيل، بينما إخراج هذا المنتج بشكل وطابع وتصميم فني وجمالي هو النموذج الصناعي.

ولهذا فقد يكون الارتباط بين الابتكار أو الاختراع، وبين الرسوم والنماذج الصناعية وثيقاً لا يمكن فك الارتباط بينها؛ فيكون الحق في الرسوم والنماذج تابعاً لحق الاختراع لأنه الأصل، وقد لا يكون بينهما مثل هذا الترابط، فيكون لكل منهما صفته وما يتبعها من حقوق.

وتشمل الملكية الصناعية: براءة الاختراع، والنماذج والرسوم الصناعية، وأسماء العلامات التجارية والإشارات وغيرها. أما الملكية الأدبية والفنية فتشمل: ملكية القصص والأشعار والكتابات العلمية وغيرها. وتحديد هذا المعنى للملكية الفكرية كمصطلح من الأهمية بمكان، لأن هذا يعني أنّ هذا المصطلح يُقصد به: مجموع ما يبتكره ويؤلفه الفرد.

أما حماية حق المؤلف على مؤلفاته الأدبية وابتكاراته العلمية هي حماية حديثة ظهرت في أواسط القرن الثامن عشر.

المطلب الثاني: دور المصانع في تطوير الدواء وتطوير أجياله

تنطوي عملية تطوير الدواء على اختبارات صارمة وتحسين مستمر للمركبات التي تم اختبارها لتصنيع الدواء لتحديد الأكثر فاعلية وتتم هذه الاختبارات على خلايا في المختبر وعلى حيوانات، لدراسة عمليات استقلاب الدواء وإنتاج دواء آمن ومطابق للمتطلبات التنظيمية.

ويرجع فشل الأدوية في الممارسة السريرية إلى سببين رئيسيين الأول هو عدم فاعلية الدواء والثاني هو كونه غير آمن وتبدأ رحلة الدواء في أحد المختبرات حيث يُجري الباحثون أبحاثاً أساسية لفهم العمليات الكامنة وراء حدوث المرض على المستويات الجزئية والخلوية والجينية لتحديد الهدف والذي قد يكون جيناً أو بروتيناً ومعرفة كيف يلعب الهدف دوراً في حدوث المرض بعد ذلك يتم اختبار تفاعل الهدف مع مركبات مختلفة إما جديدة أو معروفة سابقاً وذلك لمعرفة من منها ينجح في تحييد أو ابطاء حدوث المرض.

تتطور أجيال الدواء باستمرار، وأكثر شيء يطور عليه هي الصادات الحيوية، ومن ذلك (السيفالوسبورينات)؛ وهي نوع من مبيدات الجراثيم، تقتل البكتيريا وتعمل بطريقة مماثلة للبنسلين، ترتبط وتعوّق نشاط الإنزيمات المسؤولة عن صنع الببتيدوغليكان، وهو مكون مهم في جدار الخلية البكتيرية، يطلق عليها مضادات

حيوية واسعة الطيف لأنها فعّالة ضد مجموعة واسعة من البكتيريا؛ فمنذ أن أُكتشف أول سيفالوسبورين في عام ١٩٤٥، قام العلماء بتحسين بنية (السيفالوسبورين) حتى تصبح فعّالة أكثر ضد مجموعة واسعة من البكتيريا، وفي كل مرة تتغير البنية يتم تصنيع جيل جديد من السيفالوسبورينات، وحالياً العالم في الجيل الرابع من هذه التطويرات.

تطوير أدوية رخيصة الثمن باستخدام دودة القز المعدلة وراثياً:

تسخير ديدان الحرير في إنتاج البروتين: العالم الآن على أعتاب دخول مرحلة جديدة في مهنة تربية دودة القز العريقة، حيث يتم إجراء أبحاث متطورة باستخدام ديدان الحرير المعدلة وراثياً يجعل من الممكن خلق أنواع جديدة من المنتجات الطبية والحرير أيضا. يُعدُّ المعهد الوطني للعلوم ونمو وتغذية النبات في (تسوكوبا)، واحداً من أهم المراكز الرائدة المعتمة بهذا النوع من الأبحاث الجديدة. وهو من المؤسسات التقنية الحيوية الرئيسية في اليابان، أسس عام ٢٠٠١. ويُرّكز العلماء في أحد مشاريعه الرئيسية على تطويع قدرة ديدان الحرير المذهلة بغية إنتاج بروتينات عبر تحريضها لإنتاج بروتينات غير تلك التي



تُنتجها بشكل طبيعي، وقد تم طرح مستحضرات تجميل تستخدم بروتينات

مصدرها ديدان حرير معدلة وراثياً في الأسواق، وتتجه الأنظار الآن نحو إمكانية استخدام دودة القز لتصنيع منتجات طبية آمنة وبسعر معقول.

لقد نشأت تربية دودة القز أو ما تُعرف أيضا بدودة الحرير لإنتاج الحرير في الصين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وانتقلت إلى اليابان في القرن الثاني تقريباً. وفي مطلع القرن العشرين كانت اليابان الدولة الرائدة عالمياً في إنتاج الحرير ولكن استخدام الألياف الاصطناعية وزيادة التصنيع جعل المنافسة بالنسبة للمنتجين اليابانيين الصغار أمراً صعباً. وتعتبر الصين والهند وتايلاند في الوقت الحالي الدول الرئيسية في تصنيع الحرير.

يوجد في اليابان أكثر من ٦٠٠ نوع من ديدان الحرير من بينها الأنواع المعدلة وراثياً. ولعل احدى الخصائص المشتركة لدى جميع أنواع ديدان الحرير هي عدم قدرتها على الطيران بما يغاير الحشرات الأخرى، حتى بعد نضوج اليرقات وبزوغها من شرانقها.

يتم تكاثر ديدان الحرير في القِزَازَة بشكل انتقائي أو تدجن، وذلك على مدى أكثر من عدة آلاف من أجيال الديدان، وهذا ما أصبح ميزة رئيسية في جهود جعل ديدان الحرير المعدلة وراثياً منتجاً تجارياً



وبشكل يماثل جميع الكائنات الحية المعدلة وراثياً، وتخضع ديدان الحرير المعدلة وراثياً إلى تحكم صارم وإلى قيود بروتوكول خاصة بذلك، فعدم طيرانها ضمن عدم فرار أيّ من

هذه الأنواع المعدلة وراثياً إلى البرية، وبالتالي عدم اختلاطها مع الأنواع الطبيعية.

تصنع ديدان الحرير شرانقها بعد الفقس بحوالي الشهر، وتنتج تلك الديدان كميات كبيرة من البروتينات تستخدم كمواد خام في تصنيع الشرانق. حيث يتم إنتاج أنواع مختلفة من البروتينات في أماكن مختلفة من غدة الحرير.

فعلى سبيل المثال ينتج بروتين الفيبروين في الجزء الخلفي من الغدة بينما ينتج بروتين سيريسين في الجزء المتوسط من الغدة. يتشكل خيط الحرير من مزيج من هذين البروتينين: حوالي ٢٥٪ سيريسين و ٧٥٪ وجدير بالذكر أن بروتين سيريسين اللزج قابل للذوبان في الماء وبالتالي فإن غلي الشرانق في الماء يسمح بعزل بروتين فيبروين ذو الشكل الليفي وحده كخيوط حرير.

تصنع ديدان الحرير شرانقها بعد الفقس بحوالي الشهر، وتنتج تلك الديدان كميات كبيرة من البروتينات تستخدم كمواد خام في تصنيع الشرانق، حيث يتم إنتاج أنواع مختلفة من البروتينات في أماكن مختلفة من غدة الحرير.

تقنية التعديل الوراثي:

يتم تعديل ديدان الحرير وراثياً عبر حقن سلسلتين من DNA في بيوض الديدان لخلق ديدان معدلة وراثياً وهكذا تكون إحدى هاتين السلسلتين هي DNA الناقل (٢*) الذي يحتوي على جينات خارجية غير جينات الديدان الأصلية؛ لتقوم بتصنيع بروتينات خاصة يطلق عليها اسم خميرة معدّلة وراثياً تستطيع تغيير موقعها على الجينوم. والسلسلة الأخرى هي DNA المساعد والذي يحوي على خمائر أيْ أنزيمات تساعد في عملية نقل DNA إلى بيوض الديدان. يتم حقن

سلسلتي DNA في البيوض ويسمح للبيوض بأن تفقس بشكل عادي. وبعد ذلك يتم انتخاب الأنسال اللاحقة بحيث يتم اختيار ديدان الحرير المعدلة وراثياً والقابلة للاستخدام.

يقول رئيس الباحثين (أوتشينو كيئرو): عندما نحقن DNA فإننا نستهدف الجزء من البيضة الذي يمكنه أن يتمايز إلى خلايا تناسلية، مما يسمح بانتقال ميزات خاصة إلى الأنسال اللاحقة. وهنا تكمن التقنية التي جعلت من إنتاج كميات كبيرة من ديدان الحرير المعدلة وراثياً أمراً ممكناً.

وقد طور المعهد الوطني لعلوم نمو وتغذية النبات منذ تسع سنوات تقنية جديدة تسمح للباحثين بالتحكم بمكان ظهور خصائص الجينات الخارجية. ولعل اختيار الجزء الخلفي من غدة الحرير الذي ينتج بروتين فبروين الذي يشبه الألياف جعل من الممكن تغيير خصائص الحرير المنتج. سيما وأن الباحثين نجحوا في ذلك المعهد باستخدام هذه التقنية لتطوير خيوط حرير بألوان فلورية متألقة[١].

وعندما يتم نسخ الجزء المتوسط من غدة الحرير – المكان الذي ينتج فيه بروتين سيريسين اللزج –، فإن البروتين الناتج يستهدف البنية الداخلية للصمغ اللزج، ويقول الدكتور (ماتشي هيروآكي) رئيس مركز بحوث الكائنات الحية المعدلة وراثياً: لقد طورنا أنواعاً من ديدان الحرير يشكل سيريسين ٩٨٪ من البروتينات المنتجة وبدمج تلك الأنواع مع بعضها يمكن الحصول على عدد أكبر من البروتينات.

---

[١] الدكتور ماتشي هيروئيكي مدير مركز بحوث الكائنات الحية المعدلة وراثيا.

ويعتقد الدكتور (ماتشي) أن هناك أملاً بأن تساعد ديدان الحرير المعدلة وراثياً في نهوض تلك الصناعة على قدميها مرة أخرى.

من مستحضرات التجميل إلى تطوير الأدوية

نجحت شركة معامل المناعة البيولوجية ومقرها بلدة (فوجي أوكا) في محافظة (غونما) بإنتاج دودة حرير معدلة وراثياً لإنتاج ألياف الكولاجين البشرية، وذلك بمساعدة تقنية من المعهد الوطني للعلوم ونمو وتغذية النبات، وقد استخدمت ألياف الكولاجين تلك في صناعة مستحضرات تجميل وتم طرحها في الأسواق.

كان في الماضي من الصعوبة استخلاص الكولاجين من مصادر طبيعية لكن الآن ومع هذه التقنية الجديدة يمكن إنتاج نحو ١٠ مليغرامات من الكولاجين من شرنقة واحدة. وللحصول على ذلك المقدار الضئيل من الكولاجين يتم إذابة الشرنقة في الماء ومن ثم تنقيتها من الألياف عبر الفلترة. ويصاحب تلك العملية بعض المشاكل مثل مَيل بروتين سيريسين اللزج للالتصاق بشبكة الفلتر مما يؤدي إلى صعوبة في عمليات الفلترة. وتوصل أخيراً (توميتا ماساهيرو) مدير قسم هندسة البروتين في شركة معامل المناعة البيولوجية، إلى طريقةٍ تُمكنّه من الحصول على ٦–٧ مليغرام من الكولاجين من كل ١٠ مليغرامات كولاجين تم إنتاجها.

سبق أن استخدمت شركة معامل المناعة البيولوجية الكولاجين البشري في إنتاج مستحضرات التجميل ومنتجات أخرى حيث يُستخدم في معظم مستحضرات التجميل التقليدية كولاجين مستخرج من السمك، لكنه يؤدي إلى حساسية لدى بعض الأشخاص، وقد حل استخدام الكولاجين البشري هذه المشكلة. وهنالك

ميزة أخرى للكولاجين البشري وهي تعزيز الصورة التي من المرجح الحصول عليها من خلال إيجاد العلاقة مع الحرير والشرانق.

وعند إدخال موادٍ جديدة إلى أسواق تحوي منتجات مماثلة، فإن القدرة التنافسية للتكلفة لا تقل أهمية عن الجودة. ويعتقد الباحثون في شركة مخابر المناعة الحيوية بأنَّ البروتينات المستخرجة من ديدان الحرير المعدلة وراثياً تجعل من بعض المنتجات الصيدلانية أقل تكلفة.

يقول الدكتور (توميتا) : نريد أن ننتج في المستقبل سلسلة من منتجات صيدلانية وأدوية لا تحتاج إلى وصفات طبية. فعلى سبيل المثال، تعتمد العديد من مواد التشخيص على استخدام الأجسام المضادة المُنتَجة في مزارع الخلايا أو في الفئران. ومن وجهة نظر الرفق بالحيوان، فمن الأفضل التقليل من اعتمادنا على الفئران. كما أن استخدام تلك المزارع ليس مثاليا أيضاً نظراً لتكاليف الإنتاج المرتفعة وبالتالي فإن النتاج النهائي سيكون أكثر كلفة. ولكن يمكن حل جميع هذه المشاكل إذا استطعنا صنع أجسام مضادة من ديدان الحرير المعدلة وراثياً بدلاً من مزارع الخلايا والفئران، ففي نهاية الأمر، ليست الأجسام المضادة سوى نوع من البروتين، لذا هناك أمل بصنع منتجات صيدلانية آمنة وبأسعار معقولة بهذه الطريقة.

وقد أولى الناس جمال وملمس الحرير قيمة كبيرة منذ آلاف السنين، ولربما تستخدم البروتينات المنتجة من قبل ديدان الحرير المعدلة وراثيا قريبا في صنع أدوية

آمنة وغير مكلفة لتساعد الناس على البقاء في صحة جيدة، وهذا سبب آخر قد يُثير مشاعر الناس قريبا لتوجيه الامتنان لدودة القز[١] .

المطلب الثالث: المعامل وجرائم التلاعب بنسب فاعلية الدواء

ذكرت إحدى المقالات في السنوات القليلة الماضية تجاوز عوائد صناعة الدواء عالمياً حاجز التريليون دولار . لذلك هو سوق عملاق يسيطر عليه عدد قليل نسبياً من الشركات الكبرى، أكثرها أمريكية الجنسية . سمح ذلك الاحتكار بتراكم ثروات ونفوذ مكنت الشركات من التلاعب لتحقيق مزيد مكاسب، دون أي اعتبار لضوابط أخلاقية يتصور حضورها في الصناعة الأكثر مصيرية في حياة الإنسان .

ألقى هذا التقرير الضوء على سُبل احتِيال خبرتها مافيا الدواء العالمية، ازداد الاهتمام ببعضها خلال السنوات الأخيرة، حتى بدأت بعض الدول أخيراً في سن قوانين تحد من قدرة الشركات على التلاعب والخداع، بعدما تجاوز الأمر عموم الجماهير وطال الأطباء والمتخصصين أنفسهم داخل أروقة البحث العلمي، وسنيذكر الباحث أمثلة عن أدوية (ستاتينات) المخفضة للكوليسترول، التي تستحوذ على حصة كبيرة من سوق الدواء العالمي .

الخداع الدعائي :

---

١ للمزيد عن أحدث الأبحاث العلمية من خلال الروابط التالية المقالة الأصلية باللغة اليابانية بقلم هاياشي آيكو:

- Hokkaidō’s Space - Age Strawberry Factory
- Kyoto University CiRA: Japan’s Leading Stem Cell Research Center
- National Institute for Environmental Studies: Using Genetic Time Capsules to.Preserve Species for the Future

تقدم شركات الدواء بدعاية مخادعة، بقولها: (تخلص من الألم في دقائق) أو (اقض على ٩٩.٩٪ من الجراثيم)؛ موجهة إلى المريض والطبيب، ظاهرها الدقة والجدية والحقائق العلمية. فعندما يبلغنا – خاصة شفهياً – أن الاختبارات العلمية كشفت عن قدرة دواء على خفض احتمالية الإصابة بمرض ما بنسبة ٥٠٪ على سبيل المثال، فسيبدو الأمر صادقاً وصريحاً بصورة لا تدعو إلى أي شك. لكن الشك هنا هو التصرف الصحيح.

في الواقع، تخص النسبة المذكورة بالأعلى حالة محددة، هي دواء (أتورفاستاتين) – نوع من الستاتينات – الذي يحقق لشركات الدواء العالمية عشرات المليارات من الدولارات سنوياً، منها (فايزر) الأمريكية التي تسوقه تحت اسم (ليبيتور). تدعم فايزر منتجها بحملات دعائية وتسويقية عملاقة يخاطب بعضها المرضى ويخاطب البعض الآخر الأطباء، تحقق لها بالفعل مبيعات تتجاوز العشرة مليارات دولار سنوياً.

في العام ٢٠٠٨، تضمنت إحدى الدعايات صورة ترويجية يظهر فيها (روبرت جارفيك) – عالم أمريكي مرموق ومطور القلب الصناعي – مع نص يؤكد قدرة الدواء على خفض احتمالية الإصابة بالنوبة القلبية بنسبة ٣٦٪ (كتبت الأرقام بخط عملاق) للمرضى ذوي عوامل الخطورة المتعددة. لكن كتب أسفل الإعلان بخط صغير توضيحاً تخطئه العين، يتعلق ب (نسبة خفض الخطر النسبي relative risk reduction؛ فما ذلك؟

تكمن الخدعة في كلمة (نسبي)، بمعنى أن الانخفاض في احتمالية إصابتك بنوبة قلبية هنا بمقدار الثلث تقريباً ليس انخفاضاً مطلقاً، بل انخفاض في مقدار نسبة أخرى، هي النسبة الأهم التي تخفيها الدعاية والمطويات قدر الإمكان. في حالة ليبيتور تحديداً، كانت نسبة ٣٦٪ معبرة عن انخفاض في احتمالية إصابة مطلقة أصل ٣٪ ثم تحولت بفضل الدواء السحري إلى ١.٩٪.

فاحتمالية إصابة هذا القطاع من المرضى بنوبة قلبية نحو ٣٪ فقط في البداية، ثم انخفضت مع تناول الدواء إلى ١.٩٪. مع الانتباه إلى ما توحي به النسبة الضخمة مجردة في البداية، من أن احتمالية الإصابة التي انخفضت بمقدار ٣٦٪ كانت في الأصل ١٠٠٪، وهو التباس يسهل التعرض له دون وعي. وهذا أقرب إلى التزوير والتلاعب.

التزوير العلمي:

تغولت مافيا الدواء خلال العقد الأخير حتى أحكمت قبضتها الناعمة على مفاصل البحث العلمي الكبرى، بفضل مئات المليارات من الدولارات التي تجنيها سنوياً. وهو ما حذر منه الكثيرون، فالطبيبة (مارسيا أنجل)، الطبيبة والكاتبة الأمريكية، هي أول امرأة تتولى رئاسة تحرير (مجلة نيو إنغلند الطبية) (NEJM) العريقة، كتبت في العام ٢٠٠٩ مقالة بعنوان: شركات الدواء والأطباء: قصة فساد، جاء فيها: لم يعد بالإمكان تصديق كثير من البحوث السريرية المنشورة، أو الاعتماد على حكم الأطباء الموثوق بهم أو الإرشادات الطبية

الرسمية. ولست أجد أدنى متعة في البوح بهذه النتيجة التي توصلت إليها ببطء وعلى مضض على مدار العقدين الذين عملت فيهما محررة.

وهذا يتفق مع ما كتبه (ريتشارد هورتون)، الأستاذ الجامعي الإنجليزي المرموق ورئيس تحرير مجلة (ذا لانسيت) الطبية العريقة، في مقالة نشرها في العام ٢٠١٥: إن الاتهام الموجه إلى العلم صريح؛ فالكثير من الأدبيات العلمية، ربما نصفها، ببساطة: غير صحيح؛ فقد ابتلي العلم بدراسات ذات عينات صغيرة الحجم، وآثار تافهة، وتحليلات استكشافية خاطئة، وتضارب فج في المصالح... ليسلك بذلك منعطفاً يودي إلى الظلام.

وعقد البرلمان الأوروبي في الرابع من أبريل ٢٠١٨، جلسة بعنوان (إمبراطوريات الطعام والدواء: هل تقتلنا من أجل الربح). شارك فيها عدد من المتخصصين، كطبيب القلب والكاتب الإنجليزي (أسيم مالهوترا)، أوضح الحضور عدداً من التبعات الكارثية لتغول إمبراطوريات الطعام والدواء، منها تضارب المصالح البشع الذي أضر أشد الضرر بالطب المسند بالدليل، وأثره المدمر على الصحة العامة.

تتولى مافيا الدواء اليوم تمويل نسبة هائلة من التجارب العلمية التي أثارت بعضها جدلاً كبيراً. منها تجربة (جوبيتار) السريرية الممولة من قبل شركة (أسترازينيكا) العالمية لصناعة الدواء، والمنشورة في العام ٢٠٠٨ بمجلة (نيو إنغلند) الطبية، حيث أكدت الأثر الإيجابي للستاتينات في درء النوبات القلبية. وفي تقييم نقدي نشرته (مجلة جاما للطب الباطني) بعد عامين، خلص إلى أن تجربة (جوبيتار) تفتقر إلى الاتساق في النتائج بصورة تدعم الاتهامات الموجهة إلى التجارب

السريرية الممولة تجارياً، من حيث ضعف الجودة والتحيز المخل، إلى جانب تعدد صور تضارب المصالح، كالعلاقات المالية التي تربط تسعة من محرري التقرير الرئيسي الأربع عشرة بشركة (أسترازينيكا)، أو الارتباط الواضح بين فساد البيانات الأولية الخاصة ببعض الأدوية والتحكم المطلق لباحثي الشركة في جمع وإدارة جميع البيانات الأولية. أو انتقاء مجموعة علاجات وهمية ذات قابلية أكبر للإصابة بمشاكل قلبية، رغم لزوم تطابق احتمالات الإصابة بين جميع العينات.

والأمر الأكثر كارثية هو التلاعب بنتائج التحليلات الإحصائية لنتائج مجموعة من الدراسات السابقة، بهدف اكتشاف علاقة مشتركة أو استنباط توجه عام.

فقد نشرت في العام ٢٠١٥، مجلة علم الأوبئة السريري دراسة شملت ١٨٥ تحليلاً يخص الأدوية المضادة للاكتئاب، لتكتشف أن ثلث تلك المواد حررها موظفون لدى مافيا الدواء؛ فصناعة الدواء مستعدة لتمويل دراسات تروج منتجاتها، لكن تمويل التحليلات الإحصائية التي كانت حصناً حصيناً للطب المسند بالدليل أمر مختلف تماما، إنه هذا التأثير الجارف للتحيزات وتضارب المصالح في المجال أمر مذهل حقاً[1].

علاوة على ذلك، تؤثر مافيا الدواء في البحث العلمي بطرق غير مباشرة، مثل النشر الانتقائي للأبحاث والتجارب السريرية ونتائجها، بما يغري الباحثين بتصورات غير واقعية عن فاعلية الدواء ونسب المخاطر وما شابه. يحدث ذلك كثيراً

[1] جون إيوانيديس، أستاذ الطب وعلم الأوبئة الأمريكي بجامعة ستانفورد، وأحد المشاركين في تأليف الدراسة.

مع تجارب الدواء الفاشلة، أو تلك التي ترصد آثاراً جانبية قد تضر بسمعة الدواء في السوق.

ونتيجة للوعي المتزايد بأضرار النشر الانتقائي، بدأت بعض الدول الأوروبية في سن قوانين تجبر شركات الدواء على إتاحة نتائج التجارب السريرية والتجارب قبل السريرية، نظراً للأهمية الحيوية لتلك البيانات. وما زال الوعي بألاعيب وجرائم مافيا الدواء في ازدياد، لكنه ما يزال أقل بكثير مما نحتاجه لمكافحة تغولها وسمومها المبثوثة بين أوراق البحوث والمراجع العلمية[١].

اكتشاف جديد يقود لتطوير عقاقير واعدة للسكري والسمنة:

نجح فريق بحث دولي لأول مرة في رصد شكل وطريقة تفاعُل مستقبلات GLP1 عندما يتم تحفيزها باستخدام عقاقير السكري، ما يمهد الطريق لعلاجات تستهدفها بشكل أفضل من العقاقير المتاحة حاليّاً.

فقد نجح الباحثون في معهد موناش للعلوم الصيدلانية، في اكتشاف طريقة عمل نوع من المستقبلات التي تزيد من تحفيز إفراز الأنسولين في جسم الإنسان، ضمن آلية عمل أدوية شائعة لعلاج مرض السكري. حيث رصدت دراسة منشورة في دورية (نيتشر) العلمية، شكل وطريقة تفاعُل مستقبلات GLP عندما يتم تحفيزها باستخدام عقاقير السكري، ما يقود لتطوير أدوية تستهدفها بشكل محدد وتحقق نتائج أكثر فاعليةً لعلاج السكري من النوع الثاني، إضافة إلى السمنة[٢].

---

[١] محمد اسامة، مافيا الدواء وأعراضها الجانبية: خداع دعائي وتزوير علمي مافيا الدواء، ١١ - ٩ - ٢٠١٨.

[٢] دينيس ووتين، رئيس قسم بيولوجيا اكتشاف الأدوية بمعهد موناش للعلوم الصيدلانية، وعضو فريق البحث.

يعمل الفريق بالتعاون مع علماء من ألمانيا والصين والولايات المتحدة، لإنجاز مشروع مشترك يستهدف تطوير علاجات جديدة أكثر فاعليةً، للسمنة والسكري. ويُعَدُّ داء السكري – بنوعيه الأول والثاني – مرضاً مزمناً، يحدث عندما يعجز البنكرياس عن إنتاج الأنسولين بكمية كافية، أو عندما يعجز الجسم عن الاستخدام الفعال للأنسولين الذي ينتجه.

ويحدث السكري من النوع الثاني، من جَرّاء فرط الوزن وقلّة النشاط البدني. في المقابل، تحدث الإصابة بالنوع الأول عند قيام النظام المناعي في الجسم بتدمير الخلايا التي تتحكم في مستويات السكر في الدم، ويكون معظمها بين الأطفال. ومع مرور الوقت، يمكن للمستويات المرتفعة من السكر في الدم أن تزيد من خطر الإصابة بأمراض القلب، والأعصاب، والعمى، والفشل الكلوي.

في عام ٢٠١٤، كان ٨.٥٪ من البالغين حول العالم أو ٤٢٢ مليون شخص مصابين بالسكري، وفقاً لإحصائيات منظمة الصحة العالمية، وفي عام ٢٠١٢، كان المرض سبباً مباشراً في ١.٥ مليون حالة وفاة.

تنظيم مستويات الانسولين: هناك اثنان من الأدوية المستخدمة في علاج مَرَضي السكري والسمنة، هما العقاران: "فيكتوزا" (Victoza) الذي يتم تسويقه تحت اسم "ليراجلوتايد" (liraglutide)، ودواء "بيتا" (Byetta) الذي يباع تحت اسم "إكسيناتيد" (Exenatide). و"ليراجلوتيد" هو حقن تحاكي الهرمون الذي يُوجَد بشكل طبيعي في الجسم، ويساعد على السيطرة على نسبة السكر في الدم، وتنظيم مستويات الأنسولين، وعملية الهضم.

ويُستخدم هذا الدواء جنباً إلى جنب مع النظام الغذائي وممارسة الرياضة لتحسين السيطرة على نسبة السكر في الدم لدى البالغين الذين يعانون من داء السكري من النوع الثاني.

لاحظت عدة دراسات في السنوات الأخيرة، أن "ليراجلوتيد" يساعد على خفض الكوليسترول في الدم، ويمكن أن يُستخدم لعلاج السمنة. وفي ٢٠١٤، وافقت "هيئة الغذاء والدواء الأمريكية" على استخدامه لعلاج السمنة. أما "إكسيناتيد" فهو عبارة عن حقن تساعد في السيطرة على مستوى السكر في الدم، عن طريق مضاعفة إفراز الأنسولين من البنكرياس، كما يقلل من تحرير الجلوكوز من الكبد عن طريق تقليل معدلات إفرازه، ويبطئ من مدة تفريغ المعدة، ونتيجةً لذلك يحدث انخفاض في الشهية، وارتفاع الشعور بالشبع، ما يسبب انخفاض الوزن أيضاً.

ويعمل كلا العقارين على تحفيز مستقبِلات هرمون GLP1 الذي يُفرَز في الجسم كرد فعل طبيعي على تناول الوجبات، وذلك للحفاظ على توازن الجلوكوز، عبر خفض مستوياته في الدم عن طريق تحفيز إفراز الأنسولين من خلايا بيتا الموجودة في البنكرياس، ما يقلل من حركة الأمعاء أيضاً، وبالتالي يتولد إحساس بالشبع، ما يُسهم بدوره في مكافحة السمنة.

أدوية أكثر فاعلية: إن مستقبلات GLP1 تتفاعل بشكل مغاير، عندما يتم تحفيزها عن طريق أدوية السكري مثل إكسيناتيد، مقارنةً بما يحدث في أجسامنا بشكل طبيعي، وهذا ما وصلت إليه التجارب ما قبل السريرية، مما وفر نظرةً ثاقبةً لما

يمكن أن نسير عليه في المستقبل، عبر تحسين أدوية السكري والسمنة، وشدد على أن هذه العقاقير أثبتت فاعليةً عبر تجارب سريرية أُجريت على البشر من قبل في علاج الاضطرابات العصبية، بما في ذلك مرض الزهايمر وباركنسون أو الشلل الرعاش[1].

وأشار إلى أن الفريق اكتشف أن نوعاً من دواء "بيتا" (Byetta) ويُدعى (Exendin5) وهو أحد محفزات مستقبلات GLP1 يتفاعل بشكل مغاير مع تلك المستقبلات، وبطريقة تختلف عن أدوية السكري الأخرى. وذكر أن التجارب قبل السريرية، كشفت أن (Exendin5) نجح في الحد من مستويات السكر في الدم في النماذج الحيوانية المريضة بالسكري من النوع الثاني، وبطريقة أكثر فاعلية من الأدوية المتاحة حاليّاً، ما يمكن أن يقود في نهاية المطاف إلى نتائج أفضل لم يتم التوصل لها من قبل.

أدوية على أساس علمي: إن دور مستقبِلات GLP1 معروف منذ عشرات السنوات، لكن الجديد الذي توصل إليه الفريق هو رصد رد فعل وشكل آلية عمل هذه المستقبلات، عند تحفيزها بواسطة الأدوية[2].

وأكد أن الآثار الجانبية الأبرز التي يريد العلماء تجنُّبها في المستقبل، هو تسبُّب بعض أدوية السكري من النوع الثاني في زيادة الوزن لدى بعض المرضى، عن طريق زيادة الشهية أو زيادة تخزين الدهون أو تثبيط عملية الحرق في الجسم وهذا الأثر ربما لا يظهر لدى جميع مَن يتناولون تلك الأدوية، ونوه بأن أدوية السكري

[1] باتريك. إم. سيكستون، عضو فريق البحث.
[2] السيد بدوي، أستاذ الكيمياء الصيدلية بكلية الصيدلة في جامعة الإسكندرية.

الموجودة حالياً وتكافح السمنة أيضاً تحتاج إلى نظام غذائي خاص بالإضافة إلى ممارسة الرياضة؛ لتحسين السيطرة على نسبة السكر في الدم لدى البالغين، وهذا ربما لا يقوى عليه كُثر من مرضى السكري، لكن قد يقود الاكتشاف الأخير إلى تطوير أدوية تحفز الجسم على حرق الدهون وتضبط السكر في الدم، دون الحاجة إلى نظام غذائي وبرنامج رياضي صارمَين[1].

لذلك وبرأي الباحث فإن تلاعب المعامل في فاعلية الدواء يدل على ترك أخلاق الطب والعلاج وتحويلها إلى متاجر علنية خالية من الأخلاق والضمير الإنساني وهنا مهمة الرقابة الدوائية مسؤولة أمام الله عن هذه المسألة.

المطلب الرابع: المواد المخدرة تصنيعها وكيفية بيعها وأحكام التلاعب بها

ارتفعت في السنوات الأخيرة كميات أدوية الاكتئاب المستهلكة في الدول المتطورة إلى مستوى الضعف، كما جاء في تقرير لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، في حين تشكك الأوساط الطبية بمدى فاعليتها وتحذر من أعراضها الجانبية؛ كاضطرابات نفسية، وآلام الرأس والمعدة، هي من بين الأعراض الجانبية الكثيرة لأدوية الاكتئاب[2]. وقد ظهر في السوق حديثا دواء يحتوي على مادة السيروتونين المساعدة على مواجهة الاكتئاب، والذي يساهم في رفع مستوى خطر الإقدام على الانتحار.

---

[1] محمد السيد علي، صحفي مصري، حاصل على دبلوم الصحافة العلمية، من الاتحاد الدولي للصحفيين العلميين - كندا، يركز عمله على قضايا الصحة والبحث العلمي والتنمية.

[2] ماتياس زايبت، الاتحاد الفيدرالي الألماني لخبراء العلاج النفسي، حوار مع القناة الألمانية DW

إن مثل هذه الأدوية هي موضع جدل حاد بين الأطباء النفسيين، غير أن ذلك لا يمنعهم من القيام بتوزيعها على مرضاهم، وكأنها قطع حلوى، واتهم (ماتياس زايبت) الأطباء النفسيين بالعمل على نشر الإدمان بين المرضى. وعلل السبب بالأرباح الكبيرة التي تجنيها شركات الأدوية من تلك الأدوية، ولما يحصل عليه الأطباء من رشاوى من تلك الشركات.

أسباب ارتفاع نسبة الاستهلاك: هناك أسباب كثيرة وراء ارتفاع أعداد الوصفات الطبية المرتبطة بأدوية الاكتئاب، منها:

- ارتفاع عدد الإصابات بمرض الاكتئاب.
- حالة عدم الاستقرار الاقتصادي التي تعاني منها دول الجنوب داخل الاتحاد الأوروبي، التي ترتفع فيها عدد الوصفات الطبية الخاصة بهذه الأمراض[1]. وحسب منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، تم خلال السنوات الأخيرة تسجيل ارتفاع ملحوظ في اسبانيا والبرتغال بنحو ٢٠٪.
- الاستخدامات الموسعة لهذه الأدوية في مجالات كثيرة، حيث لم تعد أدوية معالجة الاكتئاب تستخدم لعلاج الاكتئاب فحسب، وإنما أيضا لعلاج الآلام المزمنة أو حالات الخوف والهلع[2].

وفي الختام فإن صاحب الاختراع (المبتكر) لدواء يعالج أمراض الناس، لهو أمر عظيم، وإن من مقاصد شرعنا الإسلامي حماية اختراعه، لأنه صاحب الفضل على

---

[1] كريستا روث - زاكنهايم، رئيسة اتحاد الأطباء النفسيين في حديث للقناة الألمانية DW.

[2] مرجع سابق، ماتياس زايبت.

الناس وله حق الملكية، وبتكاتف المبتكر والمصنع كانت النتائج مبهرة، خاصة في تطوير أجيال الأدوية الضرورية، ولعل علاجات أدوية مستوية ستكون بين أيدي الناس قريبا بإِذن الله تعالى.

المبحث الثالث
سوء التصنيع وشركات الترويج (مندوبين وأطباء)

سيتضمن هذا البحث خداع المنتج للمستهلك، لترويج البضاعة والتلاعب بمعاييرها، وأن الامتياز يجب أن يعني أن فاعلية الدواء كبيرة وأن الشركة المنتجة للمادة تحترم المواصفات المحددة والضابطة للدواء دون أي تلاعب، ولا تخفى سياسات الترويج والتوزيع التي تهدف إلى كتابة صنف يخص شركة دون أخرى دون أساس علمي، وهنا يتجلى دور الطبيب العفيف في الحد من ذلك التلاعب ووقفه.

المطلب الأول: الامتياز ودقة التصنيع

حق الامتياز Franchise عقد بين طرفين مستقلين قانونيا واقتصاديا يقوم بمقتضاه أحد طرفيه والذي يطلق عليه مانح الامتياز بمنح الطرف الأخر والذي يطلق عليه ممنوح[1] الامتياز الموافقة على استخدام حق أو أكثر من حقوق الملكية الفكرية والصناعية أو المعرفة الفنية لإنتاج سلعة أو توزيع منتجاته أو خدماته تحت العلامة التجارية التي ينتجها أو يستخدمها مانح



[1] لمعلومات عن حق الامتياز:
https://web.archive.org/web/20190520121933
www.britannica.com/topic/franchise
https://web.archive.org/web/20200427200407/http:/zbw.eu/stw/version/latest/descriptor/12782-5/about

الامتياز ووفقا لتعليماته وتحت إشرافه حصريا في منطقة جغرافية محددة ولفترة زمنية محددة مع التزامه بتقديم المساعدة الفنية مقابل تعويض مادي أو الحصول على مزايا أو مصالح اقتصادية.

ووفقا لقاموس وبستر،فالامتياز هو حق أو ترخيص ممنوح للفرد لتسويق سلع أو خدمات في منطقة معينة[1]. لذلك يمثل فرصة لإقامة مشروع تجاري تحت علامة تجارية مشهورة تستخدمها كبرى الشركات العالمية.

وقد أدت المقاطعة والعقوبات الدولية على سورية دون إمكانية تجديد عقد امتياز الأوغمانتين، مما يتسبب بفقدان المضاد الحيوي محلياً، ويستلزم ذلك إنتاج أدوية بديلة بالخصائص ذاتها لكن بأسماء تجارية مختلفة، وكانت مستحضرات الأوغمانتين تصنّع في سورية بامتياز من شركة جلاكسو سميث كلاينوهي GSK أكبر شركات الأدوية البريطانية.

وينوه الباحث أن الامتياز يفسخ عقده بأمور منها الحصار والحروب؛ بسبب فقدان الأمان؛ فكل شركة امتياز لها خبراء دائمون في المعمل الذي يصنع أصنافها وهم مسؤولون عن دعاياتها وتوعية الأطباء وغير ذلك، لذلك سحبت كثير من الامتيازات الدوائية مثل (الأوغمنتين ولابيراكس وبانادول) وغيرها؛ فحق الامتياز حق للدولة التي صنّعت المادة الأم لهذا الدواء، وهي لا تسمح بتصنيعه باسم شركة ما في دولة أخرى إلا تحت إشرافها، ولها الحق في الربح بنسبة متفق عليها، وعند إفلاس الشركة لها الحق باستيفاء ديونها وأرباحها قبل كل الغرماء.

---

[1] www.zbw.eu

المطلب الثاني: العروض الدوائية

العروض أو (البونص) هي ما تقدمه شركات ووكلاء الأدوية للصيدليات من عبوات مجانية من الدواء تتناسب مع حجم الشراء، بحيث كلما زادت الكمية المطلوبة زادت النسبة المجانية . وهذا ليس مقتصراً على الصيدليات، بل هو أسلوب تسويقي متبع في غالب القطاعات التجارية بحيث كلما زادت كمية الشراء كان هناك نسبة خصم أعلى، أو تقديم مجموعة من السلع المجانية كحافز لزيادة المبيعات .

يتمثل احتكار الأدوية بسيطرة عدد محدود من الموردين على سوق الأدوية وبيعها بأسعار مرتفعة للصيدليات لجني أرباح كبيرة فضلا عن الارتفاع المتواصل لأسعار الدواء والتحكم بتوريد أدوية بديلة قد تكون أقل فاعلية . وفي ظل سوق الدواء الاحتكارية يستفحل ضرر نظام البونص على سوق الدواء إذا أدى إلى إيجاد فئة من الجشعين الذين يجنون الأرباح على حساب المرضى سواء كانوا صيادلة أو موزعين أو تجار جملة، وذلك عندما تمنح الشركات عروضا تصل إلى ١٠٠٪ لأدويتها مما يثير شكوكاً حول تسعيرة الدواء، وحول بياناتها التي تقدمها لوزارة الصحة حول تسعيرتها .

المطلب الثالث: دور المندوب العلمي

مندوب المبيعات الطبية هو حلقة الوصل بين الشركات الطبية والصيدليات ومتخصصي الرعاية الصحية، وهو المسؤول عن بيع منتجات الشركة والتي تشمل الأدوية والمعدات الطبية لمجموعة متنوعة من العملاء بما في ذلك الأطباء

والمستشفيات والصيادلة، ويعمل مندوب المبيعات الطبية بشكل استراتيجي لزيادة الوعي واستخدام المنتجات الطبية التي تقدمها الشركة.

المطلب الرابع: الطبيب وأمانته العلمية بكتابة الصنف النافع للمريض

الطبيب هو الجندي الأبيض تتسم فيه الرحمة والحكمة والفهم والإنسانية، وما إن تجرد عن صفة من هذه الصفات تحول إلى مجرم قاتل، لأنه يتعامل مع أرواح الناس وهنا يصح القول (طبيب جائع أخطر من ألف مجرم)، والأطباء اليوم على ثلاثة:

أولهم: طبيب شريف لا تهمه الإغراءات ولا النزهات ولا الفنادق والمطاعم يعمل بإخلاص وجدية وهم قلة، لأنه يعمل بأصول الطب.

ثانيهم: طبيب مرتشٍ همه جمع المال يبيع ضميره للشركات الدوائية الجشعة مقابل أموال ورواتب ومنتجعات وفنادق وهدايا باهظة الثمن على أن يكتب للمريض صنفهم فقط فهذا تراه قد اغتنى بالمال مبكراً.

ثالثهم: طبيب يتعامل مع كل الشركات ويكتب للجميع مقابل الهدايا تراه يرتشي لكنه لا يُرضي أحداً فتراه يتأخر في الغنى. ويكون ذلك على مستوى الشركات كما هو على مستوى الطبيب، ففي بريطانيا هناك شركة أدوية قامت بتأهيل وسطاء لرشوة أطباء في الصين[١].

[١] وكالة انباء الصين الجديدة، شنغهاي (الصين) ا ف ب.

وبناء على ما سبق، فإن أطيب الطيب الماء، وأعظم الطهور هو بالماء، فطهارة البدن شرط من شروط صحة الصلاة فكانت الطهارة من مبادئ الإسلام ومن الأشياء المحببة عند الله، قال تعالى : **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** (البقرة : ٢٢٢) .

وقد أوضح البحث أن السباق في صنع الدواء وإثبات الجدارة في التصنيع شجع كثيرا من الشركات في دول الغير لأخذ امتياز لهذه الشركة لما لها من قوة في السوق الدوائي لشهرة نفعها، وأوضح أيضا كيف كان السبق لاستخراج البروتين من دودة القز التي كانت مصنعا بحد ذاته، وتنافست الدول والشركات العملاقة لاستخراج البروتين الطبيعي فكانت الدودة عندهم ثروة بينما هي مهدورة في الشرق الأوسط، غير أن بعض الدول انطوت للخداع وتخفيف نسبة الفاعلية ودخل الغش والتزوير فهوى سوقها التجاري وضعفت ثقة الناس بها دون أن تبالي بما تفعله .

وختاماً فقد تبينت فائدة الامتياز للناس، في دقة صناعة الصنف الدوائي وجودته، وقد تميزت الدول الغربية عن الشرقية في هذا المضمار صدقا ونوعية، وقد انعكس ذلك بزيادة أرباح الشركات الغربية في المدى الطويل . واضطرت الشركات التي تتلاعب بالمادة الدوائية إلى منافسة مثيلاتها بسياسات التوزيع والحسم وما إلى ذلك .

الفصل الثالث
التطبيقات المعاصرة في الأدوية البشرية

سيتناول الباحث في هذا الفصل الزكاة لأنها تمثل نهضة اقتصادية، ينمو بها المجتمع ويزدهر، وتنعش الفقراء وتقضي على الفقر والبطالة، وكما أن الزكاة في عروض التجارة والأموال كذلك هي في الأدوية، كإعطاء الفقير الدواء لعلاج مرضه من الزكاة، ويكون المزكي قد أصلح الفقير ظاهراً وباطناً، وهنا تكمن رحمة الاسلام. فالناس بحاجة ماسة للدواء خاصة أصحاب الأمراض المزمنة، فإعطاؤهم الأدوية يخفف من العبء الكبير عليهم، إذ إن الدواء لا يستطيع تركه كالطعام بل لربما أكثر، لذلك فإعطاؤه للمريض الفقير ولو قبل حولان الحول جائز وله من أجر تخفيف آلامه، ومراعاة حاله؛ فمسألة الدواء والطب مسألة إنسانية.

وسيتناول الباحث الربا الذي شاع بين الناس وكثر، لقلة درايتهم بأحكام البيع والشراء، والدواء كغيره من السلع الربوية يدخل فيه علة الربا، فالمسلم واجب عليه اذا أراد التجارة بأي شيء، أن يتفقه بأمور دينه حتى لا يقع في الحرام من ربا وبيع فاسد إلخ، فلو أتقن كل صاحب عمل الأحكام الشرعية فيما يخص عمله، لما وقع المسلمون في كل الأخطاء، فالبيع الفاسد في الأدوية، يجب أن تتنبه له شركات الأدوية والصيدليات، لما فيه خطر كبير على الفرد والمجتمع، ففساد بسيط قد يحول الدواء إلى سم قاتل، ويترتب على ذلك أحكام شرعية كثيرة.

وبما أن مستحضرات التجميل منتشرة انتشاراً واسعاً جداً، بل أصبحت اليوم مادة مطلوبة في السوق بصورة لا تصدق، ويروج لها إعلامياً ترويجاً واسعا، ولهذه

المستحضرات أضرار يجب التنبه لها بسبب دخول المواد الكيماوية فيها لذلك سيتناول الباحث حكم هذه المستحضرات، فمنها هذه المستحضرات ما يصل إلى الأمراض السرطانية، قد جعلتها النساء مقدمة على الضروريات والحاجيات،حتى أنها خرجت عن نطاقه كونها زينة للزوج؛ بل أصبحت زينة للتباهي أمام الناس بجمالها ورونقها، ولكي تجذب الرجال نحوها، وهذا ليس من الدين، فالله قال:

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (النور: ٣١)

وسيتناول الباحث الأدوية النفسية (المخدرة)، حيث إنها علاجٌ لصاحب العاهة والمرض، وموت بطيء للمتعاطي لها، وما أوسع انتشارها اليوم للأسف فقد رافقت البشرية منذ القدم وتطورت بتطوره، حتى أصبحت من أبرز الظواهر الاجتماعية الراهنة، وإحدى مشكلاتها المعاصرة، كما بدأت تقلق المجتمع العالمي بكافة فئاته واتجاهاته، وتقضُ مضجعه وتهدد حضاراته، وتسبب له الحيرة والارتباك لوقف هذا السيل الجارف من الويلات والآلام التي تجتاح البشرية، وتعتبر مشكلة كبيرة فهي التي تؤثر في بناء المجتمع وأفراده، كما تترتبُ عليها أثار اجتماعية واقتصادية سيئة تهدد كيان المجتمع، وبناءه التنموي والاقتصادي.

المبحث الأول
زكاة الأدوية وكيفية إخراجها

سيتضمن هذا البحث توضيح كيفية إخراج زكاة الأدوية متى وكيف ولمن؟، وهل ستتبع عروض التجارة أم لها حكم خاص؟ وكيفية إخراج زكاة الأدوية من السلعة نفسها؟ وهل توزيعها محصور بالمسلمين؟ فالزكاة هي طهرة للمال أو السلع، والأدوية داخلة في هذا المضمار، والناس بحاجة إليها خاصة أصحاب الأمراض المزمنة.

المطلب الأول: هل زكاة الأدوية تتبع عروض التجارة أم لها حكم خاص؟

أولا: لابد من تحديد بداية الحول بالنسبة للصيدلية أو المستودع الموزع، وهل بلغت النصاب أم لا؟ وإذا كانت بعض الأدوية مشتراة بالدين لم يسدد ثمنها فهل تؤخر؟

ثانياً: إخراج الزكاة مقدماً (بمعنى إخراجها قبل حولان الحول) سواء أكانت في صورة دواء أو أموال سائلة على أن يتم حسمها من أموال الزكاة.

ثالثاً: متى يعتبر الدين معدوما؟ وكيف تؤدى الزكاة عنه؟ وهل يمكن اعتبار مبلغ الدين المعدوم من زكاة المال تيسيرا على المعسر؟ وكيف يتم التعامل مع الأدوية التي انتهت مدة صلاحيتها؟ فهل تتلف من الزكاة عند حساب النصاب؟.

أولاً: زكاة الصيدلية أو المستودع مثلها مثل زكاة غيرها من عروض التجارة، توزع زكاتها بعد مرور الحول، بعد أن يقوم التاجر بتقويم كل تجارته حسب سعر السوق

عدا الأصول الثابتة منها، مثل: المحل وأدوات المكاتب والبرادات والسيارة الخاصة المعدة للاستعمال أو للتوزيع، فهذه لا تجب فيها الزكاة. بعد ذلك ينظر فيما له من ديون مرجوة فيضمها لحساب الزكاة، وفيما عليه من ديون فيحسمها إن لم تكن هناك أموال أخرى غير زكوية تقابل هذا الدين، ثم يُخرج الزكاة بنسبة ربع العشر أي ٢.٥٪ بعد بلوغه النصاب على أساس السنة الهجرية و ٢.٥٧٧٥٪ على أساس السنة الميلادية، والنصاب يعدل قيمة خمسة وثمانين غراماً من الذهب.

يتم تحديد بداية الحول كيفياً، ثم يتم الالتزام به عند كل حول، فمثلا لو كان حول رأس المال في رمضان وفتحت الصيدلية أو المستودع في رجب فإن الحول باق على موعده وهو رمضان، قال ابن قدامة كذلك اذا اشترى عرضا للتجارة بنصاب من الأثمان أو باع عرضا بنصاب لم ينقطع الحول لأن الزكاة تجب في قيمة العروض لا في نفسها والقيمة هي الأثمان فكانا جنسا واحدا، وإذا قلنا إن الذهب والفضة لا يُضم أحدهما إلى صاحبه لم يبن حول أحدهما على حول الآخر لأنهما مالان لا يضم أحدهما إلى الآخر فلم يبن حوله على حوله كالجنسين من الماشية، وأما عروض التجارة فان حولها يبنى على حول الأثمان بكل حال[١].

ثانياً: إخراج الزكاة مقدماً (بمعنى إخراجها قبل حولان الحول) سواء أكانت في صورة دواء أو أموال سائلة على أن يتم حسم هذه الأموال أو قيمة الدواء من مبلغ الزكاة والحكم في ذلك.

---

[١] المغني لابن قدامة ج ٢ ص ٥٣٢.

أجاز أكثر أهل العلم تقديم الزكاة قبل الحول[1] بعد بلوغ المال النصاب إن كان في ذلك مصلحة إذا أخرجت على أنها زكاة، وإذا قدم رب المال زكاة حول فإنه لا يطالب بزكاة ذلك المال إلا بعد تمام الحول التالي.

ثالثاً: متى يعتبر الدين معدوما؟ وكيف تؤدى الزكاة عنه؟ وهل يمكن اعتبار مبلغ الدين المعدوم من زكاة المال تيسيرا على المعسر؟ وإن كان هناك أدوية قد انتهت مدة صلاحيتها وسوف تُتلف فكيف نتعامل معها في الزكاة عند اعتبار عند حساب النصاب.

إذا كان الدّين على مُوسر غير مماطل قُوِّم فيُحسب من المال الموجود ولو تأخر حولا أو أكثر، قال الدسوقي: وَأَمَّا لَوْ كَانَ الدَّيْنُ ثَمَنَ عَرْضِ تِجَارَةٍ لِمُدِيرٍ فَإِنَّهُ يَقُومُ وَيُزَكِّيهِ كُلَّ عَامٍ[2]، وقيل لا يطالب بزكاته حتى يقبضه فإذا قبضه أخرج زكاته عن كل حول، قال الزركشي: وَإِذَا كَانَ لَهُ دَيْنٌ عَلَى مَلِيءٍ فَلَيْسَ عَلَيْهِ زَكَاةٌ حَتَّى يَقْبِضَهُ، فَيُؤَدِّي لِمَا مَضَى، وَجُمْلَةُ ذَلِكَ أَنَّ الدَّيْنَ عَلَى ضَرْبَيْنِ، أَحَدُهُمَا، دَيْنٌ عَلَى مُعْتَرِفٍ بَاذِلٍ لَهُ، فَعَلَى صَاحِبِهِ زَكَاتُهُ، إلَّا أَنَّهُ لَا يَلْزَمُهُ إخْرَاجُهَا حَتَّى يَقْبِضَهُ، فَيُؤَدِّي لِمَا مَضَى[3].

أما إذا كان الدين على معسر أو مماطل أو معسر مماطل فهذا لا يحسب في الزكاة، فإذا قبض ولو بعد سنين عديدة زكي لسنة واحدة، أما إذا كان رأس المال لا يبلغ النصاب فإن الحول يبدأ عندما يبلغ مجموع ما في الصيدلية مما يُزكى نصابا، ويرى بعض أهل العلم منهم الإمام مالك أن المعتبر حول رأس المال ولو لم يبلغ النصاب،

---

[1] الحاوي للماوردي وج ٣ ص ١٥٩.
[2] حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج ٤ ص ٣٦٤.
[3] شرح الزركشي على مختصر الخرقي ج ١ ص ٣٩٨.

قال ابن قدامة أيضا: وَإِنْ اشْتَرَى لِلتِّجَارَةِ مَا لَيْسَ بِنِصَابٍ[1]، فَنَمَا حَتَّى صَارَ نِصَاباً، انْعَقَدَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ مِنْ حِينَ صَارَ نِصَاباً فِي قَوْلِ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

أما البضائع المنتهية الصلاحية التي لا قيمة لها فلا يجوز بيعها، ويجب إتلافها أو تسليمها للجهات المختصة لما فيها من الضرر على الناس، أما إذا كانت مضمونة القيمة؛ فالظاهر أنها تُقوّم بقيمته التقريبية والصيادلة أدرى بقيمتها.

المطلب الثاني: زكاة الأدوية تخرج من السلعة نفسها

الواجب هو إخراج النقود وليس الدواء، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ العروض في الصدقة من الدراهم، فدلّ على جواز أخذ القيمة في الزكاة والقيمة التي تخرج زكاة هي من قبيل المال، فأشبهت المال المنصوص على إخراجه زكاة[2]. وقيل يجوز إخراج زكاة العروض من عينها قال ابن قدامة: وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ مِنْ قِيمَةِ الْعُرُوضِ دُونَ عَيْنِهَا[3]. وَهَذَا أَحَدُ قَوْلَيْ الشَّافِعِيِّ. وَقَالَ فِي آخَرَ: هُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ الْإِخْرَاجِ مِنْ قِيمَتِهَا، وَبَيْنَ الْإِخْرَاجِ مِنْ عَيْنِهَا، لأَنَّهَا مَالٌ تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ، فَجَازَ إخْرَاجُهَا مِنْ عَيْنِهِ، كَسَائِرِ الأَمْوَالِ[4]، وعلى هذا القول يجوز دفع الزكاة أو بعضها دواء من باب إخراج الزكاة.

---

[1] المغني لابن قدامة ج٢ ص٦٣١.
[2] المجموع للنووي ج٥ ص٣٨٤.
[3] المرجع السابق.
[4] المغني لابن قدامة ج٢ ص٦٢٣.

المطلب الثالث: توزيع زكاة الأدوية

تقوم بعض الشركات بإرسال أدوية للمشافي، فهل تحسب من الزكاة مع أن الأدوية توزع للمسلم وغير المسلم؟

أولا: اختلف العلماء في حكم دفع الزكاة لغير المسلمين من الفقراء والمساكين والغارمين وابن السبيل، وذلك على قولين:

القول الأول: ذهب جماهير العلماء إلى عدم جواز دفع الزكاة الواجبة لغير المسلمين، وأن من دفع زكاته لكافر لم تجزئه، وبقيت في ذمته لمستحقيها المسلمين من مصارف الزكاة، ونقل بعض أهل العلم الإجماع على ذلك.

يقول ابن قدامة رحمه الله: "لا نعلم بين أهل العلم خلافا في أن زكاة الأموال لا تعطى لكافر ولا لمملوك[1]، والدليل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال له: (أَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)[2]؛ فقوله (فقرائهم) أي فقراء المسلمين.

القول الثاني: يجوز دفع الزكاة الواجبة لمستحقيها من غير المسلمين، وتجزئ مَن أخرجها على هذا الوجه وهو مذهب الزهري، وابن سيرين، وزفر من الحنفية.

" قال الزهري، وابن سيرين: يجوز دفعها إلى المشركين[3]. واستدلوا على ذلك ببعض الأدلة:

---

[1] المغني لابن قدامة ح٢ ص٤٨٧.

[2] أخرجه البخاري (١٣٩٥) ج٣ ص٥٠٥.

[3] البيان في مذهب الشافعي ج٣ ص٤٤١.

الدليل الأول: عن جابر بن زيد[1]، سئل عن الصدقة فيمن توضع؟ فقال: في أهل المسكنة من المسلمين وأهل ذمتهم، وقال: (وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في أهل الذمة من الصدقة والخمس)[2].

الدليل الثاني: قال: حدثنا أبو معاوية، عن عمر بن نافع، عن أبي بكر العبسي، عن عمر، في قوله تعالى: إنما الصدقات للفقراء (التوبة: ٦٠)، قال: هم زمنى أهل الكتاب[3]. وهناك أثر بسياق أطول فيه إنصاف عمر لليهودي الذمي وقوله له: (مَا أَنْصَفْنَاهُ أَن أكلنَا شيبته ثُمَّ نَخْذُلُهُ عِنْدَ الْهَرَمِ)[4].

الدليل الثالث: يقول السرخسي الحنفي رحمه الله، " لا يعطى من الزكاة كافر إلا عند زفر رحمه الله، فإنه يُجَوِّز دفعها إلى الذمي، وهو القياس؛ لأن المقصود إغناء الفقير المحتاج على طريق التقرب، وقد حصل[5].

والراجح ما ذهب إليه جمهور العلماء من فقهاء المذاهب المعتمدة، لسلامة استدلالهم بالحديث النبوي الشريف، وضعف أدلة القول الثاني، وهو الأحوط

---

[1] جابر بن زيد الأزدي أبو الشعثاء البصري، تابعي، ثقة، كان من أعلم الناس بكتاب الله،، تهذيب التهذيب ج ٢ص ٣٨.

[2] أخرجه ابن أبي شيبة في " المصنف ج ٢ ص ٤٠٢، وهذا إسناد صحيح، ولكنه مرسل، فجابر بن زيد من الطبقة الوسطى من التابعين، توفي سنة (٩٣ه)، ولا تعرف الواسطة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم.

[3] أخرجه ابن أبي شيبة في " المصنف ج ٤ص ٢٨٨.

[4] أخرجه أبو يوسف في " الخراج " ص ١٣٩. ولكنه إسناد ضعيف، قال الذهبي رحمه الله: " أبو بكر العبسي عن عمر: مجهول " انتهى من " ميزان الاعتدال " ج ٤ ص ٤٩٩، وانظر: " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم ج ٩ ص ٣٤١.

[5] المبسوط" ج ٢ص ٢٠٢.

والأبرأ للذمة، كما أنه السلوك العملي للفقهاء عبر التاريخ الإسلامي، والفتوى المعتمدة لديهم.

ثانيا: إذا صادف الزمان خلو المسلمين من مستحقي الزكاة جاز دفعها لغير المسلمين، عملا بالقول الثاني الوارد عن العلماء، فحينئذ الميسور لا يسقط بالمعسور، فإذا تعسر إيجاد مسلم مستحق للزكاة دفعت لمن تيسر وجوده من غير المسلمين، كما أن حال الاضطرار يختلف عن حال السعة، وعن مجاهد، قال: "لا تصدق على يهودي ولا نصراني إلا أن لا تجد غيره"[1].

يرى الباحث في موضوع زكاة الأدوية، أنه لا حرج لو أعطي المريض غير المسلم في المشفى من تلك الأدوية إذ الحاجة الماسة لذلك الدواء تنقذ حياته، ولربما لا توجد خارج المشفى، مع وجود قول بالجواز تكون دعوة إلى الله من باب المؤلفة قلوبهم، لذلك قد تؤثر في المشرك وتدله على رحمة الإسلام،كما أن هناك منظمات دولية توزع الأدوية للمشافي والمراكز الطبية دون تفريق بالدين أو العرق كالهلال الأحمر، والصليب الأحمر، واليونسيف).

إذا الزكاة تنهض بالمجتمع وتقضي على الفقر وعلى البطالة معاً، وتنعش الفقير وتحمي الغني، فبالزكاة يكتفي الناس فلا يفكر الفقير بسرقة مال الغني، ويفرح الفقير فيصل حد الكفاف، خاصة أن زكاة الأدوية هي بلسم لآلام المريض الفقير، الذي لا يجد ثمن دوائه، فالخير كل الخير في الزكاة.

---

[1] أخرجه ابن أبي شيبة في " المصنف ج ٢ ص ٤٠١.

المبحث الثاني
الربا في الأدوية وحكم بيع الأدوية الفاسدة ومجهولة الهوية

إن لهذا البحث أهمية كبيرة، لما له من دلالة على تعظيم حرمة الربا، فالأدوية هي من الأموال التي يدخل فيها الربا لأنها تصلح الجسم قياساً على الملح الذي يصلح الطعام. ولابد للمسلم التنبه لذلك حفاظاً على سلامة دينه وسلامة ماله من التلوث بالربا. ولابد للصيدلاني ومن عمل في مجال الأدوية التفقه في موضوع الربا جيداً، ليبتعد عن الربا وحتى عن غباره. ويجب التنبه أيضا للبيع الفاسد في الأدوية من قبل شركات الأدوية والصيدليات، لما فيه خطر كبير على الفرد والمجتمع، فالدواء بمعاييره الطبية علاج فعال، فان اختلف أو تم التلاعب بمعاييره فسد وأصبح مادة سامة قد تكون قاتلة للمريض، لذلك يترتب على ذلك أحكام شرعية منها دية الشخص الذي مات بسبب الدواء، وما يترتب عليه من صيام وغير ذلك.

المطلب الأول: الدواء قياسا على الملح هو ربوي

الأدوية كغيرها من السلع قيست على الملح لذلك يدخل فيها بيع الربا، فقد أجمع العلماء على أن الأموال الربوية المذكورة في الحديث الشريف هي ستة؛ الذهب والفضة والتمر والبر والشعير والملح، وذهب العلماء لتصنيفها بناء على علتها من ثمنيات ومطعومات وما يصلح.

فلو باع الصيدلي أدوية بغيرها أي بمثلها مع زيادة فالبيع ربوي، خاصة إذا اقترب تاريخ انتهاء صلاحية أحدهما ويسمى ذلك (ربا الفضل) وكثيراً ما تعقد صفقات بيع أدوية بقي في صلاحيتها مدة ما، فيبيعون مثلا ألفي قطعة بألف قطعة تاريخ الانتهاء بعد سنتين وهذا بيع ربوي. وعلة ربا الفضل أو الضابط الذي تعرف به الأموال الربوية: هي الكيل أو الوزن مع اتحاد الجنس، فعند اجتماعهما: يحرم الفضل[1] أي أن العلة في الأشياء الأربعة المنصوص عليها (البر والشعير والتمر والملح).

كما يقع المتبايعان في ربا النسيئة إذا أخّر تسليم أحد البدلين، كأن يقول له الآن هي في المستودع يستلم الصنف غير كامل ويقول له عد بعد قليل أو في يوم آخر وهذا عين ربا النسيئة.

المطلب الثاني: البيع الفاسد في الأدوية

إن أحد صور البيع الفاسد هو بيع بضاعة من شركة أدوية بنوعيات معلومة وأعداد معلومة، ثم يقوم المشتري ببيعها لآخر قبل استلامها، وهذه صورة بيع الشيء المملوك قبل قبضه، لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تبع ما ليس عندك). وقال الحنفية: لا يجوز التصرف في المبيع المنقول قبل القبض؛ وقد نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن بيع فيه غرر[2]، والنهي يوجب فساد المنهي عنه، ولأنه بيع فيه

[1] البدائع ج٥ ص١٨٣.
[2] فتح القدير ج٤ ص١٩٣.

غرر كان الانفساخ بهلاك المعقود عليه، أي أنه يحتمل الهلاك؛ فلا يدري المشتري، هل يبقى المبيع؟ أو يهلك قبل القبض؟ فيبطل البيع الأول وينفسخ الثاني.

المطلب الثاني: الأدوية المجهولة الهوية وأحكام التعامل بها

الأدوية المزيفة أو المغشوشة هي التي تحمل علامات أو مصادر مضللة أو مجهولة الهوية، ويمكن تزييف أي منتج سواء بذات العلامات التجارية الأصلية أو المزيفة، وتشمل المنتجات التي تحوي على:

- منتجات ذات مواد فعالة صحيحة أو غير صحيحة.
- تحوي على المواد الفاعلة بمستويات غير كافية والتي لا تفي بالغرض.
- عبوات مزيفة وغير أصلية.
- تخلو من المواد الفعالة[١].

المنتجات الطبية المتدنية النوعية والمزورة والمغشوشة والمزيفة

المنتجات الطبية المتدنية النوعية سواء كانت مزورة أو مغشوشة أو مزيفة هي منتجات يصعب كشفها بحكم طبيعتها. وفي أغلب الأحيان تكون مصممة بحيث تبدو مطابقة للمنتج الأصلي، وربما لا تتسبب في تفاعل ضار وواضح، لكنها تفشل غالباً في العلاج السليم للمرض أو الاعتلال الذي صُنعت من أجله.

هناك تقديرات عديدة لنطاق وحجم السوق فيما يتعلق بالمنتجات الطبية المتدنية النوعية، ولكن البينات المجازة التي تدعم تلك التقديرات قليلة. فقد قامت منظمة

[١] موقع الاتحاد الدولي ل انيميا البحر المتوسط (التلاسيميا) TIF EDUCATION العقاقير وسلامتها رابط المقال

... عام ٢٠١٣ بتدشين نظام عالمي للترصد والرصد بهدف تشجيع الدول الأعضاء على الإبلاغ عن الأحداث الخاصة بالمنتجات الطبية المتدنية النوعية في نسق منتظم، وبهيكلية خاصة، للمساعدة على إجراء تقدير أدق ومجاز لنطاق والضرر الناجم عنها. وقد تم الإبلاغ فعلا عن أكثر من ٩٢٠ منتجاً طبياً يمثل فئات العلاج الرئيسية ويمثل الأدوية الجنسية والابتكارية على السواء.

محتويات المنتجات الطبية المتدنية النوعية

قد لا تحتوي المنتجات الطبية المغشوشة على أي مكون فعال، أو قد تحتوي على مكون فعال خاطئ، أو على مقدار غير صحيح من المكون الفعال. فمثلا قد يشيع أن تحتوي مثل هذه المنتجات على نشاء الذرة أو نشاء البطاطس أو حتى الطباشير. وبعض المنتجات الطبية المتدنية النوعية ذات طابع سام، تنطوي على مستويات قاتلة من المكونات الفعالة الخاطئة أو المواد الكيميائية السامة الأخرى.

تُنتج المنتجات الطبية المتدنية النوعية في ظروف رديئة جداً، وينتجها عاملون غير مؤهلين، وتحتوي على شوائب غير معروفة وملوثة بالجراثيم أحياناً. وقد تكون بعض هذه المنتجات مطابقة في شكلها تقريباً للمنتج الأصلي، مما يجعل كشفها صعب للغاية. ومع ذلك يمكن التعرف على بعضها من خلال ما يلي:

- فحص التغليف للتعرف على ظروف الإنتاج أو كشف الأخطاء الإملائية أو اللغوية.
- التحقق من الصنع وتواريخ انتهاء الصلاحية والتثبت من أن أية تفاصيل على التغليف الخارجي تتناسب مع التواريخ المبينة على التغليف الخارجي.

- التحقق من أن شكل الدواء سليم، ولم يفقد لونه أو يفسد أو لم تصبح رائحته غير عادية.
- المناقشة مع الصيدلاني أو الطبيب الذي تتعامل معه بأسرع ما يمكن إذا كنتم تشتبهون في أنه لا يعمل على النحو الملائم، أو إذا كنتم عانيتم من تفاعل ضار.
- إن مواقع الإنترنت غير الخاضعة للتنظيم تعرض أدوية، تخفي عنوان الشركة المنتجة، وعادة ما تكون مصدراً للمنتجات غير المرخصة. وينبغي أن يتوخى المستهلكون الحذر إزاء النقاط التالية:
  - التسويق عبر البريد الإلكتروني غير المرغوب الذي يعلن عن الأدوية.
  - انعدام الموثوقية، وعدم التحقق من الشعار أو الشهادة.
  - الأخطاء الإملائية وضعف استعمال قواعد اللغة على التغليف.
  - مواقع الإنترنت التي لا تعرض العنوان المادي أو رقم الهاتف الأرضي.
  - مواقع الإنترنت التي تعرض بيع وصفات الأدوية التي لا تصرف إلا بوصفة دوائية.
  - المنتجات الرخيصة إلى حد يثير الشكوك.
  - القائمة المرجعية للأدوية التي تباع على الإنترنت، وهل هذا هو الدواء الموصوف بالضبط؟ أو هل هذه هي الجرعة الصحيحة؟ وهل تم التغليف في ظروف جيدة ونظيفة مع وجود نشرة معلومات للمرضى باللغة التي تم الإعلان بها عن المنتج؟

- هل يعلن الإقرار الجمركي أو علامة التوسيم البريدية أن المنتج عبارة عن دواء؟
- هل يبدو المنتج على النحو الذي ينبغي له ويعطي الملمس والرائحة اللذين ينبغيان له؟
- هل رقم التشغيلة وتاريخ انتهاء الصلاحية على التغليف الداخلي الرئيسي يتناسبان مع رقم التشغيلة وتاريخ انتهاء الصلاحية على التغليف الثانوي (الخارجي) ؟

أحكام التعامل بالأدوية المغشوشة المهربة في الشرع

بداية لابد من التنويه على أمر وهو أن الأدوية المغشوشة المهربة يتاجر بها من قبل الشركات غير المعترف بها في أي دولة، أي غير مرخصة وترسل لغرضين:

أولا: وهو الغرض الأكبر، وهو الربح والجشع المادي وهذا الأول يحدث ضرراً بالغا في المريض ولربما يصل إلى الموت لأن أي تلاعب بالتركيب الدوائي يوصل بالدواء إلى السمية القاتلة.

ثانيا: وهو موجود ومن ورائه خبث وحقد على بلاد العرب والمسلمين بإرسال أدوية مجهولة وبأسعار زهيدة الغرض منها الفتك بالناس بأمراض سرطانية أو صرع وغيره.

لقد جاء الدين الإسلامي بأحكام وآداب لضبط معاملات المسلمين، ولكنْ في عصرنا الحاضر كُثرتْ وتنوّعتْ المعاملات غير المشروعة بين المسلمين، فانتشر الحرام عند بعضهم بسبب بعدهم عن الدين وتعاليمه وآدابه، ومن هذه المعاملات معاملة البيع المغشوش.

فما معنى البيع المغشوش؟ وما أقسامه؟ وما حِكْمَة تحريمه؟ وما حُكْمُهُ في التشريع؟

أجمع الفقهاء في المذاهب الأربعة على المعنى العام للبيع بأنه: (مبادلة مال بمال) لكنْ تزيد بعض المعاني إما شرطاً كالتراضي، وإما مزيدَ إيضاح بذكر ما يدخل في المعنى وما يخرج منه.

والغِش: هو تغيير الشيء عن طبيعته بزيادةٍ أو نقصٍ، على وجه استغلال الغير وخداعه. وبهذا التغيير، فإنّ الغَشّاش يُخرجُ الشيء عن طبيعته المعهودة، التي يعلمها الناس، وكذلك يكون قد أخرج المبيع المعلوم الصفات إلى دائرة المجهول الصفات، بسبب عدم معرفة قدر الغش فيه، أمّا لو عُلِمَ مقدار الغش فيه، فالظاهر أنّ المشتري يكون على بينة ويصبح عالماً بالمبيع إجمالياً. ويقول الفقهاء عن ضابط الغِش المنهي عنه: (أنْ يكون في المبيع وصفٌ لو اطلع عليه المشتري لم يرغب فيه بذلك الثمن).

قسم الفقهاء الغِش إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الغِش المنضبط: وهو الذي تكون نسبة الغِش والخَلْط فيه معروفة، أو تُعرف نسبة المنزوع منه، أو نسبة الإضافة إليه من المواد.

الثاني: الغِش غير المنضبط: وهو الذي تكون نسبة الغِش فيه غير معروفة، مما يؤدي إلى الجهل بالشيء المبيع.

الثالث: ما يكون بين المنضبط وعدمه: وهو تغشيش الأصل فينتج منه ما يشبه الطبيعي من حيث مَخْرجه، ولكنه يشبه المغشوش من حيث تركيبه، وليس له

مواصفات الحقيقي الذي يحرص عليه الناس، فهذا الغِش يكون ما بين المنضبط وعدمه، لأنه لا يمكن ضبط كمية الغِش فيه.

وهذا النوع ما يدور الحديث عليه فلقد نهى الإسلام عن الغِش في المبيعات والمعاملات، لأنه يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل فقال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل (النساء: ٢٩)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ غشّ فليسَ منّي)**[1].

وأجمع العلماء القدامى والمعاصرون على أنّ الغِشّ حرام، وقالوا: هو كبيرة من الكبائر الْكَبِيرَةُ الثَّالِثَةُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ الْغِشُّ فِي الْبَيْعِ وَغَيْرِهِ كَالتَّصْرِيَةِ[2].

أما الغرض الثاني؛ فمن ورائه خبث وحقد على بلاد العرب والمسلمين بإرسال أدوية مجهولة وبأسعار زهيدة الغرض منها الفتك بالناس بأمراض سرطانية أو صرع وغيره مع أن وزارة الصحة حذرت وتوعدت المستودعات والصيادلة من شرائه وبيعه؛ فإنه ما زال يباع ويشترى والطامة الكبرى أن بعض الأطباء يكتبونه في وصفتهم للمريض كدواء اسمه (ريليف) وهو مسكن يؤدي إلى الصرع وقد عُمم أيضا عن طريق وزارة الصحة مع وزارة الأوقاف للخطباء بتوعية الناس على هذا الصنف وخطورته وما زال الكثير من الصيادلة يبيعونه ضاربين الحكم القانوني والشرعي عرض الحائط.

ولئن كان الدواء الوطني هو الأجود والأرخص ويغطي حاجة ٩٠٪ من الأسواق ويصدّر إلى نحو ٥٠ دولة عالمية، فإن هناك مشكلة قائمة في الرقابة على الأسواق

[1] أخرجه مسلم، سبق تخريجه.
[2] حاشية الشبراملسي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج،ج ١٧.ص٢٠٤.

الهامشية غير المنظّمة لعصابات الدواء التي تستغل شبكات الفضائيات وقوانين التجارة وحاجات المرضى لتحصد الأموال الضخمة.

والأمثلة كثيرة عن الأدوية المزوّرة التي تصنّع محلياً أو تهرّب من الدول المجاورة لا سيما لبنان والعراق، فبعضها منتهي الصلاحية وبعضها ماركات مزوّرة ومنها "فياغرا" وطنية وشامبو ومواد تجميل لماركات معروفة مثل "دوف" و"بانتين" و"هامول".

والأخطر من ذلك الأدوية العشبية التي يروّج لها عبر الفضائيات لتشفي الأمراض المستعصية، حيث وصل ثمن كبسولة واحدة ضد السرطان إلى ٥٠ ألف ليرة.

وهناك قصص واقعية وأخبار صحفية وعلى مواقع الإنترنت تكشف عن أدوية عشبية لمرض السكري والبهاق والصدف بلا مفعول[١].

ووصلت حالات الغش والتدجيل بالأدوية العشبية إلى لجوء المحتالين إلى طحن الأدوية الكيميائية المعروفة ووضعها على شكل مستحضر عشبي فعّال.

ومما يساعد على انتشار هذه الظاهرة هو اشتغال غير المختصين بمهنة الصيدلة، حيث يؤجّر بعض الصيادلة شهادتهم من أجل الكسب المادي دون معرفة الآثار الخطيرة للتعامل مع الدواء، خصوصاً إذا كان الربح مغرياً جداً للسلع المهرّبة أو للأدوية العشبية الكاذبة ذات الأسعار الباهظة جداً.

---

[١] من إحدى هذه القصص:

- حدثت في مشفى خاص، تتعلق بسيدة تناولت دواء ليثبّت الحمل وتبين أنه غير فعّال بعد تحليله، وعندما سُئل الصيدلي عن هذا الدواء، أجاب: المهرّب هو الذي جلبه ولست أنا؟!
- هناك دواء مسكّن اسمه "ريليف" دخل إلى الصيدليات بشكل غير نظامي وتبيّن أن له آثاراً جانبية خطيرة، فتمّت مصادرته وسحبه من الصيدليات لكن ظل يُباع في البسطات بلا رقيب ولا حسيب.

إذاً الربا والغش مدمران للإنسان المسلم، ودمار للأسرة التي قد تخسر معيلها، ودمار للمجتمع لأنه سيتفكك، لذلك يجب التحذير منه، حتى لا يقع المعمل أو الشركة أو الصيدلاني في ذلك، وليس البيع الفاسد بأقل خطورة، لأنه يفتك بالناس ويترتب على ذلك أمور كثيرة لا تحمد عقباها.

المبحث الثالث
الضرر الحاصل من المنتجات التجميلية على الجسم

ينتشر اليوم استخدام مستحضرات التجميل انتشاراً واسعاً جداً، سواء أكان بغرض الزينة للنساء، أم لإخفاء بعض عيوب البشرة عند النساء والرجال على السواء، فأصبحت اليوم مادة مطلوبة في السوق بصورة لا تصدق، وقد جعلتها النساء مقدمة على الضروريات والحاجيات والحسينيات للأسف، لأنه أصبح شغلها الشاغل، فلقد كانت الزينة في العصر الأول بكحل وعطر واستحمام ومخصصة للزوج فقط، أي في بيت الزوج، أما اليوم أصبح المكياج أغلبه للشارع وللناس.

تتجسد مضار مستحضرات التجميل في المخالفات التالية:

١. التركيز على تاريخي الصنع وانتهاء الصلاحية، وطبيعة المكونات لتحري ما إذا كانت مناسبة للبشرة أم لا؟

٢. اجتناب المستحضرات الحاوية على مواد تفتيح البشرة، لأثرها السيء لاحقاً.

٣. تجنب المستحضرات المحضرة على شكل مساحيق كونها تعمل على انسداد مسام البشرة مباشرة.

٤. اعتماد المصادر الموثوقة واجتناب المستحضرات المجهولة المصدر.

٥. اجتناب صباغة الشعر قدر الإمكان، لتسببها لاحقا بالسرطانات، فغالباً ما تكون الأصبغة من النوع الكاتيوني.

المكونات المعدنية الأكثر سمية في مستحضرات التجميل:

- **الرصاص**: يسبب تراكم الرصاص على البشرة ومن ثم امتصاصه للإصابة بالتسمم الرصاصي الذي يؤدي لضعف الذاكرة وبعض الآلام العضلية، وإجهاض الحوامل وما يلحق الجنين من أذى في حال عدم الإجهاض.
- **الزرنيخ**: يدخل في تركيب بعض أنواع مستحضرات تجميل العينين ومسحوق الأساس، ويؤدي امتصاص الجسم له لآلام مبرحة في البطن وللسكتة الدماغية.
- **الزئبق**: كثيراً ما يدخل في تركيب مستحضرات تجميل العينين، وبخاصة الماسكرا، ويؤدي تراكمه في الجسم لتضرر الدماغ والقلب والرئة على السواء، وللفشل الكلوي وضعف جهاز المناعة، وللصداع والطفح الجلدي وتراجع الرؤية.
- **الألمنيوم**: كثيراً ما يدخل في تركيب مضادات العرق على شكل شب الألمنيوم والبوتاسيوم، مؤديا لانسداد مسامات تحت الإبط، ويرجع الكثير من الأطباء السبب الرئيس لسرطان الثدي لهذه المستحضرات تحديداً، ويؤدي امتصاص الجسم لعنصر الألمنيوم عملياً للصداع المستمر وتراجع الذاكرة ولآلام العظام.
- **الكادميوم**: ركزت الدراسات التي أجريت على هذا المعدن في تأثيره السلبي على أداء الكلى، وأمراض العظام والسرطان، ووصل معظم البحاثة إلى أنّ الكادميوم يصبح ساماً حتى بأقل تراكيزه المعتمدة حتى من منظمة الصحة العالمية، وبخاصة أنهم وجدوه كمكون في أرقى منتجات التجميل العالمية.
- **مسحوق التالك**: للتالك صيغة معقدة باعتباره عرقاً أرضياً كباقي الخامات، وصيغته المعتمدة تقريباً على أساس أنه سيليكات المغنيزيوم المائية، وغالباً ما

يرافقه الأسبستوس المسرطن المعروف، ويدخل في تركيب مساحيق المكياج وأحمر الوجنتين وبودرة الأطفال ومضادات التعرق ومنتجات النظافة النسائية ومسحوق ظلال العيون وأحمر الشفاه، لذا فقد ربطت الكثير من الدراسات بين التالك وسرطان المبيض.

والحكم الشرعي في كل ذلك، ضرورة ابتعاد المسلم عن كل شبهة، وأن تكتفي المرأة بالتزين بما أباحه الله لها، وبالزينة التي لا تضر، فجسدها أمانة الله عندها؛ فإن أخلت بحفظ الأمانة حوسبت. ولا يخفى على كل مسلم تحريم التزين والتعطر والخروج خارج المنزل؛ فهذا من التبرج الذي نهى عنه الله بقوله: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وبالحديث الشريف: (**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية**)[1].

[1] أخرجه ابن حبان في صحيحه، ج ١٠ ص ٢٧٠.

المبحث الرابع
تصنيع المواد المخدرة وكيفية بيعها وأحكام التلاعب بها

تعدّ المخدرات آفة اجتماعية خطيرة، رافقت البشرية منذ القدم وتطورت بتطوره حتى أصبحت من أبرز الظواهر الاجتماعية الراهنة وإحدى مشكلاتها المعاصرة، كما بدأت تقلق المجتمع العالمي بكافة فئاته واتجاهاته وتقضُ مضجعه وتهدد حضاراته وتسبب له الحيرة والارتباك في وقف هذا السيل الجارف من الويلات والآلام التي تجتاح المجتمعات البشرية النامية والمتطورة على حدّ سواء.

رغم خطورة تعاطي المخدرات داخل أيّ مجتمعٍ من المجتمعات وما تتركه من آثارٍ نفسيةٍ واجتماعيةٍ واقتصاديةٍ مدمرةٍ على الفرد والمجتمع، إلا أنها أصبحت تؤرق جميع المهتمين بها في المجتمع كالقيادات الأمنية التي لها تماس مباشر مع مثل هذه الآفة الخطيرة، وكذلك علماء الاجتماع وعلماء النفس ورجال الدين، من أجل احتوائها والحدّ من مخاطرها.

إلا أن ما يهم في هذا البحث الوقوف على أهم الأسباب المؤدية لتعاطي المخدرات، حيثُ إن فهمنا الصحيح للأسباب يقودنا للتعرف على الآثار الاجتماعية والاقتصادية لتعاطي المخدرات لما لها من نتائج خطيرة على الأفراد والأسرة والمجتمع مما يتطلبُ من الباحثين والدراسين والعاملين في الحقل الاجتماعي على وجه التحديد بذل المزيد من الجهود في سبيل معالجة الظاهرة والتقليل من مخاطرها الكامنة والظاهرة.

تعتبر مشكلة تعاطي المخدرات من المشكلات التي تؤثر في بناء المجتمع وأفراده لما يترتبُ عليها من أثارٍ اجتماعية واقتصادية سيئةٍ تؤثر على الفرد والمجتمع، كما أنها ظاهرة اجتماعية مرَضيةً تدفع إليها عوامل عديدة بعضها يتعلق بالفرد والبعض الآخر بالأسرة والثالث بالبناء الاجتماعي ككل ممّا يشكل تهديداً لكيان المجتمع، ويساهم في عرقلة البناء الاجتماعي والتنمية الاقتصادية.

تعريف المخدرات: يختلف تعريف المخدرات باختلاف النظرة إليها، ولا يوجد تعريفٍ موحد أو متفق عليه للمخدرات، ويمكن تعريف المخدرات من الجوانب التالية:

لغة: المخدر في اللغة اسم فاعل مشتقٌ من الفعلِ خدر، ويدور لفظ الخدر حول معاني الضعف والكسل والفتور أو الستر. (هلال، ١٩٩٩م: ص ٢٣) فيقال المرأة خدّرها أهلها بمعنى ستروها وصانوها من الامتهان، أيّ أن الخدر هو ما يسترُ الجهاز العصبي عن فعله ونشاطه المعتاد[١].

اصطلاحاً: هي كلُ ما يؤثرُ على العقلِ فتخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة العاقلة، ويترتب على الاستمرار في تعاطيها الإدمان فيصبحُ الشخص أسيراً لها. في تعريفٍ آخر تعرف بأنها المواد التي تخدر الإنسان، وتفقد وعيه، وتغيبه عن إدراكه[٢].

---

[١] الفيروز آبادي، مجد الدين. القاموس المحيط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ١. ١٤١٢ه ص ٤٤

[٢] الدمرادش، عادل. الإدمان مظاهره وعلاجه. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ١٩٩٣م، ص ١٠.

علمياً: المخدر هو مادة كيمائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعي المصحوب بتسكين الألم، وهي ترجمة لكلمة (Narcotic.) المشتقة من الإغريقية (Narcosis) التي تعني يخدر أو يجعله مخدراً.

قانونياً: يطلق لفظ المخدرات قانوناً على مجموعة من المواد التي تسبب الإدمان وتسمم الجهاز العصبي، ويحظر تداولها أو زراعتها، أو صنعها إلا لأغراض يحددها القانون ولا تستعمل إلا بواسطةِ من يرخص له ذلك[1].

أما التعريف الإجرائي للمخدرات: فهو مخدر الهيروين الذي يؤثر بدخوله جسم الإنسان على وظيفةٍ أو أكثر من وظائفه بشكلٍ سلبي، فضلاً عما يحدثه من خللٍ في كيمياء الجسم[2].

أقوال العلماء في بيع المخدرات

اختلف العلماء في ذلك؛ فقيل: يجوز بيعها على من يشتريها لغير الأكل والشرب، فقالو يجوز بيع ما سوى الخمرة من الأشربة المحرمة، كالسكر، ونقيع الزبيب وهي رأي أبي حنيفة[3]، ومذهب المالكية جواز بيع هذه الأشياء من الأفيون، والبنج، والجوزة، ونحوها، ولم أر فيه نصاً صريحاً، والظاهر أن يقال في ذلك ما قاله ابن رشد في المذر: (هو شراب من نقيع الحبوب الشعير)، على القول بحرمة أكله، وإن كان فيه منفعة غير الأكل جاز بيعه ممن يصرفه في غير الأكل، ويؤمن أن يبيعه

---

[1] محمد هلال، ناجي. إدمان المخدرات رؤية علمية واجتماعية. القاهرة: دار المعارف. ١٩٩٩م، ص ٥٢.

[2] مشاقبة، محمد أحمد. الإدمان على المخدرات الإرشاد والعلاج النفسي. عمان: دار الشروق. ط ١. ٢٠٠٧م، ص ٢١.

[3] بدائع الصنائع ج ٥ ص ١٤٤.

ممن يأكله، وكذلك يقال في سائر المعاجين المغيبة للعقل، ويجوز بيع ذلك لمن لا يستعمل منه القدر المغيب للعقل، ويؤمن أن يبيعه ممن يستعمل ذلك[1].

قال إبراهيم اللقاني في بيان هل يجوز بيع شيء من الأفيون، والبنج، وجوزة الطيب، والمعاجين التي تغيب العقل بلا نشأة؟، والحق ما ذكره بعض المتأخرين، من أن الظاهر جواز بيعها لمن لا يستعمل منها القدر المغيب للعقل، ويؤمن أن يبيعه لمن يستعمل ذلك، أخذاً من مسألة بيع الدرهم المغشوش لمن يكسره، أو يبقيه، ولا يغش به، ومن قول ابن رشد في البيض المذر على القول بحرمة أكله إن كان فيه منفعة غير أكله، يجوز بيعه ممن يصرفه في غير أكله، ويؤمن بيعه لمن يأكله"[2].

وأجاز الشافعية بيع الأفيون قال النووي في المجموع: "قال أصحابنا: السم إن كان يقتل كثيره، وينفع قليله كالسقمونيا، والأفيون، جاز بيعه بلا خلاف، وإن قتل قليله وكثيره، فالمذهب بطلان بيعه، وبه قطع الجمهور، ومال إمام الحرمين ووالده إلى الجواز، ليدس في طعام الكافر[3]. وقالوا لا يحرم أكل قليل الحشيش، والبنج، والأفيون، وجوز الطيب؛ لأنه طاهر لا ضرر فيه، وقد صرح بجواز أكل قليل هذه الأشياء القرافي في القواعد، وقال النووي في شرح المهذب بجواز أكل قليل الحشيش، ونقله عن المتولي، قال النووي في المجموع ولا دلالة ظاهرة في الآية؛ لأن الرجس لغة القذر ولا يلزم منه النجاسة ولا من الأمر بالاجتناب انتهى وقد يجاب بأن الأدلة الشرعية جارية على العرف الشرعي، والرجس فيه هو النجس[4].

---

[1] مواهب الجليل ج ١ ص ٩٠.
[2] فتح العلي المالك ج ١ ص ١٢٥.
[3] النووي في المجموع ج ٩ ص.٣٠٧
[4] أسنى المطالب ج ١، ص ٩.

واستثنى ابن نجيم[1] من الحنفية الحشيشة، وذلك لقيام المعصية بذاتها.

وقيل: لا يجوز بيعها مطلقاً.

وهو رأي أبي يوسف، ومحمد بن الحسن من الحنفية[2]، وأبي إسحاق الشيرازي، والزركشي من الشافعية[3]، وهو مذهب الحنابلة[4].

وسبب اختلافهم في بيعها راجع لاختلافهم في مسألتين:

الأولى: اختلافهم في طهارتها، فمن رأى طهارتها، وجواز أكل القليل منها مما لا يذهب العقل ولا يحدث ضرراً بالبدن، أو رأى الانتفاع بها في غير الأكل أجاز بيعها.

ومن ذهب إلى نجاستها كالحنابلة، ومنهم ابن تيمية، حرم بيعها، وحرم التداوي بها، وحرم أكل القليل منها مما لا يسكر.

الثانية: اختلافهم في المخدرات هل هي مسكرة، فيحرم القليل منها، ولو لم تذهب العقل، أو أنها غير مسكرة.

فمنهم من رأى أنها مسكرة كابن تيمية.

ومنهم من لم ير أنها مسكرة، وإن أذهبت العقل دون الحواس؛ لأن المسكر يحدث نوعاً من النشوة والطرب بخلاف المخدر فإن متناولها لا يحدث معه شيء من ذلك.

---

[1] زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الشهير بابن نجيم: فقيه حنفي، من العلماء. مصري. له تصانيف، منها (الاشباه والنظائر - ط) في أصول الفقه الاعلام للزركشي ج ٣ ص ٦٤.

[2] بدائع الصنائع ج ٥ ص ١٤٤.

[3] انظر أسنى المطالب ج ١ ص ١٠.

[4] الإنصاف ج ١ ص ٣٢٠.

ولذلك ذكر القرافي أن هناك ثلاثة فروق بين المخدر والمسكر فتنفرد المسكرات عن المخدرات بثلاثة أحكام: الحد والنجاسة وتحريم اليسير بخلاف المخدر فلا حد فيه، وإنما فيه التعزير، وهو طاهر العين، ولا يحرم اليسير منه.

ولعل اختلافهم كان في السابق قبل أن يكشف العلم أنها تسبب الإدمان.

وأنها أخطر بكثير من المسكرات، وأنها خراب للعقول، والأبدان، والبيوت، ولو اطلع الفقهاء المتقدمون على خطورتها لجزموا بتحريمها مطلقاً، ولا يؤخذ من طهارتها جواز بيعها، فهناك أمور كثيرة محرمة، وهي طاهرة العين[١].

وهنا لابد أن يقال أن المعمل المصنع لهذه الأدوية المخدرة أولا هو مسؤول أمام الله وأمام وزارة الصحة، هل يُنتج كامل الحصة الموزعة له من مادة أولية أم أنه يُهرب منها لسوق المخدرات عندها تكون جريمة أخلاقية بحق الناس لأن إعانة المتعاطي على المخدرات قاتل يقتل هذه الإنسان ببطء.

وإذا صَنّعَ المعمل كامل حصته هل تباع هذه الأصناف إلى الوكلاء بجدية وضمن ضوابط وزارة الصحة أم هناك بيع مسرب من دون دفتر (بون) يختم من قبل الوكيل ونفس المسؤولية تقع علة المستودع الوكيل هل توزع للصيدلاني بختم أم لا؟ والمسؤولية نفسها تقع على الصيدلانية هل تُعطى للمريض صاحب الوصفة المختومة من الطبي ونفس المسؤولية تقع على الطبيب الذي يعطي وصفة طبية للمتعاطي بقيمة مالية تفوق أجر الطبيب أم أنه يُحكم دينه وأخلاقه وأمانته الطبية

[١] أبو عمر دُبْيَانِ بن محمد الدُّبْيَانِ المعاملات المالية أَصالة ومعاصرة ج ٥ ص ١٠٩.

في ذلك؟، كل هذه الأمور لابد للمسلم النظر فيها جيدا فهو محاسب عليها أمام الله سواء كان معملاً أم مستودعاً أم صيدلياً أم طبيباً.

لذلك فالمخدرات آفة المجتمعات اليوم والبلاء الذي ما بعده بلاء، وإن تعاطي المخدرات والتجارة بها، وتصنيعها وتوزيعها أشد وأخطر من أي وباء أصاب العالم.

المبحث الخامس
قضايا معاصرة في الأدوية وتوزيعها

العينات الدوائية المجانية

تعطي الشركات عينات مجانية تصل للطبيب حتى يعطيها للمريض، وبالتالي المريض سيجلب نفس العلبة ونفس الشركة ولا تباع، وهذا هو شرط الشركة ومخالف لقانون وزارة الصحة ويخالف الطبيب أو الصيدلاني إذا باعها للمريض، هنا نقول في بيعها غش وخيانة ونهى الإسلام عن الغش والخيانة، وكذلك الطبيب لم يلتفت بعين الرحمة والإنسانية بإعطاء هذه النماذج للفقراء فهم أولى بهم من غيرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)**[1].

ومما قاله الشيخ حامد العطار: استحدثت شركات الأدوية فكرة العينات المجانية بقصد تسويق منتجاتها، إمعانا في تذكير الطبيب بالدواء وتكثيفا لحملتها الدعائية، على حد قول القائل: ليس من رأى كمن سمع، فقد يغيب اسم الدواء عن ذاكرة الطبيب فيأتي دور هذه العينات للتذكير المباشر والملح به.

وإذا كان للمرض الواحد عشرات الأدوية التي تعالج منه فإن دور العينات هنا أن تقفز إلى ذاكرة الطبيب لتمتزج بمداد قلمه أثناء كتابة الدواء، وإذا كان قلم الطبيب تتجاذبه هذه الأدوية العديدة فإن الشركة الناجحة في دنيا التجارة، هي تلك

[1] أخرجه الترمذي ج ٤ ص ٣٣٣، قال الحافظ فى " الفتح " ٣ / ١٥٨: ثبت فى حديث عبد الله بن عمرو عند أبى داود وغيره.

الشركة التي تملك على الطبيب أقطار نفسه فتنجح في أن يكون دواؤها هو الدواء المسطور في الوصفة التي كتبها الطبيب.

وشركات الدواء لا تترك الطبيب تتملكه الحيرة كلما هم بكتابة وصفة ما، بل تحاول كل شركة أن تكون منتجاتها أسبق إلى ذهن وقلم الطبيب من منتجات غيرها.

ذلك أن الذاكرة النشطة لكل طبيب تحتفظ بآحاد من هذه الأدوية لكل مرض، لا يكاد يخرج عنها قلمه، حاله في ذلك حال من يريد متابعة الأخبار يوميا فيجد أمامه عشرات الصحف، فإنه لا يقف كل يوم حائرا أي الصحف يشتري؟ بل إنه يقرر ابتداء عدة صحف يجعلها مرجعا له.

وإذا كانت كل الصحف تتبارى في استقطاب القارئ فإن عددا محدودا منها هو الذي ينجح في هذه المباراة.

وإلى هنا لا يؤاخذ الطبيب على تكوين هذه المفضلة (أعني بناء أولوية ذهنية للأدوية المتاحة، وطرح الباقي) إذا كان اختياره بناء على مصلحة المريض، فإذا تباينت الأدوية من ناحية الفاعلية اختار أشدها فاعلية، وإذا اتفقت في الفاعلية وتباينت من ناحية السعر اختار أرخصها، وإذا تكافأت في هذا وذاك فلا عليه في أن يختار هذا أو ذاك.

تقديم العينات المجانية كهدايا للأطباء

لا تؤاخذ شركات الأدوية في تنشيط ذاكرة الطبيب بمنتجاتها من خلال العينات المجانية، ولكن الأمر لم يقف إلى هذا الحد.

فلم يعد الهدف من هذه العينات تنشيط ذاكرة الطبيب بها ولا التعريف بالدواء؛ وإلا فلماذا تستمر الشركات العريقة في إنتاج هذه العينات لأدوية قديمة أصبحت معروفة ومجربة للمريض والطبيب على حد سواء... لو كان هذا صحيحا لاقتصرت العينات على الأدوية الحديثة والأدوية التي تكاد تنسى في زحمة المنافسات الشرسة.

ومن ثم فلم يعد اختيار الطبيب مرهونا بمصلحة المريض، ومتى حاول الطبيب أن يكون اختياره كذلك فإن شركات الأدوية لا تدعه، بل إنها تلح عليه في اختيار منتجاتها، وهذا الإلحاح لا يكون بقوة السيف والعصا، ولكنه يكون تحت ضغط الترغيب والإغراء، فإذا تلاقت الإرادتان (إرادة الشركة في الترويج وإرادة الطبيب في التكسب) ظهرت العروض المكشوفة على حساب المريض المسكين!

فبعض الشركات تربط العينات المجانية بمقدار ما يصرفه من منتجاتها، فإذا صرف من منتجاتها عشرة فله كذا، وإذا صرف مائة فله كذا.. وهكذا.

ويقارن الطبيب بين عروض الشركات فأيها كان أنفع له ماديّاً اعتمده في مفضلته، وإلا فإلى سلة المهملات.

متاجرة الأطباء بالعينات المجانية

هل يجوز لشركات الأدوية أن يغرقوا الطبيب بهذه العينات المجانية؟ والجواب أنه إذا كان للطبيب بعض الحق في الحصول على العينة المجانية لاختبار الدواء والتعرف على خصائصه؛ فليس له أي حق في التربح منه بالبيع ونحوه، وإلا تحول الأمر إلى رشوة على حساب المريض،

والقول: إن مندوب الدعاية حينما يعرض على الطبيب منتجات شركته فإنه يكون معه ما يعرف بال (بورشور) وهو ثبت يحتوي على جميع منتجات الشركة يبين فيه خصائص كل دواء وآثاره إلا إن الطبيب عادة لا يأبه به، ولكنه يؤثر العينة المجانية!.

الأصول الشرعية التي تمنع تربح الطبيب من العينات

يجب التفريق بين حالتين: الأولى: تربح الطبيب بالعينات مع خيانة المريض، والثانية: تربح الطبيب بالعينات دون خيانة المريض.

الحالة الأولى: (التربح مع الخيانة) أن يكون اختيار الدواء مرهونا بمصلحة الطبيب لا المريض، بأن يختار الطبيب منتجات الشركة التي تزيد على غيرها في هداياها العينية أو النقدية.

الطبيب وكيل: إن المريض حينما يذهب إلى الطبيب فإنه يضع فيه ثقته الكاملة، ويقيم الطبيب مقام نفسه في اختيار ما هو أنفع له، ويوكله في ترشيح دواء مناسب له، ولا يدور بخلده أبدا أن هذا الطبيب يمكن أن يخونه وإلا لما ذهب إليه، وأسلم إليه نفسه ومكّنه منها. فأصبح الطبيب وكيلا عن المريض في مداواته، واختيار ما ينفعه، ويصلحه، فإذا اختار له شيئا وهو يعلم أن بالسوق ما هو أنفع للمريض منه فقد خان هذه الأمانة، وغش هذا المريض، وتربح من آثار هذه الخيانة رشوة إنما هي قطعة من جهنم.

الطبيب ناصح: كما أن الطبيب إذا فعل ذلك فإنما يكون قد فرّط في فريضة إسلامية بايع النبي صلى الله عليه وسلم عليها أصحابه... ألا وهي النصيحة، ذكر

أن المغيرة بن شعبة يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال كلاما، ثم قال: أما بعد فإني أتي النبي صلى الله عليه وسلم قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط علي: (والنصح لكل مسلم)[1]، فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم. ثم استغفر ونزل، وعلى ذلك فمتى رغب الطبيب عن اختيار أكفأ الأدوية وأرخصها إلى ما هو أنفع له هو فإنه يكون آثما للأسباب التالية:

١ – لأنه لم يكن ناصحا للمريض.

٢ – لأنه يكون قد غش المريض وخانه وخذله في الوقت الذي تصور المريض فيه أنه ناصر ومعين له.

٣ – لأنه يكون قد فرط في عقد الوكالة، وأهدر أهم قيمها وهي الأمانة.

٤ – لو فتح باب التربح من هذه الهدايا لتنافست الشركات في اجتذاب الأطباء من هذا الباب بدلا من تحسين أدويتهم، فيقع المريض صريعا بين شركة كل همها التسويق، وبين طبيب كل همه الحصول على الهدية.

وإذا كان هذا حال التربح من العينات المجانية فإن الحرمة تزداد وتعظم في حال الرشوة الصريحة التي يشترط فيها الطبيب من مندوب الدعاية أن يعطيه نقدا مقابل تصريفه منتجات شركته.

إذن إذا حصل على عينات أدوية مجانية من مناديب شركة الأدوية مقابل إيثار أدويتهم خاصة على بقية الأدوية المشابهة، فإن هذا يكون من الرشوة المحرمة؛ لأنها

[1] أخرجه البخاري رقم (٥٠١) ج ١ ص ٣١.

خيانة واضحة للمريض، حيث عدل عن الدواء الأجدى والأرخص إلى دواء آخر ليس لشيء إلا أن بائعيه يعطون الطبيب هدايا مقابل ترشيحه للمريض.

الحالة الثانية: تربح الطبيب بالعينات دون خيانة المريض. وهذا يتصور فيما إذا كان اختيار الطبيب مرهونا بمصلحة المريض، وصادف للطبيب أن يحصل على هدية مع عدم إخلاله باختيار الأفضل والأرخص فهل يجوز له ذلك؟

وهنا سَيجدُ الطبيب نفسه بين شِقي رحى، بين الإمعان في البحث عن أفضل الأدوية وأرخصها، وبين البحث عن الأدوية التي يجني من ورائها أكبر الهدايا فيقع في حيرة واضطراب، حاله في ذلك حال السمسار الذي يأخذ عمولة من البائع وعمولة من المشتري، فهو في وكالته عن البائع مطالب أن يبحث له عن أعلى الأسعار، وفي وكالته عن المشتري مطالب أن يبحث له عن أرخصها، فكيف يمكن أن يصل إلى هذا وذاك في وقت واحد، ولذلك كان الرأي الراجح في نظرنا – وهو اختيار الدكتور رفيق يونس المصري – أنه لا يجوز للسمسار أن يحصل على عمولة من الطرفين؛ لتضاد المصلحتين.

ومما يؤكد ذلك جملة أصول شرعية (تضاد المصالح)

١ – منع الفقهاء الوكيل من الشراء من نفسه لموكله وكذلك ممن تلحقه بالشراء منهم تهمة (كولده وأبيه وجده وزوجته) وهذا الحكم متفق عليه بين الفقهاء الأربعة في الجملة، واستثنى بعض الفقهاء حالات من المنع، وضابط الاستثناء هو انعدام التهمة، وكان الشراء بثمن المثل أو أقل[١].

---

[١] الموسوعة الفقهية الكويتية (٤٥/ ٥١)

٢ – تهمة إيثار النفس: ومما يؤكد ذلك ما قرره جماهير الفقهاء من رد الشهادة بتهمة الإيثار والمحبة، فقد ذهب جماهير الفقهاء – ومنهم المذاهب الأربعة – على رد شهادة الأصل لفرعه وإن سفل (مثل شهادة الأب لولد أو ولد ولده) كما ذهب جمهور العلماء إلى رد شهادة الفرع للأصل (مثل شهادة الولد لأبيه وجده وأمه) لتهمة إيثار المشهود له على المشهود عليه ; لأن المنافع بين الولد والوالد متصلة.

٣ – محاباة النفس: ومما يؤكد ذلك نهي الله تعالى ولي اليتيمة عن الزواج بها إذا خاف أن يظلمها، وذلك قوله تعالى: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (النساء: ٣).

ففي الحديث أنّ عروة بن الزبير سأل عائشة عن هذه الآية فقالت: "يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليّها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليّها أن يتزوجها بغير أن يُقسط في صداقها فلا يعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنُهوا أن ينكحوهنّ إلاّ أن يقسطوا لهنّ ويبلغوا بهنّ أعلى سنتهنّ في الصداق فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء غيرهنّ"[١]؛ فنهي الولي عن نكاح موليته اليتيمة إلا إذا أمهَرَها أعلى ما تستحقه مثلها خوفا من التهمة في محاباة نفسه.

بيع مندوبي الشركات العينات المجانية وإهداء ثمنها للمشترين

حينما يبيع مندوبو شركات الأدوية كميات كبيرة دفعة واحدة لمخازن الأدوية أو للصيدليات فإنهم يجدون أن مجموعة كبيرة من العينات فائضة عندهم كانت

---

[١] أخرجه البخاري (٤٨٠٤) ج ٥ ص ١٩٥٨.

مرصودة لتسويق هذه الكميات التي تم بيعها، فيعمد مندوبو إلى بيع هذه العينات ليقدموا ثمنها جائزة تشجيعية لمن اشتروا منهم هذه الكميات الكبيرة، والأفضل في هذه الحالة أن تمنح العينات للمشترين (صيادلة أو أصحاب مخازن) على أنها جوائز تسويقية، وهذا أفضل لأسباب :

١ – أننا بذلك نخرج من خلاف الفقهاء في تحريم درهم ومد عجوة؛ وذلك أن إعطاء البائع هدية نقدية للمشتري داخل فيما يعرف عند الفقهاء بمد عجوة، والأصل في هذه المسألة حديث فضالة بن عبيد – رضي الله عنه – قال : " اشتريت يوم خيبر قلادة باثني عشر دينارا فيها ذهب وخرز، ففصلتها فوجدت فيها أكثر من اثني عشر دينارا، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: لا تباع حتى تفصل[١] .

وهذا النوع من البيع مختلف فيه بين العلماء على قولين:

الأول: عدم جوازه مطلقاً، وهو مذهب المالكية والشافعية والراجح في مذهب الحنابلة وابن حزم[٢].

الثاني: يجوز إذا لم يكن مع الربويين تابعا، والمفرد أكثر من الذي معه غيره، وهو مذهب الحنفية.

تهريب مندوبي الشركات العينات المجانية وبيعها للصيدليات :

---

[١] أخرجه مسلم (٤١٦٠) ج ٥ ص ٤٦.
[٢] مغني المحتاج ٢ / ٢٨

مندوب الدعاية، أو مسئول المكتب العلمي حينما يقوم بتهريب العينات وبيعها لا يخلو ذلك من صورتين:

الأولى: أن يقوم باختلاسها، وهذه سرقة واضحة، وإن كان لا يجب فيها قطع اليد؛ لأنها تصنف في الفقه على أنها اختلاس لا سرقة، ويظل الإثم مطاردا للمختلس حتى يتوب، ولا توبة له إلا بردها.

الثانية: أن يقوم الموظف باختلاسها بطريقة فنية، وذلك يتصور إذا باع الموظف الكمية المربوطة بالهدية وأخفى عن المشتري أن له هذه العينات التسويقية نظير شرائه هذه الكمية، وينظم دفاتره على أنه سلمها للمشتري، وهذا الإجراء لا يجوز، ومثله ما إذا ربط بين مجموعة من الطلبيات الصغيرة ليجعلها تبدو في صورة صفقة واحدة حتى تحظى بالهدايا المربوطة بالطلبيات الكبيرة؛ لأن الشركة حينما تسلم هذه الهدايا للموظف إنما تقصد توكيله عنها في توصيل هذه الهدايا للعملاء المشترين.

وللشركة غرض تجاري من توزيع هذه الهدايا، فهي لا تهب عملاءها سدى، فإذا تصرف الموظف في هذه الهدايا تصرف الملاك فقد خان أمانة الوكالة، والوكيل أمين، وتصرفاته مقيدة بحسب شروط موكله.

والشركة إنما تقصد تشجيع الصيادلة على الشراء بهذه الهدايا، ومعروف أن الذي يدفع الشركات أو مكاتب توزيع الأدوية إلى ذلك إنما هو التنافس فيما بينها، فإذا حجب الموظف هذه الهدايا عن العملاء فإنه بذلك يضر بالشركة إضراراً بالغاً؛ حيث يحرم هذه الشركة من منافسة بقية الشركات في جذب الزبائن.

الحوافز التي تقدمها الشركات للصيدليات، أو لمحلات البيع بالتجزئة:

هذه الحوافز لا حرج فيها، وهي من الهدايا العينية التي يقدمها التجار مكافأةً وتشجيعاً وترغيباً في الشراء منهم والتعامل معهم، وليس في هذا التعامل ربا ولا قمار ولا غرر، ولا خداع؛ وإنما هي في حقيقة أمرها: حطيطة من ثمن السلعة، ولذلك يزيد في عدد الوحدات المشترات بنفس الثمن، أو يحط من فاتورة الشراء بقدر نسبة الزيادة.

والهدية الترويجية إذا كانت سلعة، فلها ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: أن تكون الهدية موعوداً بها المشتري، فأقرب ما تُخرَّج عليه حينئذٍ وعد بالهبة، فتجب له

الوفاء به، ويثبت لها ما يثبت للهبة من أحكام.

الحالة الثانية: أن تكون الهدية غير موعود بها، فأقرب ما تُخرَّج عليه حينئذٍ أنها هبة محضة، يثبت لها جميع ما يثبت للهبة من أحكام.

الحالة الثالثة: أن يكون تحصيل الهدية مشروطاً بجمع أجزاء مفرقة في أفراد سلعة معينة، وما أشبه ذلك، فتخرج حينئذٍ على أنها هبة فتحرم؛ لما تفضي إليه من الإسراف والتبذير وكونها من الميسر المحرم[١].

مع العلم أن هذه الهدايا تكون ملكاً لصاحب الصيدلية، وليس للموظف العامل في الصيدلية منها شيء.

---

[١] الحوافز التجارية التسويقية وأحكامها في الفقه الإسلامي"، ص ٣٣٤.

الخاتمة

تبين مع انتهاء هذه الرسالة مدى أهمية الدواء للإنسان، إذ هو مقدم على الطعام والشراب، فعندما يتأخر المريض عن أخذ دوائه، وخاصة إذا كان مرض مزمن أو مرض عضال، لربما يؤدي إلى هلاكه أما تأخير طعامه أو شرابه، لا يفعل ما يفعله تأخير الدواء، فكان اكتشاف الدواء أمراً بغاية الأهمية، وذلك لصالح الفرد والمجتمع، فعندما تمر البلاد في أزمة وباء، ترى الناس ترمق بأعينها، من سيكتشف لقاحاً لهذا الوباء، أو الفيروس ليشتروه مهما كان ثمنه، كما هو الآن مع فيروس كوفيد ١٩ المستجد المسمى (بفيروس كورونا)، وكما مرّ في البحث شوهد كم عانى القدماء من اكتشاف الدواء للأمراض، وخاصة المستعصية عليهم آنذاك، كانت كل حضارة لها مزايا في عملية تصنيع واكتشاف الدواء، حيث إن الفراعنة المصريين كانت لهم الميزة في تصنيع مواد التحنيط التي هي إعجاز للباحثين إلى هذا اليوم وكما كان للصينين العلاج بالوخز بالإبر سر قد أتقنوه عن غيرهم، وكذلك العرب هم أول من اكتشف مادة التخدير للعمليات الجراحية، فكان لكل حضارة باع واكتشاف في مجالات الطب والأدوية، ولا يخفى على أحد كيف أصبح السباق العلمي مع تقدم الزمن وتقدم أدوات البحث، سباقاً لامثيل له، اذ أصبح تطوير أجيال الأدوية أمراً مشهوراً بين السباقين في هذا المجال، وخاصة الصادات الحيوية والأمراض المزمنة الضغط والسكر، ولا يخفى أيضا كم كان للبعض السمعة الطيبة في إتقان صنع الدواء الذي يعود نفعه للمجتمع، وكم كان للبعض أيضاً الشغف في جمع أكبر ربح بأسرع وقت، وذلك بالغش والتلاعب

بنسب فاعلية الدواء، وأيضاً مروراً بالمخدرات التي هي منذ القديم تماشت مع مصنعيها حيث الضرر الحاصل بل القتل للأفراد والمجتمع، وما هم الذي يصنعها ويتاجر بها إلا ربحه، إذ لا يأبه لموت الناس.

لقد عانى الباحث من صعوبات في جمع المعلومات، التي تفتح أعين وأذان الناس عن هكذا أحكام وبراهين وأدلة، فكانت التوصية لكل بلد عربي أو أجنبي مسلم وغير مسلم، بتخصيص نافذة واحدة تكون بيد وزارة الصحة لبيع الأدوية النفسية (المخدرات). وكذلك تشجيع دولنا العربية والمسلمة لدخول السباق والمنافسة في تصنيع المادة الأولية، إذ إن الأدوات والأموال متوافرة في بلاد العرب والمسلمين بكثرة، وعلى سبيل المثال استخراج البروتين الطبيعي من دودة القز.

وختاماً لا يسعنا إلا أن نجُد ونجتهد في هذا المجال (تصنيع الأدوية) الذي يَدر أرباحاً من جهة ومنقذاً للناس من عللها وأوجاعها من جهة أخرى، والله نسال أن يتقبل منا العمل بإتقان، ويجعلنا في مقدمة الأمم، ويفرح بنا قلب النبي محمد سيد الأنبياء، وصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الكرام.

النتائج

توصل البحث إلى النتائج الآتية :

١ . اكتشف القدماء الدواء، وطرق التوصل للعلاج .

٢ . برع الفراعنة في تصنيع الأدوية واكتشفوا مواد التحنيط التي بقيت سراً حتى يومنا هذا، وكذلك فعل اليونانيون وغيرهم .

٣ . كان للعرب باع طويل في الطب والعلاج وهم أول من اكتشفوا أشياء كثيرة كمواد التخدير مثلا .

٤ . عالج الطب النبوي الأبدان والأرواح على حد سواء، وأبطأ السحر والشعوذة التي كانت عند اليونانيين والفراعنة وغيرهم مما سبق .

٥ . كان الطب والصيدلة وعالم الدواء مزدهراً في العصر الأموي في الشرق وفي الأندلس في الغرب، وبرع الأطباء في ذلك الوقت وأنشئت الصيدليات .

٦ . ازداد ازدهار الدواء والتداوي وأنشئت المارستانات (المشافي) في العصر العباسي في الشرق والأندلس في الغرب حتى ذاع صيتهم وتعلم منهم العجم، وتمت مداواة ملك الفرنجة على يد طبيب مسلم .

٧ . لابد أن يكون الدواء طاهراً حتى يجوز لنا التداوي به لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا عن التداوي بالمحرمات فلا يختلط به نجاسة أو يكون نجسا بعينه كشحم الخنزير ووصل عظم الكلب بعظم آدمي أو جلده وحكم الشريعة الإسلامية في ذلك مستفيضا بأدلة لكل طرف من قال بالجواز أو التحريم .

٨. كان لابد من التعرف على المكونات الدوائية وأصل المادة الأولية وتصنيعها واحتكار الدول الغربية للمواد الأولية فهي المتفردة بتصنيعها وبيعها للغير.

٩. كان لابد من التنبيه لجرائم التلاعب بفاعلية الدواء في المصانع لتزداد أرباحهم على حساب صحة المريض وتتحكم بسعرها وحكم الغش في هذه المسالة بل الضرر الحاصل من وراء هذا التلاعب في أحكام الشريعة الإسلامية.

١٠. تم بيان زكاة الأدوية وكيفية إخراجها كدواء أو كمال، وهل تعطى هذه الزكاة لغير المسلمين وأدلة من قال بتحريم إعطائها ومن قال بالجواز.

١١. بيان الأدوية المهربة المجهولة الهوية وخطرها على الفرد والمجتمع وكيف تخلى كثير من الصيادلة عن دينهم وأخلاقهم ليزداد ربحهم وينعكس هذا الضرر على المريض، وبيان حكم الشريعة الإسلامية في ذلك.

١٢. المخدرات والمواد المخدرة والنفسية وكيف تديرها شركات ومافيات لقتل البشر.

١٣. حبذا لو كان لطالبِ الطب والصيدلة وكل مختصٍ بعلم الأدوية أن يكونَ له امتحان أخلاقي مرادف للامتحان الوطني، إذ إن الامتحان الوطني هو عصارة ما تلقاه من علم الطب والأدوية، والامتحان الأخلاقي المقصود منه أخلاق الطبيب أو الصيدلاني بكيفية التعامل مع المريض والصفات الطيبة التي ينبغي أن تكون فيه حينها لا يكون منشغلاً في هذا الفن إلا أهلهُ الحقيقيون، عندها نجد الطبيب الحقيقي الذي يضع الدواء على الداء، وما رآه أبقراط في صفات الطبيب، أطباؤنا وصيادلتنا هم بأمس الحاجة إليها اليوم ولأن الكثير منهم –

وللأسف الشديد – ابتعدوا كل البعد عن هذه الصفات الرائعة التي ينبغي أن لا يتخلى عنها أبدا وتكون جزءا من شخصيته.

١٤. الأدوية المفردة والمركبة؛ فالمفردة هي المواد التي تؤخذ من مصدرها النباتي أو الحيواني أو المعدني دون خلطها أو مزجها بدواء آخر وهي تستعمل في البادية، كالعلاج بالعسل ولبن النوق والعلاج بنبة السنمكي. أما المركبة فمزيج من دوائيين مفردين فأكثر.

١٥. كما أن للأمراض علاجا استباقيا أو لقاحا ضد الأمراض كلقاح الشلل عند الأطفال على سبيل المثال كذلك الأمراض التي تصيب الإنسان جراء (العين) هناك علاج لها، وهو المواظبة على قراءة القرآن والأدعية المأثورة والأهم صلاة الفجر في جماعة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم (**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ**)[١].

١٦. الاستشفاء مطلوب من المسلم، يبذل في سبيله الغالي والرخيص. ولا يعارض ذلك ما ذكر من أجر المرض لمن صبر؛ ففضل الله على الصحيح عظيم، له مثل أجر المريض أو يزيد. والاستشفاء مطلوب من سائر الأمراض عضوية أو نفسية، ويسلك في سبيله أي الأدوية مادية أو معنوية. وإن الرقية وهي: ما يُقَرأ من الدعاء لطلب الشفاء بالقرآن وأسماء الله وصفاته وبالذكر؛ نوع من

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، رقم ١٥٢٥ دار الجليل بيروت ج ٢ ص ١٢٥

العلاج له أثر مادي من الأمراض العضوية، كما أن له أثرا في الجوانب المعنوية، والنفسية. وهذا معهود ومجرب لا يماري فيه عاقل.

١٧ . إن علاج الرقية نافعٌ بالتأكيد، غير الشعوذة والسحر كما كان في الجاهلية، لأمر هام وهو أن الرقية إما آية أو دعاء، والآية والدعاء الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وحي من الله إما عن طريق جبريل أو الوحي الرباني لرسول الله، قال تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (النجم: ٣) وبكل وضوح نعتقد اعتقاداً جازماً أنه ما جاء عن الله ورسوله فيه الشفاء التام قال تعالى: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (الشعراء: ٨٠)؛ فشفاء الأمراض عائدة إلى الله تعالى.

١٨ . ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاج الرباني، ومن ثم العلاج المادي إذ هو الأخذ بالأسباب، ولابد للمسلم أن يأخذ به، ولو فكرنا جيداً في الحجامة لتبين أنها علاجٌ في عصرنا، إذ إن الدورة الدموية تَتنشط بخروج الدم من جسد الإنسان وهوما يعرف اليوم بالتبرع بالدم وغير ذلك يدفع السم إن جرى بالدم بالفصد والحجامة وكذلك شرب العسل لمن أصيب بمرض البطن ثبت في الطب الحديث نفعه وأنه ملين للأمعاء غاسل لسمومها ونرى أنه من باب العلاج نهى عن خروج من أصيب بالطاعون والدخول عليهم وما ذلك إلا لعدم نشر الوباء أكثر.

١٩ . إن تلاعب المعامل في فاعلية الدواء يدل على ترك أخلاق الطب والعلاج وتحويلها إلى متاجر علنية خالية من الأخلاق والضمير الإنساني وهنا مهمة الرقابة الدوائية مسؤولة أمام الله عن هذه المسألة .

التوصيات

يقترح الباحث مجموعة توصيات كالآتي:

١. دعم مشروع إقليمي مشترك لإنتاج المواد الخام للدواء فالدول لديها إمكانيات علمية ومالية كبيرة.

٢. زرع الرقابة الإلهية في نفوس الأطباء والصيادلة كواجب إيماني وأخلاقي.

٣. عدم بيع الأدوية الفاسدة المنتهية الصلاحية والأدوية مجهولة الهوية التي قد تتسبب بموت المريض.

٤. أن تخصص وزارة الصحة صيدلية تابعة لها لبيع الأدوية النفسية التي أصبحت مادة دسمة وذات أرباح فاحشة، فالبعض باع أخلاقه ودينه من أجل المال.

وختاماً ألجأ إلى الله تعالى أن يتقبل مني هذا البحث العلمي وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم بغية توضيح التعامل الصحيح في عالم الدواء وأسأله تعالى أن يمدني بإعطاء الأكثر والأفضل لكل الناس وأن يجعل فيه النفع وأساله تعالى أن يزرع فيه الإخلاص وينزع عنه الرياء، اللهم إنك خالقي القادر على ذلك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صحبه الأطهار وسلم تسليماً كثيراً.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ	٢١
سورة الشعراء	
وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ	٢٩
سورة الأحزاب	
يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ	٢١
سورة الصافات	
وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ	١٢
سورة النجم	
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى	١٨
سورة الرحمن	
فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ	٥
سورة البلد	
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ	٣

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس أسماء الأعلام

١. أبقراط الحكيم أحد أطباء اليونان ولد في حدود ٤٦٠ ق. م. وهناك قول انه ولد في سنة مائة وست تسعين لبخت نصر، فيكون أبقراط قبل الهجرة بألف ومائة وبضع وسبعين سنة، فالكتب التي لا بد للمتطببين من معرفتها من كتب أبقراط أربعة، وهي: كتاب الفصول، وكتاب تقدمة المعرفة، وكتاب الأهوية والأزمنة، وكتاب ماء الشعير، قول الفلاسفة المنتسبين للاستلام.

٢. أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي؛ كان من أعلم قريش بفنون العلم، وله كلام في صناعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته، وفيات الاعيان دار صادر بيروت.

٣. ابن حيان القرطبي (٣٧٧ – ٤٦٩ ه = ٩٨٧ – ١٠٧٦ م) هو حيان بن خلف، مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، هو من أهل قرطبة، وله كتاب " المقتبس في تاريخ الأندلس " في عشر مجلدات، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر بيروت.

٤. اسقليبيوس كان قبل الطوفان الكبير، وهو تلميذ أغاثوذيمون المصري وكان أغاثوذيمون أحد أنبياء اليونانيين والمصريين وتفسير أغاثوذيمون السعيد الجد، وكان اسقليبيوس هذا هو البادئ بصناعة الطب في اليونانيين علمها بنيه وحذر عليهم أن يعلموها الغرباء، عيون الانباء في طبقات الاطباء باب رجع الكلام إلى ذكر اسقليبيوس.

٥. الزرقاني، الزرقاني (١٠٢٠ – ١٠٩٩ هـ= ١٦١١ – ١٦٨٨ م) فقيه مالكي، ولد ومات بمصر، من كتبه، شرح مختصر سيدي خليل، الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢٧٢.

٦. المقتدر بالله: أبو الفضل جعفر بن المعتضد ولد في رمضان سنة (٥٢٨٢) وأمه رومية وقيل: تركية اسمها غريب وقيل: شغب، تاريخ الخلفاء مطبعة السعادة مصر.

٧. بردية ابيرس هي أول بردية كتبت في تاريخ البشرية، وتعتبر أجدى البرديات الطبية المصرية، التي تعتني بمعرفة الأعشاب، يعود تاريخها إلى ١٥٥٠ قبل الميلاد، توجد حاليا في جامعة لا يبتزغ في المانيا.

٨. تحتمس الثالث (١٥٠٤ ١٤٥٠ ق.م) أعظم ملوك الأسرة الثامنة عشرة الذي حطَّم تحالفاً من الأمراء الكنعانيين والسوريين تحت قيادة ملك قادش في مجدو عام ١٤٧٩ ق.م. وقد التقى تحتمس بالحيثيين، ولكنه إما هزمهم، أو عقد معهم معاهدة دفعوا له بمقتضاها الجزية، وقد خضعت له سوريا فترة قصيرة، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.

٩. جابر بن زيد الأزدي أبو الشعثاء البصري، تابعي، ثقة، كان من أعلم الناس بكتاب الله، تهذيب التهذيب.

١٠. جالينوس الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين إمام الأطباء فِي عصره ورئيس الطبيعيين فِي وقته ومؤلف

الكتب الجليلة فِي صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١١. جورج ألفريد ليون سارطون صيدلي ومؤرخ بلجيكي ١٨٨٤ – ١٩٥٦م عضو في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، الاعلام للزركلي.

١٢. حتشبسوت أم تحتمس الثالث ١٥٠٧ق – ١٤٥٨ق. م. وفي عهد المملكة حتشبسوت تم الاتصال بين مصر الأم ومصر الفرع ولذلك لم توضع علامة الأرض الأجنبية عن المصريين على اسم بلاد بونت، نبي ارض الجنوب في الاسفار اليهودية.

١٣. زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الشهير بابن نجيم: فقيه حنفي، من العلماء. مصري. له تصانيف، منها (الاشباه والنظائر – ط) في أصول الفقه الاعلام للزركشي.

١٤. سليمان الجمل (١٢٠٤ هـ – ١٧٩٠ م) سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الازهري، المعروف بالجمل: فاضل من أهل منية عجيل (إحدى قرى الغربية بمصر) انتقل إلى القاهرة. له مؤلفات، منها حاشية على تفسير الجلالين، وحاشية على شرح المنهج، في فقه الشافعية، الأعلام للزركشي.

١٥. عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (المعروف بالعز بن عبد السلام) عام ٥٧٧ ه (١١٨١ م).

١٦. عبد الملك ابن زهر الأيادي، الإشبيلي، طبيب، أخذ الطب عن جده زهر بن عبد الملك، وبرع ونال حظوة عند السلاطين، معجم المؤلفين.

١٧. لسان الدين بن الخطيب ٧١٣ – ٧٧٦ هـ / ١٣١٣ – ١٣٧٤ م هو محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله الشهير بلسان الدين بن الخطيب. وزير مؤرخ أديب نبيل. كان أسلافه يعرفون ببني الوزير. ولد ونشأ بغرناطة. واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (سنة ٧٣٣ ه) ثم ابنه (الغني بالله) محمد، من بعده. وعظمت مكانته. وشعر بسعي حاسديه في الوشاية به، فكاتب السلطان عبد العزيز بن علي الميني، برغبته في الرحلة إليه. وترك الأندلس خلسة إلى جبل طارق، ومنه إلى سبتة فتلمسان (سنة ٧٧٣) وكان السلطان عبد العزيز بها، فبالغ في إكرامه، من اشهر كتبه كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة، معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار احياء التراث العربي بيروت.

١٨. مجلة مجمع الفقه الإسلامي وهي مجلة معروفة تصدر عن مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وقد صدرت في أعداد، وكل عدد مجموعة من المجلدات، والأرقام في الأعداد متسلسلة من أول مجلد في كل عدد إلى آخر مجلد.

١٩. محمد السيد علي، صحفي مصري، حاصل على دبلوم الصحافة العلمية، من الاتحاد الدولي للصحفيين العلميين – كندا، يركز عمله على قضايا الصحة والبحث العلمي والتنمية.

٢٠. محمد بن احمد بن عبد الله بن خيرة أبو الوليد الأندلسي القرطبي الفقيه المالكي الحافظ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون

٢١ . وليام أوسلر طبيب كندي ويعتبر واحد من أعظم رموز الطب في العصر الحديث، ووصف بأنه أبو الطب الحديث، وكان أخصائي علم أمراض ومعلم ١٨٤٩ – ١٩١٩م.

المصادر والمراجع

الكتب:

٢٢. آبادي، الفيروز، مجد الدين. القاموس المحيط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ١.

٢٣. أحمد، عبداللطيف. الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات. الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. ١٩٩٢م

٢٤. أسامة، محمد، مافيا الدواء وأعراضها الجانبية: خداع دعائي وتزوير علمي مافيا الدواء، ١١-٩-٢٠١٨.

٢٥. ابن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، المبسوط، دار المعرفة – بيروت.

٢٦. ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي، الطب النبوي، دار الفكر بيروت.

٢٧. ابن سينا، القانون في الطب، باب المقالة الأولى، الأدوية المفردة

٢٨. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، المغني دار الفكر – بيروت، باب أحكام الاعضاء المزروعة في البدن

٢٩. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت ٢٨٠ / ١٤ – ٢٨.

٣٠. ابن نجيم، الشّيخ زين العابدين بن إبراهيم،ابن نجيم، الأشباه والنظائر، كتاب الحظر والإباحة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣١. الأندلسي، ابن حزم، مراتب الإجماع.

٣٢. الأنصاري، شيخ الإسلام زكريا، أسنى المطالب، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٢ ه – ٢٠٠٠، الطبعة: الأولى.

٣٣. الادريسي، زين العابدين، كتاب النوازل في الأشربة

٣٤. البابا، محمد زهير، تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة، الطبعة الخامسة منشورات جامعة دمشق ١٩٩٨م.

٣٥. البطليوسي، عبد الله بن محمد بن السيد، الإنصاف، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣.

٣٦. التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبدالله، موسوعة الفقه الإسلامي للتويجري.

٣٧. الجمل، سليمان، حاشية الجمل على شرح المنهج، دار الفكر ببيروت.

١. الحلاق، د. بسام بدوي علم الدواء الحديث طبعة ١ مكتبة المجتمع العريبي للنشر والتوزيع عمان الاردن ٢٠٠٩

٢. الحلاق، د. بسام بدوي، علم الدواء الحديث، الطبعة الأولى، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٩.

٣. الدّبيان، أبو عمر دبيان بن محمد، المعاملات الماليّة أصالة ومعاصرة.

٤. الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة المالكي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر.

٥. الدمرادش، عادل، الإدمان مظاهره وعلاجه. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ١٩٩٣م

٦. الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الشهير بالشافعي الصغير، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر بيروت.

٧. الزرقاني، عبد الباقي بن يوسف بن أحمد، مواهب الجليل.

٨. الزركشي، بدر الدين، شرح الزركشي على مختصر الخرقي.

٩. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت.

١٠. السعد، صالح. المخدرات والمجتمع. عمان: دار الثقافة للنشر. ١٩٩٦م

١١. السيوطي، مصطفى الرحباني، مطالب أولي النهى

١٢. الشافعي، يحيى العمراني اليمني، البيان في مذهب الشافعي.

١٣. الشربيني، الخطيب، مغني المحتاج، دار الفكر- بيروت.

١٤. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير.

١٥. الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، دار الفكر، بيروت سنة النشر ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٦. الطحاوي، أحمد بن محمد بن إسماعيل الحنفي،حاشية الطحاوي المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر سنة النشر ١٣١٨ هـ.

١٧. الطرابلسي، محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، مواهب الجليل.

١٨. الطواري، د. طارق، الرقى والطب.

١٩. الطيار، عبد الله، الفقه الميسر، قسم النوازل، النوازل الطبية المعاصرة، النازلة ٣٦ الترقيع الجلدي.

٢٠. العراقي، أبو إسحق، أسباب الشفاء من الأسقام والأهواء المكتبة الجامعة الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤.

٢١. العراقي، ابو اسحاق، أسباب الشفاء من الأسقام والأهواء، المكتبة الجامعة.

٢٢. العلمي، د. رياض رمضان، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم، مجلة آفاق علمية، العدد الأول، اغسطس ١٩٨٥، الكويت.

٢٣. الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند دار الفكر، بيروت سنة النشر ١٤١١هـ – ١٩٩١م

٢٤. الفقه الميسر عبد الله الطيار قسم النوازل، النوازل الطبية المعاصرة، النازلة ٣٦ الترقيع الجلدي

٢٥. الفكي، لحسن، أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية

٢٦. القرطبي، ابن العربي، تفسير أحكام القرآن

٢٧. الكاساني، علاء الدين الحنفي، البدائع، الناشر دار الكتاب العربي، سنة النشر ١٩٨٢ بيروت.

٢٨. الماوردي، حبيب علي بن محمد ،الحاوي، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٤ – ١٩٩٤.

٢٩. المرغياني، أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني، الهداية شرح بداية المبتدي، الناشر المكتبة الإسلامية.

٣٠. المهندي، خالد حمد، المخدرات وآثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. قطر: مركز المعلومات الدنائية لمكافحة المخدرات لمجلس التعاون لدول الخليج العربية. ٢٠١٣م

٣١. الموسوعة الفقهية الكويتية.

٣٢. الناهي، الدكتور صلاح الدين، الوجيز في الملكية الصناعية والتجارية.

٣٣. النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، الاستذكار، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، باب ما جاء في جلود المية.

٣٤. النووي، لابي يحيى شرف النووي، المجموع، المتوفى سنة ٦٧٦ ه، دار الفكر، بيروت.

٣٥. الهدية العلائية للعلامة الشيخ علاء الدين عابدين

٣٦. الوجيز في الملكية الصناعية والتجارية، للدكتور صلاح الدين الناهي.

٣٧. حاشية الطحاوي، بدائع الصنائع

٣٨. حويتي، أحمد: الأسباب والآثار الاجتماعية للمخدرات. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. العدد السابع، ٢٠١٢م.

٣٩. خليل، د. أسامة محمد عثمان، الملكية الفكرية في الفقه الإسلامي

٤٠. راشد، نصري، كتاب المستخلص من النجس وحكمه

٤١. سلامة غباري، محمد. الإدمان أسبابه – ونتائجه – وعلاجه دراسة ميدانية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث. ١٩٩٩م

٤٢ . سويف، مصطفى. المخدرات والمجتمع نظرة تكاملية. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ١٩٩٦م

٤٣ . صقر، عطية، موسوعة أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام.

٤٤ . طوقان، قدري، علماء العرب وما أعطوه للحضارة.

٤٥ . عابدين، للعلامة الشيخ علاء الدين، الهدية العلائية،.

٤٦ . عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله، الهدي النبوي في الطب.

٤٧ . عليش، محمد بن أحمد بن محمد، فتح العلي المالك.

٤٨ . فتاوى اللجان الدائمة للبحوث العلمية والافتاء

٤٩ . فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، أحمد بن عبد الرزاق الدويش، مصر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٥٠ . قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني لابن قدامة، دار عالم الكتب، الرياض.

٥١ . قرارات مجمع الفقه الإسلامي

٥٢ . كمال بن مختار بن إسماعيل بن محمد، كنوز في الرقية والطب النبوي.

٥٣ . هارت، د. مايكل، المائة الأوائل، دار الترجمة دار قتيبة، المترجم خالد عيسى وأحمد سبانو، مكتبة الايمان القاهرة.

٥٤ . يونس، علي حسن، القانون التجاري.

٥٥ . محمد هلال، ناجي. إدمان المخدرات رؤية علمية واجتماعية. القاهرة: دار المعارف. ١٩٩٩م

٥٦. مشاقبة، محمد أحمد. الإدمان على المخدرات الإرشاد والعلاج النفسي. عمان: دار الشروق. ط ١. ٢٠٠٧م.

٥٧. مكي، مجد أحمد، فتاوي الزرقا، باب ترقيع الأحياء بأعضاء الأموات.

المجلات:

٥٨. مجلة البحوث الإسلامية

٥٩. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة.

٦٠. مجلة البلسم الهيئة العليا للأدوية والمستلزمات الطبية

٦١. مجلة كوكب العلم

المواقع الالكترونية:

٦٢. قناة DW الألمانية

٦٣. موقع britannica

٦٤. موقع WHO Glossary

٦٥. موقع islamset

٦٦. موقع zbw.eu.

٦٧. موقع ميسوب، ابراهيم، محمد بن اسماعيل، القرآن وإعجازه العلمي

٦٨. وكالة أنباء الصين الجديدة، شنغهاي (الصين) ا ف ب.


الضوابط الشرعية
لصناعة وتجارة الأدوية البشـرية